





الديوان الكويتي في المدائح النبوية

(إصدار خاص)

تأليف:
طلال مساعد العامر

دولة الكويت
2016

الديوان الكويتي في المدائح النبوية



طلال مساعد العامر النجدي

المؤهل الدراسي:

- حاصل على دبلوم تغذية من كلية العلوم الصحية.
- حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الشريعة في جامعة الكويت.

الخبرات:

- مدرب معتمد من مؤسسة الإبداع التعليمي في التدريب.
- خطيب في مسجد (حبيبة البناي)، وخطيب معتمد في تلفزيون دولة الكويت.
- مؤسس مكتبة العامرية للنشر والتوزيع.
- اجتاز عددا من الدورات في فنون مختلفة.
- له مشاركات إعلامية متعددة في الإذاعة الكويتية، حيث أعد وقدم العديد من البرامج المسجلة في إذاعة القرآن الكريم وإذاعة البرنامج الثاني، ومنها:

محاورات شعرية، أدب الدعوة، سوق عكاظ، لغتنا المقدسة، ونيس المجالس، خواطري، رمضان بلون آخر، أدب الحياة.

- ضيف في العديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية، كما أعد وقدم عدة برامج تلفازية منها برنامج «بيت الحكمة» وبرنامج «في المرآة».
- قام بإعطاء العديد من المحاضرات والندوات الثقافية والأدبية والدورات التدريبية داخل الكويت وخارجها.
- شارك في العديد من الملتقيات الثقافية داخل الكويت وخارجها. كما اجتاز دورة حوار الأديان في أمريكا التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية.
- عمل رئيسا لقسم التربية الإسلامية في مدرسة التكامل ثنائية اللغة.
- عمل مدرسا للتربية الإسلامية في مدرستي التكامل العالمية والرؤية لأكثر من سبع سنوات.
- عضو لجنة التحكيم لمسابقة اللغة العربية في مدارس الخطباء في تركيا.
- رئيس مشروع «صلة» لإعداد وثيقة المستشرقين التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ترأس ملتقى موسوعة المفكرين المسلمين.

من مؤلفاته:

- عمالقة الشعر الإسلامي.
- قبل ارتقاء المنابر.
- كناشة الأشعار.
- ديوان الدفاع عن عائشة رضي الله عنها.
- محمد - صلى الله عليه وسلم - ملهم الشعراء.
- سوف يدري... رحلة الطلاسم من الشك إلى اليقين.
- إما اعتدلت وإما اعتزلت.
- أسباب الاختلاف المشروع بين الفقهاء في الفروع.



الديوان الكويتي في
المدائح النبوية

تأليف

طلال مساعد العامر

إشراف

إدارة الثقافة
بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

الطبعة الأولى – دولة الكويت
1437هـ - 2016م

ورجائي بعد أن انتهيت من هذا الديوان وعشت في رحابه أشهر بعد أن عاش في مخيلتي سنين أن:

- أن يستمر عطاء القريحة الكويتية في هذا السبيل فهو سبيل شريف يؤكد على تدين المجتمع الكويتي ورسوخ الثقافة الإسلامية فيه، ويرسخ القيم التي عُرِفَ بها.
- أن تحذو بقية فنون الأدب العربي في الكويت حذو الشعر في الكتابة الإبداعية في السيرة النبوية، فإن هناك أعمالاً ابداعية رائدة في هذا السبيل لا تزال تقدمها قرائح المبدعين في المجتمعات العربية والإسلامية، كالقصة والرواية والشعر الحديث والملاحم والكتابة المسرحية.

وفي الخِتَام أسألِ الله تعالى أن يَجعلِ هذا الدِيوَانِ خَالِصاً لِوَجهِهِ الكَرِيم، وأن يُبَلِّغنِي وَقَارِئيه لِمَقَامِ الشَرفِ والسَعَادَةِ في حُبِ صَاحِبِ السِيادةِ نَبيهِ الكريم مُحَمَّد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

طلال مساعد العامر
2015/10/31 م



الديوان الكويتي في..

المدائح النبوية

تأليف

طلال مساعد العامر النجدي

الطبعة الأولى

1437 هـ - 2016 م

ردمك : ٩٧٨ ـ ٩٩٩٠٦ ـ ٠ ـ ٤٧٩ ـ ٩

ISBN: 978 - 99906 - 0 - 479 - 9

الطبعة الأولى
1437هـ - 2016م

بيانات رقم الإيداع

الكتاب: الديوان الكويتي في المدائح النبوية
(إصدار خاص)
تأليف: طلال مساعد عامر النجدي
تقديم: طلال الرميضي
إشراف عام: إدارة الثقافة
الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب: 23996 – الصفاة – الكويت 13100
الطبعة الأولى: يوليو 2016 – دولة الكويت
ردمك: ٩٧٨ - ٩٩٩٠٦ - ٠ - ٤٩٧ - ٩
ISBN: 978 - 99906 - 0 - 497 - 9

دولة الكويت

المحتويات

***

الإهداء

إهداء... إلى الكويت العزيزة؛
درة الأوطان في قلوب أهلها،
ومعقل الإسلام والحرية الدينية،
إليها يأرز الأحرار وفيها ملتقى الأفكار.

إهداء.. إلى والدتي؛
التي تجمعت فيها معاني الكويت،
في دينها ورحمتها وسلامها ولهجتها وحنانها.

أماه فيك رأيت الخير أجمعه ∴ كما رأيت مثيلاً منه في وطني

إهداء... إلى زوجتي الغالية؛
التي وقفت إلى جانبي في إعداد هذا البحث وتنقيحه،
منذ كان وليداً في مخيلتي إلى أن تم تمامه،
أهديها ثمرة تشجيعها ومساندتها لي.

كلمة رابطة الأدباء الكويتيين

بقلم الأمين العام أ. طلال سعد الرميضي

تستقبل مدينة الكويت هذا العام لقب عاصمة الثقافة الإسلامية، ويصاحب هذا اللقب الكثير من الفعاليات الثقافية المتنوعة على مدار العام، والتي تبرز مظاهر العناية بالتراث الإسلامي العريق في هذه الأرض المباركة، والكويت عريقة بثقافتها الإسلامية المتسامحة وهي عروس للعلم والأدب في كافة نواحيه، حيث عرف المجتمع الكويتي منذ القدم بأنه مجتمع إسلامي محافظ يتصف بالاعتدال والوسطية، واتسم أفراده بالخلق الإسلامي الرفيع، وكتبت المصادر القديمة والمخطوطات المهمة بعض المظاهر الدينية كالعادات الموروثة عند الأجداد الأوائل والقصص المعبرة والحكايات الجميلة التي تنم عن خلق إسلامي متأصل في شعبها الكريم، وقد عبر الشيخ العراقي عبدالرحمن السويدي عند زيارته للكويت عام 1778م بعد هروبه من مرض الطاعون القاتل والذي أصاب العراق عن إعجابه باهتمام الشعب الكويتي بالفتاوى الدينية حيث ذكر بأن خلال تواجده فيها لمدة تتجاوز الشهر لم يسألوا إلا عن شؤون دينهم الإسلامي الحنيف.

وفي عام 2001م احتفلت دولة الكويت بكونها عاصمة للثقافة العربية وصاحبها الكثير من الأنشطة الثقافية المميزة، وشاركت الرابطة آنذاك في نصيب منها، وسيكون في هذا العام لرابطة الأدباء أيضا نصيبا هاما من المشاركات الأدبية المميزة لتفعيل الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية وتتنوع من أمسيات شعرية ومحاضرات فكرية وغيرها من المشاركات الفعالة.

ونحن في هذا المقام نتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في طباعة هذه السلسلة القيمة من المؤلفات ذات الطابع الثقافي الإسلامي بأقلام أدباء كويتيين لهم بصمتهم في الساحة الأدبية والتي تساهم

في إبراز عناية الكويت في الثقافة الإسلامية من أوجه مختلفة.

ولنا في هذا الإصدار المعنون «الديوان الكويتي في المدائح النبوية» للأستاذ طلال مساعد العامر والذي يضم دراسة مهمة عن ما فاضت به قريحة الشعراء الكويتيين الأوائل في مدح مقام النبي محمد عليه الصلاة والسلام ونماذج رائعة من قصائدهم الشعرية، وأن هذا الموضوع الجميل يعكس عناية المجتمع الكويتي المحافظ بالثقافة الإسلامية وتأصيلها في نفوس أبنائها منذ القدم، ونجد ان الباحث قد بذل جهدا كبيرا في جمع مادة هذا الإصدار القيم وتأليفه ليقدم للمكتبة العربية مطبوعا هاما يضاف إلى رصيد التراث الكويتي الأصيل.

ختاما نسأل الله أن يحفظ الكويت وأهلها، وأن تساهم هذه المطبوعات الأدبية في التعريف بجوانب مضيئة من تاريخ الثقافة الإسلامية بدولة الكويت التي كانت وما زالت تعمل على التقيد بروح الدين الإسلامي وتعاليمه السمحاء في كافة مناحي الحياة داعين الله عز وجل ان يحفظ الكويت وأميرها وأهلها وأن يجعلها منارة علم وثقافة يستظل بها كل محب للخير والسلام والاطمئنان والله ولي التوفيق.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فهذا الكتاب يرمي إلى الجمع بين فضيلتين أدبيتين، وهما فن المدائح النبوية والأدب الكويتي؛ حيث يلتقي هذان الأدبان في بعض تاريخيهما وفي بعض إبداعاتهما.

إذن هما محوران تلتف حولهما هالة من الإبداع والشاعرية والتاريخ.

المحور الأول: فن المدائح النبوية، وهو إحدى أهم حسنات الأدب العربي، ومن أرفع آثار الفكر الإسلامي، فشخصية النبي ﷺ تظل شخصية عظيمة ملهمة للإبداع في أكثر الأدب والعلوم الإنسانية، بل الأدب العربي بمختلف فنونه، وإن مما يدعو إلى الدهشة والعجب أن الأدب العربي الحديث يبدو أكثر احتفاءً بشخصيته وسيرته العطرة.

المحور الثاني: الأدب الكويتي المحمل بعبق التدين والأصالة، والمعبر عن الشخصية الكويتية بمكوناتها وفكرها ونزعتها بكل وضوح، نجد ذلك في اللهجة الكويتية، كما نجد إبداعها في فن الخطبة وما قدمته في هذا السبيل مروراً بأمثالها الدارجة، وفي شعرها الفصيح، في كل هذه الآداب نجد مشرباً صوفياً وروحاً دينية وثقافة إسلامية وحُباً غامراً للنبي ﷺ.

وهذا الحُب الذي هو مادة هذا الكتاب، هو الذي نطقت به دواوين هؤلاء الشعراء الكويتيين عبر تاريخ الكويت.

وقد شرعت أبواب هذا الكتاب بالحديث عن فن المدائح النبوية وما يحمل من الآداب والتاريخ والإيمان، فتحدثت به على النحو التالي:

الباب الأول:

في الفصل الأول منه عن نشأته، ثم في الفصل الثاني عن موقف الإسلام التشريعي ممثلاً بالنبي ﷺ من الإبداع الأدبي، ثم انتقلت في الفصل الثالث إلى الحديث عن أثر شخصيته وسيرته ﷺ في الأدب الحديث في الشعر والنثر والترجمة، ثم اقتربت في الفصل الرابع من مقصدي الأكبر في هذا الكتاب وهو الديوان الكويتي بالحديث عن تفاعل شعراء الخليج العربي مع السيرة النبوية العطرة، عبر استعراض نماذج من مدائحهم في المملكة العربية السعودية وأقاليمها المختلفة من الرياض وجدة ومكة والمدينة والإحساء وشعراء الإمارات وقطر وعُمان والبحرين.

الباب الثاني:

وهو المدائح النبوية في الشعر الكويتي، بدأت طريقي إلى الديوان الكويتي في المدائح النبوية بالحديث عن روح التدين عند المجتمع الكويتي، لأن المدائح النبوية شعبة من هذه الروح ودالة عليها، وهنا تزدحم المشاهد والصور والروايات والذكريات والتي تشهد على روح التدين عند المجتمع الكويتي؛ من علماء وساسة ومستشرقين وأطباء وسواهم، كان هذا هو الفصل الأول في هذا الباب، وهو الذي أفضى بي إلى عالم روحاني جميل وسيرة مؤمنة خاشعة تحلى بها الأدب الكويتي فعكس هذه الروح.

ففي اللهجة الكويتية **أولاً** والتي تتشكل معظمها من اللغة العربية ألفاظاً تعكس النزعة الدينية عند الكويتيين، واللغة أو اللهجة هي مستودع الفكر والعادات والمآثر عند المجتمعات، وعلى سبيل الخصوص وقفت مع الأثر القرآني في اللهجة الكويتية، وهذا المبحث كان ملتقى جهود عدد من الباحثين والكتاب.

وفي فن الخطابة **ثانياً** قدم علماء الكويت وخطباؤها خطباً جليلة وكلمات رائعة، التفت حولها أسماع الجماهير، ووجهت روح التدين عندهم وأمدتهم بثقافة إسلامية أصيلة، كما قدمت الكويت عددا من خطبائها اللامعين الذين ذاع صيتهم في الأقطار، والذين كان لهم أثر واضح في تجديد الخطاب الديني، كمثال الشيخ عبدالله الخلف، والشيخ عبدالله النوري، والشيخ أحمد القطان... وغيرهم من الخطباء. كما كانت لهم خطب وكلمات خاصة في بيان الهدي النبوي.

ثم تحدثت في هذا الفصل **ثالثاً** عن الحِكَم والأمثال الدارجة، وهي من ألصق فنون الأدب العربي بالشعوب والمجتمعات بمختلف فئاتها، وفي الأمثال الدارجة عند أهل الكويت أثر بارز للتدين وللثقافة الإسلامية تبين عن تعلق بشعائر الإسلام وحُب للرسول ﷺ.

أما في الشعر العربي الفصيح رابعاً وهو الفن الذي انبثقت من رحمه مدائح الرسول الأكرم ﷺ، فإن النزعة الدينية لا تُخطئها عين راصد ولا تخفى عن باحث ناقد، وفيه وجدت سيلاً من تسابيح الشعر وأنغام الإيمان وأناشيد التصوف والحُب الإلهي يشدو بها شعراء الكويت بمختلف توجهاتهم ومشاربهم سواء كانوا يساريين أو قوميين أو إسلاميين، ظهرت عندهم هذه النزعة كلٌ بحسبه.

فمن شعر المناسبات الإسلامية والذي يبدي حفاوة أهل الكويت وحبهم لشعائر الإسلام ظهر ذلك من خلال قصائد في الترحيب بشهر رمضان الكريم، والأعياد الإسلامية وشعيرة الحج، ومن مظاهر النزعة الدينية عندهم في الشعر شعر المناجاة والدعاء لله تعالى حتى لتستحيل هذه الأشعار إلى تسابيح مؤمنة وابتهالات خاضعة تعكس حالة شعورية صادقة وتجربة نفسية فريدة.

وفي الفصل الثالث كان الديوان الكويتي في المدائح النبوية الذي احتشدت فيه قرائح شعرائه وشدت به ألسنهم صلاة وسلاماً على رسول الله.

وقد حرصت على عدم الاكتفاء بسرد ترجمة الشاعر، وإنما اتبعتها بحديث موجز عن النزعة الدينية عنده من خلال انتاجه الشعري ومن ثم أوردت القصيدة أو القصائد التي قالها في مدح النبي ﷺ.

وقد أوردت في هذا الكتاب أكثر من خمسة وثلاثين قصيدة لستة عشر شاعر التقت إبداعاتهم على محبة الرسول ﷺ، وصدحت أصواتهم بمدحه.

رتبت الشعراء ترتيباً زمنياً بالأقدم والأسبق وفاةً انتهاءً بالأحياء منهم. أما الشعراء فهم:

- الشيخ الشاعر عبدالجليل الطبطبائي وقصيدته ذات أثر كبير في المجتمع الكويتي قديماً، فقد كانت تنشد في بعض الموالد.
- الشاعر عبدالله الفرج، وهو من أول شعراء الكويت في الفصيح.
- الشاعر فهد العسكر، له قصيدتان في المدائح النبوية وقبل إيرادهما وقفت مع التوجهات الدينية لديه من خلال ديوانه والتي تدفع الاتهامات التي تطعن في دينه.
- الشاعر خالد الفرج، وهو شاعر موهوب له ثقافة وافرة وإطلاع واسع، وثقافته الدينية بالتحديد تظهر من خلال قصائده في المناسبات الإسلامية والمدائح النبوية، إذ أن له قصائد فيها.
- الشاعر صقر الشبيب، والروح الدينية في ديوانه ملفته فهو من أوائل المنادين بتجديد الخطاب الديني، والذي اتهم في سبيل ذلك بالزندقة والمروق من الدين، له قصيدة واحدة في المديح النبوي لكنها تحمل روحاً دينية ثائرة.
- الشاعر محمود شوقي الأيوبي، لو استخلصت قصائده الدينية الإسلامية من دواوينه لكانت ديواناً كاملاً ضخماً، فهو يبدو من خلال دواوينه متفاعلاً مع قضايا أمته الإسلامية تسري في جل

قصائده روح صوفية، له قصائد طويلة في الجانب الديني كقصيدته التي نظم فيها أسماء الله الحسنى، فقصائده تسابيح شعرية، له قصائد كثيرة في المدائح النبوية أوردت منها سبعاً.

- الشيخ الشاعر عبدالله النوري، فهو شيخ الكويت ومفتيها، له علاقة خاصة مع المدائح النبوية، إذ أنه له يد في إحياء مناسبة ذكرى المولد النبوي على الصعيد الرسمي، من خلال اقتراحه مع مجموعة من رجال الكويت بجعل هذا اليوم يوم إجازة رسمية، وعلى الصعيد الشخصي من خلال نشاط الشيخ الدعوي، فقد جمع رحمه الله الكلمات والخطب التي كان يقولها في مناسبات المولد النبوي والهجرة الشريفة والإسراء والمعراج في كتاب أسماه «محمديات»، كما أن له في المدائح النبوية خمس قصائد.
- الشاعر عبدالله سنان، وقد تحدثت عن القصائد الدينية عنده، ثم أوردت قصائده في المدائح النبوية وهي ثلاث قصائد.
- الشاعر عيسى مطر، وهو شاعر مقل ليس له ديوان، وقد ضاع أكثر إنتاجه الشعري، غير قصيدته في المديح النبوي ومقطعات أخرى.
- الشاعر محمد أحمد المشاري، له قصيدة واحدة في المدح النبوي، ويمتاز شعره بصبغة إسلامية، تحدثت عن جانب منها.
- الشاعر الأديب خالد سعود الزيد، سادن الأدب الكويتي، وقفت مع صلواته الشعرية ومراجعاته الذاتية، وله في المدائح النبوية ثلاث قصائد.
- الأديب الكاتب الشاعر عبدالله زكريا الأنصاري، وقد تكلمت حول شاعريته وعاطفته الدينية التي تطل في ثنايا ديوانه، وله في المديح النبوي ثلاث قصائد.
- الشاعر عبدالمحسن الرشيد البدر، وله قصيدة في واحدة في المديح

النبوي.

- الأديب الشاعر أحمد السقاف، وتجربته الشعرية شديدة الاتصال في واقع أمته، والتي تخللتها عاطفة دينية قوية، وله قصيدتان في المدائح النبوية.

- وبهذه القصيدة تنتهي قصائد الكتاب، ولكن القصائد في هذا الموضوع باقية في قرائح شعراء الكويت بقاء ممدوحهم ﷺ في النفوس، سارية في القلوب، مسير ذكره في الأزمان، قد يهيئ الله من يجمع باقة أخرى من أزهار ذكره ﷺ التي يزهو بها ديوان الكويت.

خصوصاً أن هناك عدداً من الشعراء الشباب من شعراء الكويت قد كتبوا قصائد رائعة في غرض مدح النبي ﷺ وجلهم من أعضاء رابطة الأدباء الكويتية.

وقد أثرت أن يتوقف تأريخي للديوان الكويتي في المدائح النبوية عند شعراء القرن الماضي، حتى مواليد الخمسينات من القرن العشرين، وكلهم قد أفضوا إلى ربهم؛ حيث إنهم قد تكاملت تجاربهم الأدبية وزخرت حياتهم بالإنتاج الادبي الوافر، لعل الله أن يسخر من يؤرخ للشعراء الذين جاؤوا من بعدهم ويحصد ما أضافوه في هذا الميدان.

وكم كنت أتطلع أن يشملني هذا الديوان في قائمة شعرائه المغردين في حُب المصطفى ﷺ، وان تنضم باقتي من الشعر في مدحه ﷺ إلى أريج مدحهم الفواح فيه فمما قلت في غرض مدحه الشريف قصيدة بعنوان
«طيف الحبيب» منها:

يا طيف أدرك فؤاداً ذاب وجدانـــــــا
واحمل إليه من المحبوب سلوانـــــــا
يا طيف أدرك محباً والها دنفـــــــا
قد جرب الحب في دنياه ألوانـــــــا
فما رأى الحب والأشواق مجديـــــة

سوى العنى والشقا والعيش حيرانــــــا
حتى أتى كعبة الأشواق قاطبـــــــة
غيثاً مغيثاً لجدب الروح هتانـــــــا
طه الذي كمل المولى خلائقـــــــه
مشى على الأرض بين الناس قرآنـــا
يا طيف يا طيف ماناحت مطوقـــــة
إلاّ وكنتُ لها في الفقد صنوانـــــــا
طيف الحبيب الذي من فيض شرعته
تضلع الناس أخلاقاً وإيمانـــــــــا
أنا الذي منهم أولى بأنفسهـــــــم
قول الحبيب الذي نهوى ويهوانـــــا

في ختام هذه المقدمة أسأل الله تعالى أن يبارك في هذا الكتاب، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون لساناً ناطقاً بحُب الكويت للنبي الحبيب ﷺ، ناب عن أهلها شعراؤها المبدعون في هذا الحُب الطاهر، حتى غدا روحاً تسري في إبداعهم الأدبي لا يغادر قرائحهم ولا تخلو منه دواوينهم، جعل الله الكويت واحة أمن وإيمان وأدامها حرة أبية.

طلال مساعد العامر
النجدي
2015/10/31م

الباب الأول

المدائح النبوية تاريخ وآداب وهوية

- الفصل الأول: تاريخ نشأة المدائح النبوية.
- الفصل الثاني: موقف الرسول ﷺ من الشعر والإبداع الأدبي.
- الفصل الثالث: أثر شخصية الرسول ﷺ وسيرته العطرة في الأدب الحديث.
- الفصل الرابع: المدائح النبوية عند شعراء الخليج العربي.

الفصل الأول

تاريخ نشأة المدائح النبوية

أود قبل الحديث عن المدائح النبوية في الشعر الكويتي، أن أمهد لهذا الموضوع الطريف بمقدمة حول تاريخ المدائح النبوية وأثرها في الأدب الحديث، وذلك لأن جملة مدائح الشعر الكويتي تعتبر من الشعر العربي المعاصر.

لما نشأ النبي ﷺ في كنف عمه أبي طالب، ورأى فيه عمه مخايل النجابة ودلائل الحكمة والرشد قال فيه:

فمن مثلُهُ في الناس أيُّ مؤمِّل ∴ إذا قاسه الحكام عند التفاضلِ
حليمٌ رشيد عادل غير طائش ∴ يوالي إلهاً ليس عنه بغافل
وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه ∴ ثِمالٌ اليتامى عصمةٌ للأرامل

قال أبو طالب هذه الأبيات وهي من قصيدة طويلة أوردها ابن هشام في سيرته لما خشي على رسول الله ﷺ دهماء العرب من أن يؤذوه. وتودد فيها إلى أشراف قومه وذكَّرهم بحرمات مكة علَّهم يكفون أذاهم عنه، ولك أن تعجب من هذا المديح الذي يصدر عن قريحة كافر.

وممن مدح الرسول ﷺ في بداية دعوته في المدينة المنورة حسانُ بن ثابت رضي الله عنه، ومدائحُهُ فيه غرة في جبين تاريخ المدائح في الشعر العربي.

وربما كانت بداية مدائحه مع هجرة المصطفى ﷺ، إذ إنه لما هاجر ﷺ تردد في مكة شعرٌ ذُكِرَ فيه خبرُ مروره بخيمة أم معبد وفيه:

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه ∴ رفيقين حلاّ خيمتَيْ أم معبد

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه قال مجاوباً هذا الشعر بقوله:

لقد خاب قومٌ غاب عنهم نبيُّهُمْ ∴ وقُدِّسَ من يسري إليهم ويغتدي
ترحَّلَ عن قوم فَضَلّتْ عقولُهم ∴ وحلَّ على قوم بنور مجدَّدِ

وقال ﷺ بعد فتح مكة:

عفت ذاتُ الأصابع فالجِواءُ ∴ إلى عذراءَ منزلُها خلاءُ

وهي طويلة جاء فيها:

وقال الله قد أرسلتُ عبداً ∴ يقول الحق إن نقع البلاءُ
ألا أبلغ أبا سفيان عني ∴ مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه ∴ وعند الله في ذاك الجزاء
فإن أبي ووالدَه وعرضي ∴ لعرض محمّد منكم وِقاء

وقد تضمنت هذه القصيدة رداً على افتراءات أبي سفيان ﷺ - قبل أن يسلم - وغيرهِ من شعراء قريش هجاءً لرسول الله ﷺ وأصحابه.

وموقف حسان ﷺ مع وفد بني تميم يمثل ركيزةً مهمة في نشأة تاريخ المدائح النبوية، كان ذلك حينما استدعاه النبي ﷺ ليرد على شاعرهم في عام الوفود.

وقال الزبرقان بن بدر شاعر الوفد مفتخراً بقومه:

نحن الملوكُ فلا حيٌّ يُقارِبُنا ∴ منَّا الملوكُ وفينا تؤخذ البيع

فأجاب حسان ﷺ بقوله:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ∴ قد بيَّنُوا سنةَ للناس تُتَّبَعُ
يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُهُ ∴ تقوى الإله وبالأمر الذي شَرَعوا
أكرِم بقوم رسولُ الله شيعتُهُمُ ∴ إذا تفاوتتِ الأهواءُ والشيع

وهكذا مضت المدائح الزكية فيه ﷺ، رفع رايتها حسان بن ثابت ﷺ وقد شايعه إخوانه من شعراء الصحابة ﷺ ككعب بن مالك وعبدالله بن رواحة وأنس بن زنيم الذي قال فيه الشاعر دعبل الخزاعي فيما رواه ابن حجر: أصدق بيت قالته العرب:

وما حملت من ناقةٍ فوق ظهرها ∴ أبرَّ وأوفى ذمةً من محمد

وهو من قصيدة لأنس بن زنيم قالها في مدحه ﷺ قبل إسلامه.

وعبدالله بن قيس الملقب بالنابغة الجعدي ﷺ الذي قال:

خليليَّ عوجا ساعةً وتهَّجرا ∴ ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذَرا

إلى أن قال:

أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ∴ ويتلو كتاباً كالمجرة نيرًا
أقيمُ على التقوى وأرضى بفعلها ∴ وكنت من النار المخوفة أحذرا

وانضم إلى هذا الموكب الشريف شاعر هرب من جحيم الكفر ولاذ إلى فيء الإسلام فقال قصيدته التي تعد بحق عمدة المدائح النبوية، إنه شاعر ابن شاعر كعب بن زهير صاحب القصيدة الرائعة التي يقول في مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبولُ ∴ مُتَيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ
وما سعادُ غداةَ البَيْنِ إذ رحلوا ∴ إلاّ أغَنٌّ غضيضُ الطَرف مكحولُ

إلى أن قال، وقد أجاد وأبدع بمعاني المدح والاستشفاع:

أنبئتُ أن رسول الله أوعدَني ∴ والعفوُ عند رسول الله مأمول
مهْلا هداك الذي أعطاك ∴ نافلةَ القرآن فيها مواعيظَ وتفصيلُ
إنَّ الرسول لسيفٌ يستضاءُ به ∴ مهندٌ من سيوف الله مسلول

كان ما تقدم لمحة خاطفة حول تاريخ نشأة المدائح النبوية.

* * *

الفصل الثاني

موقف الرسول ﷺ من الشعر والإبداع الأدبي

إن موقف الرسول ﷺ من الشعر موقف واضح، فهو داعم للمشاعر الإنسانية النبيلة، وفي المقابل يمنع الشعر عندما يكون وسيلة للتضليل والانفلات من القيم والثوابت.

لكن يبدو أن هناك نصوصاً شرعية توهم البعض أنها تشي بموقف متحفظ من الشعر كوسيلة إبداعية للتعبير، ومن هذه النصوص قول النبي ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلئ شعراً».

ولا شك أن العالم بنصوص الشريعة، على الإجمال، يخرج بغير هذه النتيجة التي وصل إليها البعض، إذ أن الشعر المحذر منه في الحديث ربما كان المقصود به حينما يكون الشعر غالباً على الذكر والقرآن، أو ربما قصد الشعر الذي طفحت به قرائح المشركين هجاءً للنبي ﷺ والدعوة الإسلامية، وعلى أية حال فإنه يقيناً لم يقصد مطلق الشعر، وإلا لكنا في حرج من مواقفه في أصحابه استنشاد الشعر، وفي حث أصحابه من الشعراء على الذود عنه.

ولعل المطلوب أن تنشأ دراسة أصولية لتلك الأحاديث، تفسرها في ضوء القواعد المعتبرة عند الأصوليين، دون الاقتصار على ظاهر اللفظ الذي قد لا يكون مقصوداً أو قد يكون في حاجة إلى تقييد مطلقه، أو تخصيص عمومه، أو بيان مجمله.

ورائد هذه الدراسة الإمام النووي، فقد قدم قراءة أصولية

للحديث السابق، مطبقاً في ذلك القاعدة التي تنص على أن «ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال»، وذلك في قوله «واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على كراهة الشعر مطلقاً، قليله وكثيره، وإن كان لا فحش فيه... وأما تسميته هذا الرجل الذي سمعه ينشده شيطاناً، فلعله كان كافراً، أو كان الشعر هو الغالب عليه، أو كان شعره هذا من المذموم، وبالجملة فتسميته شيطاناً إنما هو في قضية عين تتطرق إليها الاحتمالات المذكورة وغيرها، ولا عموم لها، فلا يحتج بها والله أعلم».[1]

كما أنه قد يتوهم البعض أن نفي الله تعالى الشعر عن نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾[2]، كان لمنقصة في الشعر، مع كونه ﷺ أفصح العرب، ونشأ في بيئة لا تكاد تخلو من شخص إلاَّ وقد حفظ الشعر أو مارسه، لكننا عند التأمل في أسرار الشريعة وفقه نصوصها نجزم بأن هذا الموقف ما كان إلاَّ صيانة للتشريع ويظهر هذا من التعليلين التاليين:

الأول: لكي لا يتوهم العرب أن القرآن الكريم صدر من قريحة شاعر له في اعتمال الشعر مذهب وسبيل. فليس فيه خيال الشعراء أو رجز الكهان نقير من وهم الواهمين.

الثاني: لكي لا يذهب الرسول ﷺ مذاهب العرب في التفكير والتعبير التي تبعث عليها طبيعة أرضهم، وإلا لتكلف لها ونافس فيها ثم لجاراهم في ذلك إلى غايته حتى لا يكون دونهم فيما تستوقد له الحميةُ وما هو من طبع المنافسة والمغالبة، وهذا أمر كما ترى

(1) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، دار الفكر، بيروت، ط: 3، 1973، م: 8، ج: 5، ص: 14-15.
(2) سورة يس، الآية (69).

يدفع بعضه إلى بعض ثم لا يكون من جملته إلاَّ أن ينصرف عن الدعوة وعما هو أزكى بالنبوة وأشبه بفضائل القرآن، ولا من أن يتسع للعرب يومئذ بد فيقرهم على شيء ويجاملهم على شيء، ومن ثم ينقض شعرهُ أمرَ القرآن عروة عروة.[1]

بل إن الإمام نجم الدين الطوفي قد ذهب لأبعد من ذلك، إذ أنه يرى أن هذا الموقف القرآني من عدم تعليم النبي ﷺ الشعر هو لفضيلة الشعر أيضاً، إذ يقول: لم يمنع - أي النبي ﷺ - تعلم الشعر لرذيلة الشعر، بل لئلا يتهم بأن ما جاء به من القرآن شعر، وهذا ما يؤكد فضيلة الشعر، إذ لو لم تكن رتبته عالية بحيث يشتبه بالمعجز الإلهي لما منع من تعليمه خشية لحوق التهمة له في ذلك، ألا ترى أنه لم يمنع مطلق الكلام، لأنه لا يقارب المعجز الإلهي حتى يشتبه به، فأمنت التهمة.[2]



(1) إعجاز القرآن، الرافعي.
(2) الشعار على مختار نقد الأشعار، نجم الدين الطوفي، ص 10.

الفصل الثالث

أثر شخصية الرسول ﷺ وسيرته العطرة في الأدب الحديث

وشخصية الرسول ﷺ كانت، وما زالت، مصدر إلهام للحركة الأدبية في مختلف عصور تاريخ الأدب العربي سواء كان على صعيد الإبداع الأدبي أو على صعيد الفنون الأدبية.

ففن المعارضات مثلاً كان فناً يتمحور حول القبيلة في الذود عنها وبيان مآثرها وما شاكل ذلك من أغراض، لكنه بعد دعوة النبي ﷺ أصبح له أغراض أخرى لا عهد للعرب بها، كالذود عن الدين الجديد والدفاع عن النبي ﷺ وما ماثله من أغراض تطلبتها طبيعة المواجهة آنذاك، ويظهر ذلك على وجه الخصوص في حث النبي ﷺ شاعره حساناً ﷺ على رد عادية المشركين عنه في قوله: «اهجهم وروح القدس معك».

بل إنك واجد أن وضوح الحق الذي كان يدعو إليه النبي ﷺ، وعظيم شخصيته كان لهما دور كبير في القوة البيانية والتفوق البلاغي الذي ظهر به فريق الدعوة الإسلامية خطابةً وشعراً، حتى قال زعيم وفد بني تميم بعد لقاء وفده بالنبي ﷺ في عام الوفود: «لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا».

كما أن المدائح فيه ﷺ كانت ملهمة لفن آخر بديع ظهر في منتصف القرن السابع الهجري، وقد جمع بين دقة الفن والإبداع الأدبي ألا وهو البديعيات، وهي عبارة عن مجموعة من القصائد غرضها

المديح النبوي وغايتها جمع أنواع البديع ضمن أبياتها، يصب ذلك كله في قالب من البحر البسيط ورويّ الميم المكسورة، هذا القالب الذي اشتهر من خلال بردة البوصيري[1] التي مطلعها:

أمن تذكّرِ جيرانٍ بذي سلم ∴ مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدم

ومن أمثلة البديعات ما جاء في بديعية صفي الدين الحلي حينما مثل لفن من فنون البلاغة وهو التسجيع، وهو تماثل حروف نهايات الفقر، في غرض مدحه ﷺ في قوله:

فِعالُ منتظمِ الأحوالِ مقتحِمِ الـ ∴ أهوالِ ملتزمِ بالله معتصم

هذا من ناحية أثر النبي ﷺ من خلال شخصيته وسيرته وهديه في الفنون الأدبية، أما أثره ﷺ وإلهامه للأعمال الأدبية الإبداعية، فإنه بحر زاخر لا نكاد نبصر ساحله، وفي هذه المقدمات لا يسعني الإتيان بها جميعاً إلاَّ أنه في وسعي أن ألمح لبعضها علنا أن نرتشف من جناها ونقتبس من نورها.

فعلى سبيل المثال الشاعر الكبير أحمد محرم يكتب رائعته التي سميت بالإلياذة الإسلامية بناء على اقتراح تقدم به الأستاذ محب الدين الخطيب، وهو أن تُكتبَ سيرة النبي ﷺ شعراً كما كَتبت الأمم الأخرى ملاحم في سير أبطالها كإلياذة هوميروس، فكتب ديوانه الضخم الرائع ديوان مجد الإسلام، كتب فيه أحداث السرة النبوية بقصائد مختلفة الأوزان والقوافي مرتبة على حسب الترتيب التاريخي لأحداث السيرة النبوية، ومجموع أبيات هذه القصائد يقرب من ستة آلاف بيت مطلعها قوله:

املأ الأرض يا محمّد نورا ∴ واغمر الناسَ حكمةً والدهورا
حجبتك الغيوب سراً تجلى ∴ يكشف الحجْبَ كلها والستورا

والشاعر المسرحي عزيز أباظة كتب ديواناً رائعاً أسماه «من

(1) البديعيات في الأدب العربي.

إشراقات السيرة الزكية»، وهو عبارة عن قصائد حول الأحداث الكبرى من حياة المصطفى ﷺ، ومنه هذه القصيدة التي أبدع فيها الشاعر في تصوير وفاة ﷺ وما اكتنفها من دروس وعبر، يقول رحمه الله في مطلع هذه القصيدة:

رسول الله جئتك في ذنوبي .:. ولستَ ترد مقترفاً فتابا
شفاعتك الكريمة يوم ندعى .:. فنبعث بعد أن كنا ترابا[1]

ومجموع هذه القصائد يربو على الثمانمائة وخمسين بيتاً.

وكذلك فعل الشيخ محمّد عايش عبيد لكن بأسلوب مختلف عن سابقيه، إذ ألف تغريدة السيرة النبوية، وهو كتاب من أربعة أجزاء في مجلدين، نظم فيه سيرة النبي ﷺ من خلال سيرة ابن هشام، وقد غلب عليها النظم والتكلف إلاَّ أنها تعد محاولة مهمة في سياق الكتابة الإبداعية في سيرته ﷺ، وطريقته كانت أن يورد الأبيات في صفحة وفي الصفحة المقابلة لها يأتي بالمعنى الإجمالي لهذه الأبيات. يقول في مطلع ملحمته:

لك يا رسول الله مني هذه تغريدتي
أودعتها مكنونَ صدري بل عصارةَ فكرتي
أشدو بها في حبكم ذاك الذي هو شرعتي
أهديتها لك كي أعبر عن صفاء محبتي[2]

والسيد عبدالحميد الخطيب رحمه الله كتب ملحمته التي أسماها سيد ولد آدم محمّد ﷺ والتي اشتهرت بـ(تائية الخطيب) في سيرة المصطفى الحبيب، والأستاذ عبدالحميد كان مدرساً بالمسجد الحرام ثم أصبح سفيراً للملكة العربية السعودية في باكستان، وقد احتوت تائيته على 2300 بيت من بحر واحد، وهو بحر الكامل وروي واحد وهو

---

(1) من إشراقات السيرة الزكية، عزيز أباظة.
(2) تغريدة السيرة النبوية.

التاء المجرورة، وقد قرظها عدد من المفكرين والأدباء كالدكتور محمّد حسين هيكل والأستاذ حسن البنا والأديب طه حسين، أهداها مؤلفها إلى مالك الملك ذي الجلال والإكرام سبحانه، لم تقتصر تائيته على ذكر سيرته، بل تطرقت إلى شيء من هديه ومعجزاته وتنظيم دولته وغيرها من موضوعات يقول في مطلعها:

الحمد لله الذي قد صير ∴ الإسلامَ دينَ الحق والنصفات
واختار من بين العباد نبيه ∴ خلفاً له في الأرض من نسمات
ليكون واسطةً لنقل أوامرِ ∴ المولى لهم طَرّاً بلا ميزات[1]

والشاعر المبدع أحمد الخاني أضفى في رائعته (ملحمة بدر) بعداً فنياً على الغزوات النبوية، وهي عبارة عن فيض شعري متدفق ثري في ثلاثة مجلدات جعلت من غزوة بدر الكبرى من السيرة النبوية العطرة ميداناً للإبداع الأدبي، وقد قال فيها المحقق عقيل عبدالرحمن العقيل بعد أن ألقيت هذه الملحمة في أمسية شعرية: إن هذه الأمسية دخلت التاريخ، يقول الشاعر أحمد الخاني في مقدمتها:

عزفَ النورُ لحنَهُ البكرَ فجراً ∴ فتهادى بمسمع الخلد نصراً
وشدا السيفُ آيَ لحنٍ نديٍّ ∴ خطَّ بالحب في البطولات سطرا
أبدعَ الخلدُ لحْن حُب وحرب ∴ في الدياجي فكان في النور بدرا[2]

وإلهام النبي ﷺ من خلال شخصيته وسيرته وهديه لم يكن مقصوراً على الإبداع الشعري وإنما كان إلهاماً لجميع أنواع الإبداع الأدبي وصوره، فعلى سبيل المثال نجد الدكتور والروائي الكبير نجيب الكيلاني رحمه الله قد استلهم من سيرة النبي ﷺ أعمالاً روائية كبيرة، ونجوماً لامعة في سماء الإبداع الروائي؛ منها رواية «نور الله» والتي تتمحور حول النبي ﷺ في صراعه مع اليهود والمنافقين ونجاحه الباهر

(1) تائية الخطيب.
(2) ملحمة بدر.

في فتح مكة ونشر الدعوة الإسلامية وقد قال في ختام روايته البديعة: «إن في عصر النبوة خاصة والتاريخ الإسلامي عامةً مجالاً خصباً للأقلام المؤمنة ولذوي العقيدة من الفنانين والأدباء». [1]

وكتب رواية «قاتل حمزة» التي ارتكزت، على قصة وحشي بن حرب قاتل حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وقاتل مسيلمة الكذاب، وهو القائل: «بحربتي هذه قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ حمزة بن عبدالمطلب وشر الناس مسيلمة الكذاب».

كما أنه كتب رواية «فارس هوازن» والتي استوحاها من قصة مالك بن عوف زعيم قبائل هوازن، وكيف أسلم بعد عناد طويل وقتال مرير.

والأمر لا يقف عند هذا الحد، بل إن من الدارسين للأدب والباحثين فيه من يجد أن سيرة النبي ﷺ بما اشتملت عليه من أحداث وغزوات وشخصيات، كان لها بالغ الأثر في إلهام المبدعين في الأدب قديماً وحديثاً، بل بين شعراء شعوب مختلفة ولغات متعددة، كالأدب العربي والتركي والأوردي والفارسي، ولا أكون مبالغاً إذا قلت: والأوروبي كذلك.

فقد كتب الدكتور حسين مجيب المصري ثلاث دراسات تصب في هذا الاتجاه، الأولى غزوات الرسول ﷺ بين شعراء الشعوب الإسلامية، الثانية: الإسراء والمعراج بين شعراء الشعوب الإسلامية، والثالثة: أبو أيوب الأنصاري بين شعراء الشعوب الإسلامية.

وقد عثرت على بحث يؤكد ما سبق للباحثة الألمانية «أنماري شيمل» ذكرته في كتابها «جغرافية الشعراء» جاء فيه قولها:

---

(1) نور الله، نجيب الكيلاني.

«ولدينا من القصائد ما لا يعيه الحصر، ليس بالعربية فقط بل كذلك بالفارسية والتركية والأردية، يشار فيها إلى اسم بدر، حيث دارت الموقعة الشهيرة التي حقق فيها المسلمون أول انتصار حاسم، ولعلكم سمعتم على سبيل المثال بالمرثاة التركية الرائعة للشاعر محمّد عاكف، في رثاء (جناك قلعة شهيداري)، الجنود الذين قتلوا في الحرب العالمية الأولى في معركة الدردنيل عام 1915م، والذين يقارنهم الشاعر بأسود موقعة بدر، أما موقعة خيبر والتي حقق فيها علي بن أبي طالب نصراً مبيناً فنلتقي بها مرات ومرات في التراث الأدبي للعالم الإسلامي». [1]

والمتتبع للمدائح النبوية في العصر الحديث يجد أنها تختلف في كثير من سماتها عنها في العصر القديم، وهذا ما ألمح إلى شيء منه الدكتور أحمد قبش في كتابه النفيس «تاريخ الشعر العربي الحديث»، مع العلم بأنه قد عقد مبحثاً مستقلاً عن محمّد ﷺ في الشعر الحديث يقول في آخره:

«وأكثر الشعراء إيغالاً في الكلاسيكية وجد في نبي الإسلام ﷺ كل ما يريد أن يكون، وعلى رأس هؤلاء يوسف النبهاني الفلسطيني الذي يعد على رأس ناظمي شعر المدائح في العصر الحديث، ثم جاء غنيم والأسمر والماحي وغيرهم كثير. ولكن سمة هذه المدائح تختلف في هذا العصر عنه في العصور القديمة، فقد كان محمّد ﷺ في أيام الفاطميين وما قبلها حلماً ومهدئاً يمسك على الناس حياتهم فيلتفون حوله في استكانة وطمأنينة. أما في هذا العصر فقد أصبح النبي ﷺ بطلاً مجيداً كما هو نبي فريد، محمد ﷺ في هذا العصر يكافح ويرسم الخطط ويحدد المثال، وباسم الإسلام يقود الناس إلى الإسلام، والإسلام من ثم يقودهم إلى الوحدة

(1) جغرافية الشعراء، للباحثة الألمانية " أنماري شميل ".

بإشارات قوية، وفي قصائد عبدالله البستاني ومحيي الدين الخياط وشكيب أرسلان والزهاوي والرصافي والشبيبي وحافظ وشوقي، في قصائد هؤلاء يقف «محمد» على ذرى الوجود حياً وبطلاً يكره الاستبداد. وينادي بالعزة والمجد والسيادة والمساواة، وصور محمد ﷺ على أنه قبس الناس في الملمات يفزعون إليه ويهتدون به ويلتفون حوله، يرى العرب في دولته الأولى وحياته الأولى وحروبه الأولى صورة مخلصة لحياة مخلصة بالفضيلة والمحبة والخير والسلام». [1]

لهذا كان النبي ﷺ ملهماً للشعراء ونافحاً لقرائحهم بالعديد من صور الإبداع الأدبي، إذ إن من الشعراء من عبر عن هذا الإلهام مصرحاً به في شعره، كما قال الأول:

وعلى تفنُّنِ مادحيه بمدحه ∴ يفنى الزمان وفيه ما لم يُوصف

ومن أصدق النماذج المعبرة عن هذا الإلهام ما قاله شاعر الأحساء ابن المقرب (ت 631 هـ) مستلهماً من هجرة النبي ﷺ ما يواسيه في معاناته وتغربه عن دار قومه، إذ يقول:

فإن أرتحلْ عن دار قومي لِنَبْوٍ ∴ ويصبحُ ربعي فيهمُ قد تأبَّدا
فقد رحل المختار عن خير منزلٍ ∴ إلى يثرب تسري به العيسُ مُصْعِدا
وجاور في أبناء قيلة إذ رأى ∴ سبيل القلى والبغضِ من قومه بَدا
كذا شِيَمُ الحر الكريم إذا نَبا ∴ به وطنٌ زمَّ المطايا وأحفادا[2]

وهذا الشاعر أحمد شوقي يقول في قصيدته نهج البردة:

مديحه فيك حب خالص وهوى ∴ وصادق الحب يُملي صادقَ الكلمِ

وفي همزيته عبر عن هذا الإلهام بقوله:

جرت الفصاحةُ من ينابيع النُّهى ∴ من دوحه وتفجر الإنشاء

---

(1) تاريخ الشعر العربي الحديث، د. أحمد قبش، ص 35.
(2) ديوان ابن المقرب، ص 155.

في بحره للسابحين به على ∴ أدب الحياةِ وعلمِها إرساء

وقال في بائيته في مدح المصطفى ﷺ:

فما عرف البلاغة ذو بيـان ∴ إذا لم يتخذك له كتــابا
مدحتُ المالكين فزدتُ قدْرا ∴ وحين مدحتك اجتزتُ السحابا

وعبر الأديب السعودي عبدالعزيز الرفاعي عن إلهام الرسول ﷺ لإبداعه بقوله:

عِيي - وإن عظمتْ به البلوى - وعَىَ
من فيض حبك - ملهماً - ما قد وعى

كما قال الشاعر عامر البحيري:

أنت في ظلها ترد سلامي ∴ وقصيدي لديك كالدر ينثر
لم أقلدك بالمديح ولكن ∴ أنت قلدتني بدر وجوهر

وفيه أيضاً قال الشاعر محمود حسن إسماعيل في حديثه عن غزوة بدر:

هكذا قال لي صدى ملهم الوحي ∴ فأصغيتُ لحظـةً كالمخدَّر
وانتظرت الإلهـام حتى إذا ما ∴ رَنَّ بي هاتفُ الخيال المستر
رجفتْ في الجنان كالزعزع القصَّاف ∴ تغلـي بجانبَـيَّ وتـزأر

وقال الشاعر الكويتي فهد العسكر في قصيدته بسمة ودمعة في مناجاة يوم مولده ﷺ مصرحاً بهذا الإلهام:

وعرائس الإلهام قد طلعت فقُم ∴ وابنِ القوافي وارسم الأوزانا
انظم لآلئَها له وعقيقَها ∴ ثم انثرِ الياقوت والمرجانا

ولم يقف إلهامه ﷺ للإبداع عند المبدعين من شعراء الفكر الإسلامي أو المدرسة التقليدية كما يسميها البعض، بل كان له حضوره عند شعراء من مدارس التحرر والتجديد والحداثة، فهذا الشاعر علي محمود طه وهو من رواد المدرسة البرناسية أو الفنية، وهي المدرسة الشعرية التي ترفع شعار الفن للفن، يلقي قصيدته «صدى الوحي» في حفل تكريم الدكتور محمد حسين هيكل بمناسبة صدور كتابه «حياة

محمد» وقد جاء في قصيدة ما يشي بهذا الإلهام يقول:

إلى جبل النور انتهى سرٌّ وحيه ∴ وما هو إلاَّ ملهمُ اليوم والغدِ
فغنِّ بها الأجيالَ واهتف بآيه ∴ ترانيمَ شادٍ، أو تراتيلَ مُنشد
وأرسله سمحاً من قريحة شاعر ∴ يعيش بروح الصَّبْدَجِيِّ المجدد

وفي هذا المعنى قلت:

ألهمتهم صوغ القصائد فانثنوا ∴ نحو اليراع يدبجون بدائعا
ما قلتَ بيتا في حياتك إنما ∴ نفحتْ خلالك في القريض روائعا
في كل حرف من حروف عَروضنا ∴ حرف شدى في المدح فيك مسارعا
فأصاخت الدنيا لعذب نشيده ∴ ورجت لو الأيامُ كُــنَّ مسامعا

والمدائح النبوية رصيد أدبي كبير للشعوب الإسلامية في مختلف دولها وأقاليمها وشعوبها، كما أنها رصيد مهم للعمل الإسلامي والحركة الإسلامية في كل قطر عربي إسلامي، بل إن المدائح النبوية تعد بحق من أهم منجزات الأدب الإسلامي ومن أهم أصوله، إذ إنها غدت غرضاً مستقلاً من أهم أغراض الشعر العربي، يتراوح عبر تاريخ الأدب العربي بين الجودة والركاكة، والجدة والقدم، والإبداع والتقليد.

وقد تنقلت المدائح النبوية بين أطوار التاريخ الأدبي نقلات مهمة يربط بين أمشاجها خيط رفيع، يمنعها من الانفلات في فجوات التاريخ وتحولاته، ومن التماهي في الفنون الأدبية الأخرى، فمن رحم الدعوة الإسلامية الأولى انبثقت المدائح النبوية على لسان حسان بن ثابت واخوانه من شعراء الصدر الأول؛ حيث كانت أزهى أناشيد الحب الطاهر للنبي الكريم ﷺ، ثم ظهرت في عصر الأحزاب السياسية على ألسنة الشيعة وسيلة لحب آل البيت، يمثلهم في ذلك الكميت ودعبل الخزاعي، ثم ظهرت على لسان الكرامة الصوفية ضرباً من حديث العجائب والمعجزات في برده التصوف، محتفة بأنغام عذاب يصدح بها

البوصيري ومريدوه، وقد غدت المدائح في هذا الطور مناجاة ملهمه للطمأنينة باعثة للخشوع والسكينة.

ثم بعد فترة ولأي جاء العصر الحديث محملاً بتبعات جسيمة أصبحت المدائح النبوية فيه دائرة بين نوح وبكاء على ماضي تليد، وبين أهازيج بطولة وهتاف الثائرين على لسان شوقي والبارودي وعلى محمود طه، بل وحتى بدر شاكر السياب.



الفصل الرابع

المدائح النبوية عند شعراء الخليج العربي

هذا التاريخ الأدبي الحافل للمدائح النبوية لم يكن بمنأى عن الحركة الأدبية في الخليج العربي، فقد كان لهم فيه نصيب لكنه كان ضئيلاً متعثراً، وذلك لأسباب:

1) ضعف الحركة الأدبية بشكل عام نسبةً إلى ما كانت تشهده مصر والشام من نهضة أدبية ملحوظة، وتسيد ثقافي على مستوى المشرق العربي، وتقدم في مجالاته واحتكاك مبكر بالثقافة الغربية.
2) تأخر حركة النشر في عموم دول الخليج العربي سواء في طباعة الكتب أو حركة الصحافة، وهي الحاضنة الأولى لهذه الإبداعات الأدبية.
3) ضمور اللغة العربية أمام لهجات الأقاليم والقبائل، في ظل أمية شائعة وجهل مستشري، فلم تعد اللغة العربية لغة مشتركة ينتقل من خلالها الإبداع الأدبي.
4) تنامي التيار السلفي الذي يرى بدعة الموالد، وامتد هذا الموقف من الموالد إلى تعسف في التعامل مع المدائح النبوية والتي غالباً ما تنشد في مناسبة المولد النبوي، يبرره - بطبيعة الحال - ما رافق بعض هذه الموالد من بدع وخرافات.

على الرغم من هذه الاعتبارات والتي أدت بدورها إلى قلة الإنتاج الادبي عموماً، إلاَّ أن المدائح النبوية أو الإشارة إلى النبي ﷺ أو استلهام المعاني الدينية منه لم ينقطع من ديوان الشعر الخليجي، وذلك لعدة اعتباراً:

1) المقام الديني للنبي ﷺ عند جميع الشعوب الإسلامية وشعوب الخليج العربي هي أمس بهذا المقام العلي جغرافياً ونسباً على أقل تقدير، في الوقت الذي نجد فيه هذا المقام السني حاضراً في

أقصى مجاهل إفريقيا في أشنع ما يكون الجهل والأمية.

5) احتفاء الكثير من شعوب العالم الإسلامي بمناسبة المولد النبوي، والكثير من شعوب الخليج العربي كانت تحتفي به أيضاً وتحتفل به في مكة والمدينة المنورة وجدة والإحساء وعمان والبحرين والكويت، من خلال ما يسمى بـ(المالد).

6) إن الشعر العربي قد سجل حضوراً قوياً في هذه المناسبة الدينية من خلال إنشاء المدائح النبوية المختلفة، وهو أمر ملحوظ عند جميع الشعوب الإسلامية، فهذا الدكتور محمد علي البار، وهو عالم ينافح عن الإسلام من خلال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، قد جاب الآفاق فرصد ظاهرة قصيدة البردة في دورانها على ألسنة الشعوب الإسلامية، يقول:

«وقد وجدت البردة تنشد في اجتماعات أسبوعية منظمة في مكة والمدينة وجدة.. ووجدتها كذلك في مصر واليمن والمغرب العربي بأكمله.. وعندما ذهبت إلى موسكو في مؤتمر الإعجاز العلمي اجتمعت بإخوة من الشيشان فأخبروني أنهم يحفظون البردة.. وأنها تُنشد عندهم أسبوعياً، ولا يكاد بيت في الشيشان لا يعرف البردة ولا يحفظ منها بعض الأبيات.. وعندما ذهبت إلى السنغال أيضاً في مؤتمر عالمي للإعجاز العلمي وجدت الأعداد الغفيرة تحتفل بالبردة وتنشدها وتتمتع بها.. وفي أثناء رحلة إلى جزيرة العبيد وجدت طفلين من السنغال يبيعان بعض الحلويات الرخيصة، ولم يكونا يعرفان العربية أو الإنجليزية، وأنا لا أعرف لغتهم ولا الفرنسية التي يتكلمها كثير من أهل السنغال. فسألتهما هل تحفظان شيئاً من القرآن ففهما السؤال، وقرأ أحدهما الفاتحة بشيء من الصعوبة.. ثم كررت السؤال فقرأ الآخر سورة الإخلاص (قل هو الله أحد) ولم يعرفا غيرهما. ثم تذكر أحدهما فجأة أبياتاً من البردة فأنشدها.. فتعجبت من ذلك أشد العجب!! وفي مدينة كيب تاون بجنوب

إفريقيا وجدت المسلمين هناك ينشدون البردة أسبوعياً.. وفي إندونيسيا وماليزيا وبروناي وجدت أعداداً غفيرة تحتفل بالبردة وتقرؤها أسبوعياً، ثم عجبت أن وجدت في بريطانيا مسلمين ينشدون البردة في بيوتهم كل أسبوع، وما من قطر أو بلد فيه مسلمون إلاَّ وفيه عدد من المسلمين ينشدون البردة ويحفظونها أو يحفظون مقاطع منها. [1]

أما في أدب الخليج العربي فعلى الرغم من ضآلة الإنتاج الأدبي عموماً وضعف الحركة الأدبية إلاَّ أن المدائح النبوية قد حضرت على استحياء هنا وهناك في شعر الخليج العربي في مستهل الحركة الأدبية، ثم أخذت في الظهور أكثر مع ظهور الصحافة والنشر، لكن أقل - بطبيعة الحال - من المدائح النبوية في مصر والشام وبلاد المغرب للاعتبارات السابقة.

ومن أوائل شعراء الخليج العربي الذين أفردوا القصائد في مدح النبي ﷺ الشيخ الشاعر أحمد بن مشرف التميمي، عالم مالكي سلفي، عاش في الإحساء، وأكثر إنتاجه الشعري علمي يصطبغ بصبغة الدعوة والإرشاد، له ديوان مطبوع، توفي عام 1285 هـ. [2]

من قوله في المديح النبوي قصيدة مطلعها:

بات ساهي الطرف والشوق يلح .:. ولبحر الدمع من عينيه سفح

ثم بعد أبيات النسيب خلص إلى مدح النبي ﷺ بقوله:

أحمد البادي إلى سبل الهدى .:. كم بدا منه لأهل الأرض نصح
هاشمي قرشي طاهر .:. حسن الخلق زكي الأصل سمح
هو خير الخلق طراً وبه .:. للنبيين جرى ختم وفتح
فبه قد بدئوا واختتموا .:. فهو كالمسك له في الختم نفح

(1) البوصيري شاعر المدائح النبوية ومرآة عصره، د. محمد علي البار، ص 49.
(2) ينظر: شعراء هجر، د. عبدالفتاح الحلو، ص 97.

فاق في حلم وحكم وحجي ∴ زانه صدق وصبر ثم صفح

وله قصيدة أخرى فائية، تعد من أطول قصائد ديوانه، بدأ فيها بمدح النبي ﷺ وذكر تاريخ مولده مروراً بسيرته العطرة، ثم استمر بذكر وقائع التاريخ الإسلامي يغلب عليها النظم. (1)

كانت هذه القصيدة وأشباهها هي غاية ما فاضت به قرائح شعراء ذلك العصر، من النظم والتكلف والرتابة والتقليد مع القليل جداً من الشاعرية، لكن بعد هذا العهد بعقود بدأت تتطور قليلاً حركة الشعر العربي في الخليج فظهرت على الشعر سيما التجديد في تناول موضوع المدائح النبوية وموسيقى الشعر واختلاف الديباجة وثراء المفردات والأساليب.

بدا ذلك من خلال كوكبة من شعراء الخليج العربي منهم:

- **الشاعر السعودي محمد حسن فقيه**، وهو من شعراء مدينة جدة، لديه شاعرية فياضة غلبت عليها الواقعية والثراء في الموضوعات والمعاني، ديوانه ضخم يقع في ثلاثة مجلدات فيه العديد من قصائد المدح النبوي، منها هذه القصيدة الرقيقة (في رحاب النبوة)، قالها حينما زار قبر النبي الشريف ﷺ فكان محاطاً بجلال مسجده الشريف:

تدفق النور في قلبي وزايله ∴ ظلامُهُ ورأيت الشمس والشهبا
أمام قبر رسول الله أيقظني ∴ من السبات بشير بأن واحتجبا
يقول ويحك قد أيأست داعينا ∴ واخترت دون هداك اللهو واللعبا
قضيت منذ صباك العمر منتشياً ∴ من اللذاذات فاقض الشيب منتحبا

....

يا أيها المسجد الزاكي وصاحبه ∴ يهدي خطانا وينفي الهم والكربا
اعجزت من قال إجلالاً فأسكته ∴ منك الجلال فما أفضى ولا كتبا(2)

---

(1) ينظر: الحركة الشعرية في الخليج العربي، د. نورية الرومي، ص 204.
(2) الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي، ج 15، ص 15.

بالإضافة إلى ما يزيد على عشر قصائد في المديح النبوي متعددة الأوزان والقوافي والبواعث، مثل قصيدته: (نفحات من طيبة):

ألا يا رحاب العز. ما أكرم المثوى ∴ وما أطيب اللقيا، وما أعظم الجدوى

وقصيدته (يوم بدر):

أضاء ببدر للورى الدرب لاحبا ∴ ليستدبروا نحسا ويستقبلوا سعدا

وقصيدته: (في موكب الذكرى النبوية العطرة):

يا رسول الهدى أضاء بك الكون ∴ قرونا كما أضاءت ذكاء

- **شاعر مكة الشاعر حسن القريشي (1927 - 2004م)**: سياسي ودبلوماسي وأديب وشاعر، وهو أحد الشعراء السعوديين الذين كان لهم دور مؤثر في الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، من دواوينه: (مواكب الذكريات - 1951م)، (الأمس الضائع - 1957م)، وآخرها ديوان (ستائر المطر - 1997م).

ومن شعره في المديح النبوي قصيدة له بعنوان (من وحي النبوة)، وهي بمناسبة المولد النبوي:

يا لبشرى علوية الترديد ∴ غمرت بالهدى شعاب الوجود
أطلقي يا سماء أسمى الأناشيد ∴ وضجي يا أرض بالتوحيد

....

هو فجر فرد على غرة الدهر ∴ وعيد مخلد التجديد
ورؤى صاغها الإله فكانت ∴ طلعة فذة لخير وليد
فجرت في الجواء ألوية النور ∴ لتجلو من الظلام العتيد
ورنت للحياة بسامة الثغر ∴ كحلم مجسم منشود[1]

- **ومن الرياض الشاعر الأديب عبدالعزيز الرفاعي**: وهو أديب وباحث في الأدب (1923- 1993م) له اسهامات أدبية وثقافية أهمها تأسيس دار الرفاعي للنشر، وقد نشر فيها دراسات قيمة في الأدب لعدد من كبار الشعراء والأدباء في العالم الإسلامي،

(1) شعراء من الجزيرة العربية، عبدالله الحميد، ص 115.

كما كان يقيم ندوة في داره في كل ثلاثاء، تضم لفيفاً من الأدباء والمفكرين، له عدد من الدواوين، منها: (السلام عليك) وهو قصيدة طويلة مشروحة في مدح النبي ﷺ، وديوان (ظلال ولا أغصان)، أما اسهامه في المديح النبوي، فقوله من قصيدة السلام عليك:

المبدعون - وكيف لي أن أبْدِعا	قطفوا الروائعَ، لم أجد لي مطلعا
ضَفَرُوا لسُدَّتِكَ النجوم وزاحموا	فيها، فما تركوا هنالك موضعا
ذهبوا بمدحك حيثما ذهب الهوى	فحسبتُهم أهدوا إليك روائعا
ولقد ظننتُ بأنهم بلغوا الذرى	فإذا بمجدك لا يزال مُمَنَّعا..
وإذا هم في السفح منك جميعُهم	وأنا المهيضُ أتى لصرحك ظالعا
أنت الثّريا، بل مجراتُ المدى	قد فُقْتَهُنَّ جميعهَن مطالعا

- ومن **القطيف الشاعر عبدالوهاب حسن المهدي**، قال قصيدة: (المثل الأعلى) بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، وقد أهداها إلى رابطة الأدباء الكويتية، نشرت في مجلة البيان الكويتية عام 1969م، وفيها يقول:

شع السنى في مهبط الإيحاء	∴	وحبت إليه بشائر النعماء!!
في ليلة فضية لمحت بها الصـــ	∴	ــــحراء طيف الجنة الزهراء
وتطاولت أرض الحطيم وزمزم	∴	والبيت كاد يميس في خيلاء
وتجمع السمار.. حول بنائه	∴	يستلهمون مشاعر الإيحاء
يتساءلون، وفي السؤال حلاوة	∴	فكأنه... نوع من الصهباء
عن عالم - أدنى ملامح غيبه	∴	- خفق السنى، وتدفق الأضواء
ولد الرسول، فكان في ميلاده	∴	ميلاد دنيا... برة الأبناء[1]

- **الشاعر عبدالحميد الخطيب**: ولا يفوتني بهذا الصدد بأن أنوه بتجربة الشاعر والدبلوماسي السعودي عبدالحميد الخطيب، من خلال تائيته التي نظم فيها سيرة النبي ﷺ وشمائله، والتي بلغت

(1) مجلة البيان.

زهاء ألفي بيت، وقد قرظها جلة من أعلام عصره كالدكتور محمد حسنين هيكل والشيخ محمد آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية والأديب طه حسين، وعلى الرغم مما يسودها من نظم تعليمي إلاَّ أن طه حسين قد بدا معجباً بها، إذ أنه أشاد بشاعريته فيها، فمن عادة الناظمين لهذا النوع من الأغراض أن يلتزموا بحر الرجز وألاَّ يلتزموا بقافية، يقول: «فأما أنت فقد عدلت عن الرجز إلى الكامل، والتزمت القافية في قصيدة بلغت بها الآلاف من الأبيات وفي ذلك ما فيه من قوة وبراعة وامتلاك للنظم وتصرف فيه على ما تحب».

كما أشاد بها الشيخ حسن البنا من خلال تقريظه فهو يقول عنها: «هي بلا شك مجهود شعري رائع يذكر بالحمد والتقدير وخصوصاً في عصر شرد فيه كثرة الشعراء عن الجادة ووقفوا أقلامهم على الغايات الرخيصة في الحياة».

ومنها قوله عن شمائله:

متواصل الأحزان دائم فكره ∴ يزن الكلام بمقتضى الحالات
للحق نصرته ولم يغضب لنفس ∴ أولها يتطلب النصرات
ويريد من أصحابه تبليغ ما ∴ يوصي به من أوجه الخيرات
وسع الأنام بجوده وبخلقه ∴ وبما له من رقة الكلمات[1]

وله معارضة لقصيدة البردة أسماها (نهج البردة)، مطلعها:

أمن تذكر بيت الله والحرم ∴ ووقفة بخضوع عند ملتزم
جرت دموعك فوق الخد منبئة ∴ عما بقلبك من خوف ومن ندم[2]

- **من عمان الشاعر عبدالله بن علي الخليلي (1922 - 2000م):**

وهو عالم قد حاز المعارف الشرعية ونبغ في الشعر، كتب الشعر ولما بلغ العشرين من عمره فاز بالمرتبة الأولى في

(1) ثانية عبدالحميد الخطيب، ص 26.
(2) ابتهالات شاعر، عبدالحميد الخطيب، ص 53.

المسابقة الشعرية الأولى في عمان عام 1976م، له عدة دواوين منها: (من نافذة الحياة) و(وحي العبقرية)، وله مجموعة قصصية شعرية ومقامات أدبية. (1)

للشاعر عبدالله الخليلي في المديح النبوي ثلاث قصائد في ديوانه الضخم «وحي العبقرية»، وقد أجاد في قصائده إجادة بالغة إلاَّ أن أطول هذه القصائد قصيدته: (علم النبيين ﷺ) التي جاءت في مائة وسبعين بيتاً، استعرض من خلالها أهم أحداث سيرة النبي ﷺ مع ذكر شيء من شمائله وأخلاقه، تسري بين أوصالها نفحات روحانية ومواجيد إيمانية، يقول في مطلعها:

نجم السرورُ وجدَّ ما أتطلع ∴ حتى كأني للعناية مطلع
هبط السماءُ إليَّ من عليائها ∴ فتبرجت أرضي فكدت أروعُ

ومما جاء فيها ذكره غزوة أحد، إذ يقول:

ووقفت في أحد وقد وقف القضا ∴ بإزاء شخصك والأسنةُ شُرَّع
ومن الصحابة خَائِضٌ لا ناكص ∴ ومن الصحابة عاطف مترجع
ومن الصحابة من يقيك بنفسه ∴ وقعَ النبال وأنت منه أشجع
حتى إذا انكشف الغِطا عن وجهها ∴ ظهرت وأنت بها الأجلُّ الأرفع
وتبعتهم والمسلمين جراحُهم ∴ محشوةٌ بالصبر لم يتروعوا

وله قصيدة أخرى يبدو أنه يعارض فيها بردة البوصيري بعنوان (بين القبر والمنبر)، مطلعها:

بين الرياض وبين الروح والنغم ∴ حق الأبوة في موصولة الرحم

وجاء فيها:

مني عليك سلام الله ما سجعت ∴ وُرْقُ البيان على دوح من الحكم
مني عليك سلامُ الله ما خفقت ∴ نفسي لحبك بين الشوق والألم
مني عليك سلام الله ما سعدت ∴ روحي بطيفك بين الحلم والحلم
مني عليك تحياتٌ لو انتشرت ∴ بين الورى لاجتواهم طائف الهرم

---

(1) محمد ﷺ ملهم الشعراء، طلال العامر، ص 156.

يا من أجلَّ عن الإطرا وأكبره .:. عن صيغة المدح في معنى وفي كلم
لو ارتقيتُ سماء العرش ممتدحاً .:. إياك كنتُ كأني قط لم أقم
ولو وقفتُ بعلِّيين أنشـــده .:. لهام من في جنان الخلد من نسم
لعل لي وقفه صدقاً تباركني .:. به غدا ويدُ المختار ملتزمي[1]

- ومن قطر الشاعر عبدالرحمن بن قاسم المعاودة (1911 - 1997م): والذي ولد في البحرين ونشأ فيها، ثم نزح إلى قطر بعد مضايقات حكومة البحرين آنذاك في الخمسينيات من القرن الماضي، له عدة دواوين منها: (ديوان المعاودة) و(لسان الحال) بالإضافة إلى عدة مسرحيات شعرية.

وديوانه لسان الحال يحتشد بالمدح النبوي من خلال تفاعله مع المناسبات الدينية كالإسراء والمعراج والمولد النبوي، فهو يقول في ذكرى المولد الشريف:

قلب لسجع حمام الأيك قد طربا .:. ذكرته عصر أحلام وعهد صبا

وبعد مطلعه الغزلي بأبيات ينتقل إلى المديح النبوي:

ولدت باليمن والإقبال فازدهرت .:. بك الديار وولى الشرك منسحبا
تاهت بك العرب بين الناس قاطبة .:. وفاخرت، فعلت بين الملا رُتبـــا
فأنت أعظم خلق الله كلهم .:. وأشرف الناس أما فذةً وأبـــا[2]

وله قصيدة أخرى كذلك تحمل مضامين مقاربة مطلعها:

شددنا نحو روضتك الركابا .:. فزان مسيرنا وزكا وطابا

* * *

(1) ديوان الخليلي.
(2) شعراء معاصرون من الخليج والجزيرة العربية، أحمد الجدع، ص 403.

الباب الثاني

المدائح النبوية في الشعر الكويتي

- الفصل الأول: الثقافة الإسلامية والتوجه الديني في المجتمع الكويتي
- الفصل الثاني: ذكرى المولد النبوي عند المجتمع الكويتي
- الفصل الثالث: التوجه الديني والثقافة الإسلامية في الأدب الكويتي
- الفصل الرابع: المدائح النبوية في الشعر الكويتي

الفصل الأول

الثقافة الإسلامية والتوجه الديني عند المجتمع الكويتي

اتسم المجتمع الكويتي منذ نشأته بحب الدين وشعائره، وعلى البذل والعطاء، وعلى التعاون والألفة، وهذا ما أكده كل من تعرف على الكويت أو حل فيها من العلماء والكُتَّاب والرحالة الغربيين.

فقد زار الكويت المؤرخ العالم الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله السويدي البغدادي سنة 1186 هـ الموافق 1770م، ومكث فيها مدة لانتشار الطاعون في بلدته بغداد، تعرف خلالها على الكويت من خلال أهلها ومساجدها، فوقف على حبهم للدين وتمسكهم بشعائره، يقول: «فدخلتها - أي الكويت - وأكرمني أهلها إكراماً عظيماً وهم أهل صلاح وعفة وديانة، وفيها أربعة عشر جامعاً، وفيها مسجدان، والكل في الصلوات الخمس تملأ من المساجد، أقمت فيها شهراً لم أُسأل فيها عن بيع أو شراء ونحوها، بل أسأل عن صيام وصلاة وصدقة، وكذلك نساؤها ذوات ديانة في الغاية».(1)

وفي منتصف القرن العشرين أي بعد ما يربو على القرن ونصف القرن من زيارة السويدي يزور العلامة أحمد الشرباصي المصري - رحمه الله - الكويت ويقضي فيها أياماً، دون مذكراته فيها ممزوجة بتاريخ الكويت في كتاب أسماه (أيام من الكويت)، كتب فيه فصلاً عن الحياة الدينية في الكويت من خلال حديثه عن مساجدها، فهو يقول:

«ومما يدلك على تأصل النزعة الدينية والطبيعة الإسلامية في

---

(1) من صور الحياة العلمية في الكويت (روضة الأرواح)، ت: محمد بن ناصر العجمي، ص 59.

هؤلاء القوم كثرة المساجد في الإمارة، وازدحامها بالمصلين حتى تضيق بهم على كثرتها وسعتها في صلاة الجمعة، وكثرة الساعين إليها في الفروض اليومية، وحرصهم على سماع العظات الدينية والتأثر بها.

ويوجد في إمارة الكويت ما يقارب ثمانين مسجداً، وفي النية تأسيس غيرها، ومن هذه المساجد ما يقرب من سبعة عشر مسجداً في القرى، والباقي في المدينة وهو يزيد على الستين، وتقام الجمعة في أغلب مساجد القرى، وأما في المدينة فتقام في نحو ثلاثين مسجداً». [1]

ومن الكلمات المشهورة عن مدحت باشا أبي الدستور العثماني أنه نعت الكويتيين بقوله: «وهم يديرون أمورهم حسب الشرع الشريف، ومنهم حاكمهم وقاضيهم فهم شبه جمهورية، وهذا القول دليل على ثقافة الشورى الإسلامية المتأصلة في نفس أهل الكويت». [2]

وعن الحياة الدينية في الكويت يحدثنا علامة اليمن الشيخ محمد بن سالم البيحاني عن زيارته للكويت في أكتوبر سنة 1956م، وقد سره ما وجد في الكويت من عناية بالمساجد والوظائف الدينية ودعم الجمعيات الدينية إذ يقول: «وبنيت المساجد الجديدة وتجدد القديم الخارب منها في داخل المدينة وخارجها، وتولى الإمامة والخطابة فيها علماء دينيون أكفاء يتقاضون من المرتبات ما يكفيهم... وقل ما شئت عن طبع الكتب.. وقيام الجمعيات الدينية والأدبية... [3]

كما زار الكويت العلامة محمد رشيد رضا في عام 1914م، وهذه الزيارة تاريخية ومهمة جداً، إذ أن الشيخ رشيد رضا كان من أكبر أعلام العالم الإسلامي في العلم والأدب والصحافة، والكويت آنذاك كانت في أوائل مدراج النهضة الحديثة في زمن الشيخ مبارك، وقد كان العالم الجليل في ضيافة أمير الكويت الشيخ مبارك، ولقي منه ومن

---

(1) أيام من الكويت، أحمد الشرباصي.
(2) الخليج العربي، قدري قلعجي، ص 621.
(3) أشعة الأنوار عن مرويات الأخيار، محمد بن سالم البيحاني، ص 415.

شعب الكويت حفاوة كبيرة، بهره حينها ما شاهده من ثقافة واسعة وعلم وافر عند نجله الشيخ ناصر، فقد قال عنه أنه كان يشغل عامة أوقاته في مدارسة العلم ومراجعة الكتب حتى صار له مشاركة جيدة في جميع العلوم الإسلامية.

أما الشعب الكويتي فقد احتفى بالشيخ من خلال حضور دروسه التي كان يلقيها كل يوم لمدة أسبوع، يحضر له فيها وجهاء البلد وعامته، يقول:

«وأقمت في الكويت أسبوعاً كنت كل يوم ـ ما عدا يوم البريد ـ ألقي فيه خطاباً وعظياً في أكبر مساجد البلد، فيكتظ الجامع بالناس، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحُب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم، وأما الشيخ ناصر فكان يسأل عن دقائق العلوم في العقائد والأصول والفقه وغير ذلك، على أنه لم يتلق عن الأساتذة فهو من مظاهر الذكاء العربي النادر.[(1)]

وإن أظهر صور الحياة الدينية في الكويت وأجلى مظاهر الثقافة الإسلامية لديهم، هي فضيلة البذل والعطاء وإغاثة الملهوف وإنجاد المنكوب، فقد قال عنهم عالم الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في أثناء حديثه عن مناقبهم:

- مساعدات بعضهم لبعض متواصلة، للمنكوبين والمعوزين من الفقراء واليتامى والمساكين وأبناء السبيل وتجد المساعدات لهؤلاء البائسين لا تنقطع يومياً.
- إكرام الضيف، والأجنبي إذا نزل بساحتهم لا يعد إلاَّ كواحد منهم.
- منازلهم في رمضان مفتوحة لإفطار الصائمين من الفقراء والمساكين، وتجد الفقير في رمضان كالشاة في أيام الربيع.

---

(1) رحلات محمد رشيد رضا، ص 71.

- لا تجد في الكويتي كبرياء، ولا يحتقر الناس مهما كانت منزلته من الرفعة، وهذه الخصلة الشريفة تشمل الأمير والمأمور وأصحاب الوظائف الحكومية.
- جميع الأعمال الخيرية يعملونها بتكتم، ولا يحبون أن يطلع عليها أحد، ولا يتباهون ولا يتفاخرون بهذه الأعمال، بل تنسى كأن لم تكن.

وبالختام أود أن قول الشاعر:

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ∴ وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا(1)

وهذه المناقب التي ذكرها الشيخ يوسف بن عيسى خصوصاً الأعمال الخيرية هي أكثر ما عرف به أهل الكويت من المناقب، فهي صفة كريمة قد جُبِلَ عليها أهل الكويت منذ القدم، ثقافة العطاء والبذل والعمل التطوعي قد ظهرت مخايلها في أهل الكويت منذ أن تأسست الكويت، وقد ذكر مؤرخ الكويت وعالمها الشيخ عبدالعزيز الرشيد جهود الكويتيين المبذولة في إقامة المشاريع الخيرية التطوعية، ومنها ما حكاه من إنشاء المدارس الأهلية وإقامة المشاريع ومنها كذلك إقامة أول جمعية خيرية وكان الهدف منها دعم التعليم الديني، فهو يقول عنها:

كان الغرض من تأسيسها كما جاء في المنشور الذي أذاعته الجمعية إذَّاك (هو إرسال طلاب العلوم الدينية إلى الجمعيات الإسلامية في البلاد العربية الراقية كمصر وبيروت ودمشق الشام وغيرها من أمهات المدن العربية وبذل ما يقتضي لهم من المصارف في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية، وجلب محدث فاضل يعظ الناس ويرشدهم إلى الصراط المستقيم، وكذلك جلب طبيب وصيدلي مسلمين

---

(1) صفحات من تاريخ الكويت، يوسف بن عيسى القناعي، ص 62.

حاذقين لمداواة الفقراء والمساكين وإعطاء العلاجات المقتضية مجاناً، وتوزيع الماء الذي هو من أهم حاجات بلدتنا هذه وتجهيز وتكفين أموات المسلمين الفقراء والغرباء).

افتتحت الجمعية في ربيع آخر سنة 1331هـ وأقيم لافتتاحها حفل ألقيت فيها خطب من بعض الغيورين الفضلاء من بينهم أستاذنا الفاضل الشيخ عبدالله الخلف والمرحوم فرحان الفهد الخالد، وسأثبت هنا نبذة من خطبة الأخير تخليداً لذكره واعترافاً بفضله وغيرته، قال - رحمه الله - بعد مقدمة طويلة أورد فيها آيات كريمة وأحاديث تحث على أعمال الخير والتعاون على التقوى» ولا يخفاكم أن أسلافكم - رحمهم الله - مع عدم امتدادهم في الوقت عمروا المساجد وأوقفوا الأوقاف وهذه أعمالهم بين ظهرانيكم تشهد لهم وأنتم خلف من سلف فلا تكونوا أدنى منهم والله لا يضيع أجر المحسنين، ومن فضل الله قد أفاض الله عليكم نعمته في زمن أميركم المحبوب مبارك الاسم ميمون الطالع مولانا الشيخ مبارك الصباح المشهود له مع أنجاله الكرام بالعدل والإنصاف وحبهم الخير وسعادة الوطن والرعية، أعزهم الله على أعدائهم ووفقهم وهداهم، «فعليكم أيها الإخوان بالتعاون على البر والتقوى واعلموا أن هذه أول جمعية خيرة أسست في بلدنا لمساعدة إخواننا من الفقراء والمساكين والأيتام...إلخ».

وقد جمع في أول الأمر لها كمية وافرة من أموال المحسنين وكثير من الكتب النافعة يرد مناهلها القراء الكرام، ودعي إليها الأستاذ الفاضل المحدث الشيخ محمد الشنقيطي من الزبير ليقوم فيها بمهمة الوعظ والتعليم، ودعي إليها أسعد أفندي أيضاً من البصرة وهو طبيب تركي، وجلب لها ما تحتاجه من أدوية وأدوات، وأسلم في إبان فتحها رجال من اليهود ورجال من النصارى، قامت الجمعية بإيوائهم وشد عضدهم خير قيام. [1]

---

(1) تاريخ الكويت، عبدالعزيز الرشيد، ص 122.

ومن أبرز ما قام به علماء الكويت في دعم الثقافة الإسلامية وتوطيد الحياة الدينية هو تأسيس المكتبات، فلا يمكن نشر الثقافة الإسلامية دون أن تكون هناك مكتبة تشتمل على كتب تعد مراجع لتكوين الثقافة الإسلامية المطلوبة يرجع إليها القراء والباحثون، خصوصاً أن الكويت آنذاك تعاني من تفشي الأمية، فقد كان من أعظم منجزات تلك الفترة - مطلع القرن العشرين - هو تأسيس المكتبات، من هنا سعى علماء الكويت لتأسيس المكتبة الأهلية لتكون رافداً للثقافة الإسلامية وهي التي قال عنها الشيخ عبدالعزيز الرشيد:

ود كثير من أهل الفضل والأدب في الكويت تأسيس مكتبة علمية تضم بين جنبيها من الكتب النافعة المفيدة ما تهذب العقول وتنور الأذهان، سيما وكتب الجمعية كانت محفوظة في بيت آل بدر الكرام، وما زال حديث تأسيسها ليرتادها الناس يتخلل المجالس والأندية إلى أن تحققت المنية على يد الأستاذ الفاضل مصلح الكويت الشيخ يوسف بن عيسى الجناعي، وعلى أيدي إخوان له فضلاء من مواطنيه الغيورين ففتحوها بهمتهم ورتبوا لها على أنفسهم من المال ما يقوم بحاجتها، وجمع في ساحتها كثير من الكتب النفيسة التي تبرع بها المحسنون. (1)

إذن من أهم الروافد الثقافة الدينية لدى المجتمع الكويتي هي المكتبة الأهلية وما أثمرت من توجه لقراءة الكتب الإسلامية، بالإضافة إلى حيازة علمائها للكثير من الكتب والمخطوطات كما يظهر ذلك من مكتبة الشيخ عبدالله الخلف والشيخ يوسف بن عيسى وسواهما من علماء الكويت وتوجيهم للشباب والناشئة للقراءة والإطلاع.

يضاف إلى ذلك استضافة محمد رشيد رضا، والشيخ أحمد الشرباصي، والشيخ محمد بن سالم البيحاني من اليمن، والشيخ المحدث محمد الشنقيطي، ومن بعدهم الشيخ حسن أيوب والشيخ محمد الغزالي

---

(1) تاريخ الكويت، عبدالعزيز الرشيد، ص 123.

وغيرهم كثير من الدعاة والعلماء، وقد تتبع الدكتور وليد المنيس مشكوراً زيارات هؤلاء العلماء والفقهاء والقراء والمفكرين إلى الكويت، مع التعريف بهم في كتابه المهم (الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام)، وعددهم يربو على المائة عالم قد وفدوا إلى الكويت من معظم أرجاء العالم الإسلامي.

ولم تكن هذه الحياة الدينية في الكويت والتوجه الإسلامي الذي فطر عليه أهلها مثار دهشة وإعجاب عند العلماء الذين زاروا الكويت، بل إنها محل إعجاب حتى عند الغربيين الذين وفدوا على الكويت أو عملوا فيها، فمثلاً: الطبيب بنبنجس الذي يعالج المرضى في الكويت عام 1915م عبَّر عن انطباعاته عن حصيلة فترة عمله في الكويت ضمن الإرسالية التبشيرية الأمريكية؛ حيث قال:

«لابُدَّ من القول إن الإسلام في الكويت هو قلعة حصينة لدى الأهالي، فعندما تتمشى قرب الساحل ستشاهد جميع الرجال الموجودين داخل السفن يؤدون الصلاة، بل إني رأيت الأولاد الصغار يؤدون الصلوات بحرص وخشوع لم أر مثله من قبل، وبجانب ذلك نجد المساجد غاصة بالناس في جميع أوقات أداء الصلوات، وأحياناً عندما أتمشى في الأزقة عند الظهر فإنني أسمع القراءات التي تتلى في مدارس الأولاد الدينية. وفي أثناء زيارتي لأحد الرجال في المدينة، والذي كان يتردد على مستوصف الإرسالية لعلاج أحد أطفاله، وجدت في بيته مدرسة تتعلم فيها البنات الصغيرات القرآن وهكذا، وفي كل مكان في المدينة نجد حماسة عظيمة وكبيرة للقيام بالواجبات الدينية، وتؤدى من الجميع بتقوى وورع».

وبمثل هذا الانطباع والإعجاب عبرت الطبيبة كالفرلي، فهي مندهشة معجبة بمحافظة معظم أهل الكويت على الصلاة، وبأثرها على حياتهم الروحية وثقافتهم الدينية، حتى انتقل هذا الشعور إليها فذاقته وأحست به بل وعبرت عنه إذ تقول:

«خمس مرات كل يوم يقوم المسلمون بأداء الصلاة، وكنا نستيقظ أحياناً على صوت المؤذن لصلاة الفجر فيتردد الصوت وأصداؤه في المدينة في اللحظة التي يتبين فيها الخيط الأبيض من الخيط الأسود وعندها معاً يردد المؤذن في كل المساجد النداء للصلاة:

حي على الصلاة
حي على الصلاة
الصلاة خير من النوم

وعندما ينهض رجال المدينة ونساؤها من فراشهم للوضوء، وارتداء الملابس المناسبة ليؤدوا الصلاة بوقار: واقفين ثم راكعين فساجدين يلمسون الأرض بجباههم. ويذهب كثير من الرجال إلى المسجد للصلاة بينما تؤدي النساء الصلاة في البيت، ومرة أخرى عند الظهيرة وثالثة بين الظهر والغروب يصلون العصر وعند الغروب تحل صلاة المغرب وبعدها بفترة قصيرة حين ينسدل الظلام يصلون مرة خامسة».

«ويتوقف المسلمون حيثما كانوا ومهما كان ما يقومون له ليستعدوا للصلاة. وبالنسبة للحريم تختار النساء سجادة للصلاة يحرسنها بعناية من النجاسة والتلوث بأي شيء ويوجهونها بعناية ودقة لتكون في اتجاه المدينة المقدسة: مكة، وعندئذ يتناسون كل العالم حولهم ليذكروا خالقهم ويؤدوا واجبهم نحوه. ولم أتوقف طيلة السنين عن الإحساس بانفعال عاطفي كلما سمعت صوت النداء للصلاة ورأيت المسلمين وهم يصلون. وحريّ بأصحاب الديانات الأخرى أن يتعلموا من المسلمين شيئاً عن جلال ومهابة الصلاة». (1)

* * *

(1) الكويت بعيون الآخرين، د. يوسف عبدالمعطي، ص 140.

الفصل الثاني

ذكرى المولد النبوي في المجتمع الكويتي

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من روافد الثقافة الدينية لدى المجتمع الكويتي، فإن أهل الكويت يولون عناية بالغة بالمناسبات الدينية حتى غدت جزءًا من كيانهم ومكونًا رئيساً للشخصية الكويتية، لهم فيها عادات وتقاليد وأعراف تركت بصمتها على التاريخ الكويتي، مثل الأعياد وشهر رمضان المبارك والإسراء والمعراج والمولد النبوي وسواها، ويحلونها منزلتها من التقديس والإجلال.

ومن ألصق المناسبات فيما نحن فيه من حديث عن المدائح النبوية، هي الشعر الكويتي، هو علاقة الشخصية الكويتية بالمولد النبوي، والذي كان يسمى عند الكويتيين قديماً بـ(المالد)، والمالد هو مولد النبي، وهو ما يذكر فيه من قصائد ملحنة في مدح النبي ﷺ، والمالد المعروف لدى الكويتيين هو ما تقوم به فرقة من النساء أو الرجال تحيي حفلات دينية في ذكر الرسول ﷺ وصحابته ﷺ وبعض الصالحين.

وكان مما يقال في هذه الموالد:

نصبنا الخيام نصبنا الخيام ∴ على بير زمزم نصبنا الخيام
رجال كرام رجال كرام ∴ فمنهم محمد عليه السلام

كما تشتمل هذه الموالد على سرد سيرة النبي ﷺ العطرة، وغالباً ما يتم الاحتفال به في المساجد بعد صلاة العشاء في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول، ويتلى فيه: (مولد البرزنجي) غالباً. ويصحب هذه الموالد عادةً بعض العادات والطقوس التي ليست من الدين في شيء.

وفي مطلع القرن العشرين وفي ظل النهضة العلمية والصحوة الدينية والمد السلفي ممثلاً بالدعوة الوهابية بدأت محاربة مثل هذه البدع والحد منها، كما كانت هناك أصوات لعلماء في الكويت تعتبر المولد

النبوي بدعة يجب الابتعاد عنها، بل ويعتبر هذا التوجه أن المالد ما هو إلاَّ بدعة مستحدثة في المجتمع الكويتي وليست أصيلة فيه، وأن المولد قد وفد إليهم من بعض البلاد الإسلامية كالعراق وإيران ومصر.

فأحد الرواة للحياة الكويتية قديماً يرى أن الكويتيين لا يعرفون هذه الاحتفالات عدا عيدي الفطر والأضحى، بالإضافة إلى ليلة النصف من شعبان، وكانت المسحة السائدة في المجمع الكويتي التوجه بمذهب الإمام أحمد بن حنبل والإمام محمد بن عبدالوهاب، وقد تأثر كثير من الكويتيين بأجواء نجد فهم لا يحتفلون بهذه المناسبة.

والواقع أن المجتمع الكويتي مزيج من هذا وذاك، فيهم من يحتفل بالمولد النبوي، لكن أجواءه فيما يبدو أقل مما هو عليه في مصر والعراق والشام والمغرب، وفيهم من لا يحتفل بالمولد النبوي ولا يراه مناسبة دينية.[1]

وفي سياق آخر فإن بعض وجهاء الكويت لما رأوا أن الحكومة الكويتية في عام 1935م قد جاملت بريطانيا في اعتبار يوم ميلاد المسيح عيداً رسمياً، قاموا بحركة مقاومة هذه الأعياد الدخيلة، تمخضت هذه الحركة عن فكرة اعتبار يوم مولد الرسول ﷺ عيداً رسمياً، تعطل بموجبه الأعمال الرسمية والأهلية، كان من بينهم الحاج سلطان إبراهيم الكليب، كان هذا لترسيخ الثقافة الإسلامية في المجتمع الكويتي والتوجه الديني لديه.

وهذه الدعوة تستند إلى رصيد كافٍ من الاهتمام والعناية عند الكويتيين بذكرى مولد النبي ﷺ، ولم تُبْدِ الحكومة أي معارضة لهذه الفكرة، بل كانت من أكثر المشجعين لها، ففي عصر يوم 12 ربيع الأول 1354 هـ الموافق 1935/06/14م، أُقِيمت أول حفلة من نوعها، إحياءً لذكرى مولد الرسول ﷺ في مسجد السوق الكبير، وألقيت فيها

(1) ينظر بحث: العادات الاجتماعية المرتبطة بالمناسبات السنوية في المجتمع الكويتي، د. يعقوب الكندري، ص 60.

الخطب والقصائد، كان المتكلم الأول فيها هو سلطان إبراهيم الكليب، ومن بين المتحدثين كذلك الكاتب والأديب عبدالله الحاتم، ولأول مرة في الكويت تعطل الدوائر والأسواق أعمالها لهذه المناسبة.(1)

ويبدو أن مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي كانت ملتقى عددا من نخب المجتمع الكويتي وعلمائه، وفيها تكون الخطب والكلمات والتي ربما يستثمرها بعض الدعاة والعلماء لتقديم الاقتراحات ومناقشة الأفكار، بل إن أحد هذه الموالد كان من نتيجة ما قيل فيه من كلمات وخطب إنشاء مدرسة المباركية.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبدالله النوري - رحمه الله - مؤرخاً لهذا الحدث المهم في تاريخ الكويت، ففي ليلة 12 ربيع الأول سنة 1328 هـ الموافق 1910م، وقد اجتمع كثير من الناس في ديوان الشيخ يوسف بن عيسى لسماع قصة المولد النبوي الشريف. ولما انتهى القارئ من تلاوة السيرة الشريفة قام المرحوم السَّيد ياسين الطبطبائي وألقى في السامعين كلمة كان معناها «أيها السادة كلكم حضرتم هنا لسماع قصة المولد أو السيرة الشريفة، وماذا يفيدكم السماع إن لم تقتدوا بنبيكم ﷺ الذي بعثه الله رحمةً للعالمين، إنه لا يمكننا الإقتداء بسنته ما لم نعرف سيرته، ولا نعرف سيرته حق المعرفة حتى نتعلمها، ولا يمكننا أن نتعلم ما لم يكن لنا مدارس ومعلمون، يفيدون النشء، ويحفظون مستقبله. إنه لابُدَّ لنا من سراج يضيء طريقنا المظلم، ولا سراج كالعلم ولا علم بلا مدارس. إذاً فلنتعاون أيها السادة على فتح المدارس المفيدة لنبعد عنا الأمية وخطرها، ونخلص أبناءنا من ظلام الجهل» وقبل أن نبحث في تأثير هذه الكلمة في نفوس السامعين يجب علينا أن نعرف قائلها. إنه السَّيد ياسين بن السَّيد محمد السَّيد عبدالمحسن بن السَّيد ياسين بن السَّيد عبدالجليل الطبطبائي، وعبدالجليل

(1) ينظر كتاب: من هنا بدأت الكويت، عبدالله الحاتم، ص 317.

هو العالم الشاعر الذي قدم إلى الكويت في سنة 1252 هـ واختارها موطناً له.[1]

ويبدو أن هذه العناية بذكرى مولد النبي ﷺ من قِبَل نخب من المجتمع الكويتي من العلماء والخطباء والمسئولين هي التي فتحت باب العناية ببعض المناسبات الإسلامية، كما ذكر ذلك الشيخ عبدالله النوري ـ رحمه الله ـ، الذي أرخ لعلاقة المجتمع الكويتي بهذه المناسبات الإسلامية، وهو ما يؤكد رسوخ هذه النزعة الدينية والثقافة الإسلامية في الهوية الكويتية، إذ يقول:

وبعد؛ فقد كان من عادة الكويتيين فيما مضى من أزمان، الاهتمام باليوم الثاني والعشرين من شهر رجب - يوم الإسراء، أو يوم المعراج - كانوا في نهارها وليلها يعقدون الاجتماعات في مجالسهم، أو مساجدهم، يقرأون قصة المولد بمناسبة ذكرى المولد، أو قصة الإسراء والمعراج بمناسبة ذكراهما؛ وهاتان القصتان لا تتعديان ما كتبه السَّيد البرزنجي وغيره في قصص المولد أو المعراج مما يباع في الأسواق يومئذ.

وفي سنة ألف وثلاثمائة وخمسين وكان المرحوم سلطان الكليب قد كلف من جماعة أخيار بترميم مسجد السوق، فأتمه في مستهل ربيع الأول في تلك السنة، وفي مجلس من المجالس حضر جماعة كلهم حريص على دينه محب لنبيه ﷺ، تحابوا في الله؛ فاقترح عليهم سلطان الكليب رحمه الله بإقامة حفلة لذكرى المولد، بمناسبة انتهاء ترميم المسجد، يقوم في هذه الحفلة خطباء يدلون الناس على سنة النبي ﷺ، ويرشدونهم إليها، لأن الحفلات التي تقام في المساجد والبيوت لا فائدة منها، قد مل الناس سماعها، وليس فيها سوى الغناء بالشعر، والتغني بقراءة السيرة؛ وأول حفلة أقيمت بالمعنى الصحيح، تلك التي أقيمت مساء 12 ربيع أول سنة 1350 هـ في مسجد السوق؛ قرأ فيها المرحوم

(1) قصة التعليم في الكويت، عبدالله النوري، ص 40.

عبدالعزيز حمادة والمرحوم سلطان الكليب، واحمد الخميس، وعبدالله النوري، وغيرهم من شباب ذلك اليوم، ثم استمر الحال حتى تأسست دائرة المعارف، وتعهدت بالقيام بهذه الحفلات.

أما حفلات المعراج، فأول حفلة أقيمت في المدرسة المباركية تلك السنة، على منوال حفلات المولد، وكانت غير سنوية، إذ أن مصاريف الحفلات شاقة، وليس هناك من يقوم بها، أو يساهم بإقامتها.

وأقيمت حفلات لذكرى 17 رمضان - ذكرى بدر - مرتين أو ثلاث مرات في المباركية، وكل هذه الحفلات استلمتها الأوقاف بعد تأسيسها؛ واستمرت في إقامتها والصرف عليها، لكن ذكرى 17 رمضان تركت وأقيم بدلاً منها حفلات لذكرى أول محرم؛ وهي الذكرى التي اتفق عليها سائر المسلمين، وأسموها ذكرى الهجرة.[1]

وأما على مستوى الشعر والأدب فبالإضافة إلى الخطب والكلمات التي كانت تلقى في مثل هذه المناسبة، فإنها كذلك كانت تلقى الأشعار التي يكتبها الشعراء بمناسبة مولد النبي ﷺ، فإحياء هذه المناسبة كان معيناً إبداعياً للأدب العربي الفصيح في الكويت، وباعثاً لإذكاء قرائح شعرائها.

فذكرى المولد النبوي حركت قريحة الشاعر فهد العسكر رحمه الله وهزت أشجانه فقال:

أي يوم هو هذا ∴ إنه يوم سعيد
نوره زاه لماذا ∴ أبهذا اليوم عيد
إن هذا اليوم يوم المولد

ولعبدالرحمن حسن وكان من تلاميذ المباركية من موشحة له تحت عنوان: (ذكرى المولد) في سنة 1349 هـ الموافق 1930م، قالها بمناسبة ذكرى المولد:

---

(1) المحمديات، عبدالله النوري، ص 1.

قد فشا الإسلام لا بالصارم ∴ أو بحكم جائر أو ظالم
بل بعدل ثابت الدعائم
وانمحى البغي كأن لم يكن ∴ ولقى الإشراك سوء المصرع
ربنـــا أرســله للعالمــين ∴ ينقذ العالم من شر مهين
دينه هذا هو الدين المبين
خاب من بدينه لم يؤمن ∴ ثم ولى وهو لم يرتدع[1]

وإن من هذه القصائد ما تكتنفها المجلات والصحف من بين موضوعاتها التي تنشرها، ومثل ما نشرته مجلة البعثة في عدد فبراير سنة 1952م، إذ نشرت قصيدة بعنوان (نهضة الشرق) ألقاها الشاعر عبدالمحسن الرشيد في نادي المعلمين بذكرى المولد النبوي، ومنها:

يا أمة العرب ويا من لها ∴ في سالف الأعصر مجد أثيل
يا من وهبت الناس نور الهدى ∴ والناس في ليل الضلال المهول[2]

وهذا الشاعر الأديب عبدالله زكريا الأنصاري يستثمر مناسبة ذكرى المولد بهذا الإبداع الأدبي وهو قصيدته التي عنوانها: (من وحي المولد):

يا من بمولده تغنى ∴ الكون من قاص ودان[3]

* * *

(1) قصة التعليم في الكويت، عبدالله النوري، ص 70.
(2) أيام الكويت، أحمد الشرباصي، ص 167.
(3) أيام الكويت، أحمد الشرباصي، ص 176.

الفصل الثالث

التوجه الديني والثقافة الإسلامية في الأدب الكويتي

المعاني الدينية والثقافة الإسلامية ليست شحيحة في الأدب الكويتي وليست كثيرة، وإنما هي وسط، وإن كان يتوقع أن تكون كثيرة لا يخلو منها ديوان، والسبب في هذا التوقع هو التكوين الديني المتجذر في شخصية الإنسان الكويتي مثلما اتضح لنا فيما مضى، وكذلك لكون الكويت من دول الجزيرة العربية وهي مهبط الإسلام وأرض الوحي ومنطلق الرسالة إلى الآفاق، وكان ينبغي أن ينعكس هذا السمت الديني على الأدب الكويتي في جانبه الإبداعي.

وأسباب قلة المعاني الدينية في الأدب الكويتي نسبة مع ما هو متوقع في تصوري هي:

أولاً: أن بداية النشر وظهور الصحافة كان متزامناً مع بداية التطور الثقافي وظهور الدعوات الملحة للتجديد في الأدب العربي، وقد كانت الأغراض الدينية في الأدب تعاني من التقليد والجمود على القديم وأن التطرق لها غالباً يكون من الشيوخ والعلماء في نمط تقليدي تعليمي، وبالتالي كانت أغلب الأغراض الأدبية المطروحة في الأدب الكويتي الفصيح في العصر الحديث أغراضاً وجدانية أو سياسية أو اجتماعية.

ثانياً: والسبب الأهم في تصوري هو أن الأدب الكويتي في بداياته كان متأثراً بالمد القومي، وقد قل فيه من يحمل فكراً إسلامياً، والفكر القومي آنذاك كان يطرح على أنه فكر مغاير للفكر الإسلامي وتوجهاته، فعند بعض القوميين كانت تعتبر بعض الأفكار الدينية هي عبارة عن فكر رجعي تقليدي يتعارض مع الطور التجديدي والحداثي الذي تتطلع إليه الحركة الأدبية المعاصرة.

وعلى الرغم من هذه الأسباب التي قد تحد المعاني الدينية والإسلامية من الأدب الكويتي إلاَّ أنها كانت حاضرة فيه شاهدة على أصالة الأدب الكويتي وعلى فطرته الدينية، **ومن مظاهر الثقافة الإسلامية والدينية في الأدب الكويتي**:

*** أولاً - اللغة:**

إن القرآن الكريم تحديداً يعتبر من أبرز مواد معجم اللهجة الكويتية خصوصاً تلك التي تعود إلى أصول عربية، والسبب في ذلك هو تعلق أهل الكويت بالقرآن الكريم، فقد كان القرآن الكريم أهم مواد التدريس في (الكتاتيب) والتي درس فيها أغلب أبناء الكويت منذ نشأة التعليم في الكويت، وقد كان التعليم في نشأته أهلياً ثم مع بداية التعليم الرسمي من خلال إنشاء المدرسة المباركية، تم تأكيد هذا الاهتمام بالقرآن الكريم والحرص على تكريسه في ثقافة الكويتيين من خلال البرنامج التعليمي فيها، فقد كانت الدروس تتراوح بين قرآن كريم من واقع حصتين في اليوم وتفسير وفقه ولغة عربية وتاريخ إسلامي وحساب.[1]

لم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما كان هناك اهتمام كبير في طباعة القرآن الكريم ونشره مع نشأة الطباعة في الكويت، وقد تناوب على هذه العناية بطباعة المصحف الشريف أهل الكويت حكومة وشعباً، وقد تتبع حفاوة أهل الكويت بطباعة المصحف الشريف د. ياسر المزروعي في كتابة تاريخ طباعة المصحف الشريف بدولة الكويت.

ثم إن المواسم الدينية كانت تعزز الثقافة القرآنية قراءة ودراسة وتفسيراً عند أهل الكويت كما هو الحال عند المسلمين جميعاً.

كان من نتيجة كل هذه العناية بالقرآن الكريم سواء من خلال التعليم أو القراءة أو الطباعة أن كانت ألفاظ القرآن الكريم هي مكون

---

(1) قصة التعليم في الكويت، عبدالله النوري، ص 53.

رئيسي من مكونات اللهجة الكويتية، وهذا ما وصل إليه الأستاذ عبدالله الخضري رحمه الله من خلال معجمه الرائع وبحثه النفيس (لهجتنا والقرآن) وهو الذي يتقصى فيه الألفاظ القرآنية في اللهجة الكويتية، مما يؤكد أصالة الثقافة الإسلامية في المخزون اللفظي عند أهل الكويت.

فمن الألفاظ التي يبدو أنهم اكتسبوها من مفردات القرآن الكريم قولهم في اللهجة (رتق) والتي بمعنى الضم والالتحام بين شيئين أو طرفين لشيء واحد كقولهم: ارتق لي هذا الفتق، وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتقاً فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (الأنبياء - 30).

ومن ذلك قولهم: خنس السراج، أي خفض ضوءه، أو فلان خنس أي صمت أو تراجع، وهو مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ (التكوير - 15) بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر[1]، ومن قوله تعالى: ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (الناس - 4) الذي يخنس أي ينقبض ويتوارى إذا ذكر العبد ربه.

ومن مظاهر تأثر اللهجة الكويتية بالقرآن الكريم وألفاظه ومفرداته قولهم الدارج (جوج وماجوج) وهم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم بلفظ يأجوج ومأجوج، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ (الأنبياء - 96) يضربون المثل بهم في الكثرة، وهو ما يوحي به الوصف القرآني.[2]

*** ثانياً - الخطابة:**

الخطبة فن من فنون الأدب العريقة والذي يقال إنه قد نشأت منه سائر الفنون الأدبية، وانه المادة الأولى لها، وقد تعززت مكانته الأدبية

(1) لهجتنا والقرآن الكريم، عبدالله الخضري، (190) - (163).
(2) انظر: معجم الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، محمد بن ناصر العبودي، (ج2/ص292).

بداية الإسلام لارتباطه بكثير من تشريعاته ومناسباته كخطب الجمعة والعيدين والنكاح، كما كان للخطبة أدوار جبارة على الصعيد الدعوي وعلى الصعيد السياسي في تاريخنا الإسلامي.

ونظراً لتعلق أهل الكويت قديماً في المساجد وحفاوتهم بالعلماء والدروس والمواعظ، كان من نتيجة ذلك اهتمامهم بخطبة الجمعة سواء كان من العلماء والخطباء أو من المتلقين، فمثلاً كان الكثير من أهل الكويت يقطعون المسافة البعيدة من أطراف الكويت ليحضروا خطبة الشيخ عبدالله بن خلف بن دحيان.

وبعد عقود تكرر هذا المشهد من الاهتمام بخطبة الجمعة والحضور إليها من أماكن بعيدة للشيخ طايس الجميلي كما حدثني بذلك والدي رحمه الله وهو يصف لي الزحام الشديد في الشارع واتصال الصفوف إلى خارج المسجد والصلاة في الباحات الخارجية.

وكما كان يحدث إلى عهد قريب في مسجد العلبان من الزحام الشديد للاستماع إلى خطبة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز القطان حفظه الله، والذي كانت خطبه ملئ أسماع العالم الإسلامي، فقد كان هو محيي هذا الفن العتيد والذي سقط في شباك التقليد والجمود، يعاني من السطحية والجمود، فجاء الشيخ أحمد القطان الخطيب الكويتي المفوه وأحيي هذا الفن من موته وبعثه من مرقده فكان في زمنه خطيب العالم الإسلامي الأوحد والذي حمل منبره مسئولية التعبير على قضاياه وآلامه وآماله، رافده في ذلك بيئة كويتية نجيبة داعمة، وحرية في التعبير قد كفلها له دستور الكويت.

وقد حضرت خطبه وأنا يافع، وهالني ما شاهدته من تظاهره دينية تعكس التدين الكويتي الأصيل، خطبة رنانة واقعية تهز المشاعر، وتشايع أحداث الأمة، يحمل الخطيب فيها هم وطنه وأمته، يتحدث بلسان المرزوء عن جراحها وبلسان الثاكل عن فقد مقدساتها، وتجد التفاعل الفوري من الجماهير سكون مهيب وعيون شاخصة وجماهير

غفيرة تسد الطرقات، كما تجد أشرطة الكاسيت لهذه الخطب تبلغ الآفاق، وفي أسفارنا كنا نسأل من بين ما نسأل عنه حول الكويت عن هذا الخطيب الظاهرة، وعن آخر خطبه.

وقد جاء الشيخ أحمد القطان بعد خفوت نجم الشيخ عبدالحميد كشك - رحمه الله - بسبب الشيخوخة والتضييق الأمني كمعبر عن قضايا أمته وآلامها وآمالها، علا نجم الشيخ أحمد القطان فخلفه في ريادة هذا الفن حتى صار منبره هذا المنبر الذي لا ينازع في هذا التعبير، والذي أطلق عليه: «منبر الدفاع عن المسجد الأقصى».

وعلى الرغم من هذه العلامات المضيئة في فن الخطابة إلاَّ إنه للحقيقة فإني أقول: أن هذا الفن قد ظل يعاني الكثير من الجمود في العالم الإسلامي بأسره وفي الكويت أيضاً، ويدلك على ذلك شهادة العالم عبدالله النوري رحمه الله، إذ يقول في مقدمة كتابه المنبر: «ثم تركت ما جمد عليه الخطباء في الكويت من ترنيم للخطب أو تسجيع».

كما انتقد رحمه الله نقص أهلية كثير من الوعاظ والخطباء إذ يقول: ونرى وعاظاً لا يعرفون مما يقولون شيئاً يخلطون الغث بالسمين... اتخذوا من جهل المأمومين وسيلة لرواج بضاعتهم، واتخذوا من الزي الخاص بهم خدعة للجاهلين بحقيقتهم....[1]

وقد ظلت مجموعات الخطب التي طبعت تباعاً شاهدة على الثقافة الإسلامية عند علماء الكويت، وعلى أثرها في الأدب الكويتي من خلال الخطب والدروس والمواعظ، ومن هذه المجموعات:

1) الخطب المنبرية العصرية للشيخ عبدالله خلف الدحيان.
2) الرشد للشيخ عبدالله النوري وهو مجموعة من الدروس والمواعظ له.
3) المنبر مجموعة خطب جمعية للشيخ عبدالله النوري.

---

(1) المنبر، مجموعة خطب جمعية، عبدالله النوري، ص 21.

4) خطب منبرية لعلامة الكويت وفقيهها وفرضيها الشيخ محمد بن الجراح.

*** ثالثاً - الحكم والأمثال:**

أمثال وحكم الشعوب مرآة عاكسة لثقافتهم وعاداتهم ولغاتهم وحياتهم الاجتماعية، فهي ديوان عقائدهم وأفكارهم وطبيعة حياتهم، وهي مستودع مفرداتهم وأساليبهم وآدابهم وطرائق تفكيرهم.

وأمثال أهل الكويت هي كذلك تبين عن ثقافتهم وتوجهاتهم وحياتهم، والمطلع على معاجم أمثال الكويتيين يجد عندهم من خلال بعض أمثالهم الدارجة إيماناً بالله تعالى وتمسكاً بثوابت الدين الإسلامي، كما يجد عاطفة دينية وثقافة إسلامية ومفردات قرآنية، ومن أمثلة ذلك قولهم في أمثالهم:

ومن ذلك قولهم: «إذا نسينا الحمد شنصلي به».. مما يؤكد على مكانة الصلاة ومكانة الفاتحة منها عندهم في أبجديات أمثالهم.

وقولهم: «أطهر من حمام مكة».. حضور مكة وجلالها في مخيلة الكويتي في أمثالهم، وهو ما يتوافق مع قداستها في التصور الإسلامي.

وإذا أرادوا أن يؤكدوا أهمية شيء ويبالغوا في ذلك، قالوا: «أفرض من الصوم والصلاة».

وإذا وقعوا في الشدائد لاذوا إلى رحمة الله، فقالوا في أمثالهم: «الله أرحم من خلقه»، وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بوليدها».

ومما يدل على مكانة عيدي الإسلام في نفوس أهل الكويت، أنهم يصفون مثلاً لقاء الأحباب مبالغين في ذلك على عادة ضرب المثال بقولهم: «بالسنة عيدين وهذا الثالث».

وإذا رأوا والداً يرعى ولده ويسهر عليه لمرض ونحوه، يقولون معبرين عن عطاء الوالد أو الوالدة وتضحياتهما: «جزا الوالدين على الله».

وصلاح الإنسان عندهم مقترن بالصلاة، لذا فهم يقولون في أمثالهم: «من رابع المغنين غنى، ومن رابع المصلين صلى»، وقولهم هذا ينظر إلى قول النبي ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

وقد خلصت تجاربهم في الحياة وصعوباتها إلى قولهم في أمثالهم الدراجة: «المسلم مبتلى»، يقولون ذلك تعزية لنفوسهم حيال ما يواجهونه من صعوبات الحياة، وكأن قولهم هذا جاء متأثراً بقول النبي ﷺ: «يبتلى المرء على قدر دينه».

ولكم أن تنظروا إلى عشرات أخرى من أمثال الكويتيين الدارجة بمثل هذا المنظار من تأثرهم بالثقافة الإسلامية وقصص القرآن الكريم ومفرداته، والتدين العميق الذي يحملونه في ذواتهم من مثل قولهم: «المعروف ما يضيع»، وكأنه مستوحى من قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف - 90).

«المقدر كائن»، «الموت برقاب العباد»، من قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فَإِنهُ مُلاقِيكُمْ ﴾ (الجمعة - 8).

«الميت تنفعه رحمة الله»، «نعمة بني إسرائيل»، مستوحى من قصص القرآن الكريم عن بني إسرائيل والمقصود بالنعمة ما انزله الله عليهم في التيه من المن والسلوى وإخراج الماء من الحجر، ويقولونه لمن يكون في رغد من العيش لم يشق به.

«نومة أهل الكهف»، يقولونه لمن ثقل نومه.[1]

ولتعلق الكويتيين بالصلاة جعلوها مضرباً للمثل إذ قالوا في

---

(1) ينظر كتاب الأمثال الدارجة في الكويت، عبدالله النوري.

أمثالهم: «اللي بقلبه الصلاة ما تفوته» [1]. وهو يضرب في الحرص على الشيء أو الإصرار عليه.

ومن مسلماتهم في زمن ضرب مثل هذه الأمثال والحكم، أن عمل الخير أو العطاء أو العمل التطوعي مدخر عند الله لا يضيع، وفي نفس السياق أن الإنسان مهما ظَلِمَ أو اغتُصب حقَّهُ فإن الله لا يضيع صبره على الظلم الذي وقع عليه أو استيفاءه حقَّهُ من ظالمه ولو بعد حين، تجد ذلك في قولهم في مثلهم الدارج، «اللي عند الله ما يضيع» [2]، وهو مقتبس من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف - 30)، وقوله:: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف - 90)

ومن تجاربهم في الحياة أن الاعتماد على الله يساعد في كف ضرر الظالمين والكائدين، فهم يقولون في أمثالهم: «الكايد يحول الله دونه». [3]

ومن أروع أمثالهم وأقوالهم الدالة على التوجه الديني لديهم، قولهم: «من عرف ربه هانت مصيبته». [4]

وإذا أرادوا أن يبالغوا في بخل شخص قالوا: «ما يفطر الصايم»، وهذا القول يقابل ما رسخ في قناعتهم أن من أفضل القربات إلى الله هو تفطير الصائم، وذلك لما رواه زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ قال: «من فطر صائماً كان له مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجرهم شيئاً». أخرجه احمد والترمذي.

وميزانهم في من يحذر منه من الناس، هو مدى خوفه من الله فإن كان يخاف الله تعالى فهو موضع أمن واطمئنان، أما إن كان لا

(1) الأمثال الكويتية المقارنة، أحمد البشر الرومي، (ج1/ص 433).
(2) نفس المرجع السابق.
(3) نفس المرجع السابق.
(4) نفس المرجع السابق، (ج4/ص 434).

يخاف الله فيجب الحذر منه، فعدم خوفه من الله يبيح لـه فعل أي شـيء مهما بلغ ضرره ونكرانه، فهم يقولون: «اللي ما يخاف الله خف منـه»، أو خوف منه.

وهكذا لو ذهبت استقصى الامثال الكويتية لوجدت هذه النزعة الدينية ومؤشرات الثقافة الإسلامية علامة بارزة وعنصراً مهماً في التكوين الثقافي لهذه الأمثال والتي تعكس - بطبيعة الحال - ثقافة المجتمع الكويتي.

*** رابعاً: في الشعر العربي الفصيح:**

إن النزعة الدينية لتبدو جلية في الشعر الكويتي، إذ لا يخلو ديوان من إشارة دينية إما ذكر مناسبة أو دعاء ومناجاة أو طابع قرآني أو إرشاد ونصيحه.. وهكذا. لا أقول هذا القول مبالغاً وإنما هو ما خلصت إليه من خلال استطلاعي على دواوين معظم شعراء الكويت، وهذا ما يؤكد أصالة النزعة الدينية عند المجتمع الكويتي ممثلاً بشعرائهم.

فالشاعر زين العابدين الكويتي يستهل ديوانه كوكبة السعودية بأبيات في الثناء على الله تعالى على وجه التبرك والتيمن، وفيها مناجاة وذكر لله تعالى منها:

يا حي يا قيوم يا من لم يزل ∴ متفرداً خضعت له الأشياء
صمداً قديراً واحداً جَلت له ∴ الآلاء والنعماء والأسماء
لك قامت السبع السماوات العُلى ∴ والعرش والكرسي والجوزاء[1]

وهذه الأبيات وإن كان فيها شيء من النظم التعليمي في بعض أبياتها إلاَّ أنها علامة واقعية على هذه النزعة الدينية، فهذا الشاعر عبدالجليل الطبطبائي وهو من أقدم شعراء الكويت وأزخرهم إنتاجاً له

(1) ديوان كوكبة السعودية، زين العابدين الكويتي، ص 46.

ديوان كبير وهو ديوان: «روض الخل والخليل»، فيه عدة قصائد تحمل طوابع دينية متعددة منها قصيدة في تفسير «الماعون» في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ (الماعون - 7)، بعد أن سُئل عن معناها من بعض أصحابه يقول:

سألتَ عن الماعون في الآية التي ∴ قرأت فخذ مني جواباً محرراً
ثلاثة أقوال بتفسيره أتت ∴ زكاة كذا ما يستعيرونه الورى
كفأس وقدر ثم قالوا ثلاثة ∴ حرام علينا قد منعن بلا أمترا
هي النار والماء الروى وملحهم ∴ بذا البغوي الحبر نص وقررا

وهي نظم خالص لكنها تبين عن التوجه الديني لديه في كتابته الأدبية، ومن شعره الديني هذه الأبيات في التضرع إلى الله:

مولاي أطعمني بفضلك إنني ∴ أيقنت أنك لم تزل بي محسناً
فقصدت بابك راجياً بل عالماً ∴ فقري إلى جدواك مفتاح الغنى
فامنن بفضلك سيدي إني امرؤ ∴ مالي سواك لفاقتي يا ذا الغنى[1]

والمجتمع الكويتي كما ذكرت في فصل سابق يجل المناسبات الدينية ومن أبرز هذه المناسبات والمواسم هو شهر رمضان، فقد كان للكويتيين حفاوتهم الخاصة بهذا الشهر الكريم واستقباله وإحياء لياليه، انعكست هذه الحفاوة والإجلال على أشعارهم التي تعبر عن مواجيدهم، ومنها أبيات لشاعر الكويت خالد الفرج يهنئ بشهر رمضان:

أنعم بشهر قد بدا إقباله ∴ والأجر كلله فتم جماله
فإليك تهنئة أتت من مخلص ∴ تنبيك عن إخلاصه أقواله
والفأل في علياك جاء مؤرخاً ∴ رمضان وافى بالهناء هلاله[2]

وقول الشاعر داود سليمان الجراح، ت: 1957م في وداع رمضان:

لهفي على شهر الصيام قد انقضى ∴ وفراقه بجوانحي شب الغضا

---

(1) روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 569.
(2) ديوان خالد الفرج، ص 251.

كم فيك يا شهر الصيام مزيَّة .:. فلأنت نعم الشهر يا شهر الرضى
بينا يُرى شهر العبادة مقبلاً .:. حتى يُرى عما قليل معرضا
طوبى لمن اعطى العبادة حقها .:. فيه فيمحو الله عنه ما مضى[1]

وقول الشاعر عبدالله سنان في استقبال شهر رمضان عام 1388هـ:

رمضان أشرق نوره الوضاء .:. فالكون يبسم والظلام ضياء
وافى فبات الكون متشحاً به .:. ثوباً قشيبا زانه لآلاء
رمضان يا شهر العبادة والتقى .:. بل - إي وربك - تكثر الآلاء

ثم يمضي السنان مؤكداً من خلال هذه القصيدة عن مدى التصاقه بأمته يشعر بآلامها ويعبر عن محنها ويمزجها في هذه اللحظة الوجدانية فتختلط مشاعر الفرحة بالألم، في ظل احتلال اليهود للأقصى، فهو يقول:

رمضان جئت وفي اللسان تلعثم .:. حجب الكلام وفي العيون حياء
وأخجلتاه أتيت والأقصى كما .:. خلفته متململ بكاء[2]

وبمثل هذه المشاعر الفياضة انطلق الشاعر سليمان الجار الله في الترحيب بشهر رمضان، فقال من قصيدة له بعنوان «شهر رمضان»:

شهر الصيام أظلنا أهلا به .:. يا صاح دع عنك المنام به قم
واضرع إلى الرحمن واطلب عفوه .:. عما اقترفت من الذنوب وتمم[3]

هذه بعض مواجيد شعراء الكويت تجاه شهر رمضان الكريم، والتي ظهرت من خلال قصائدهم.

وهكذا تفاعل الشعر الكويتي مع جل المناسبات الدينية تفاعلاً، ربما يكون مناسباً لحجم الحركة الشعرية في الكويت، خصوصاً في

(1) الشاعر داود سليمان الجراح حياته وشعره، د. يعقوب الغنيم، ص 73.
(2) ديوان الله الوطن، عبدالله سنان، ص 36.
(3) الأعمال الشعرية الكاملة، الشاعر سليمان الجار الله، (ج4 / ص 23).

طور النهضة والتجديد، فقد ظل تفاعل الشعر الكويتي مع المناسبات حاضراً على الرغم من انفتاحه على فضاء واسع من الأغراض الشعرية، والدعوات الملحة للتجديد والحداثة.

فهذا الشاعر عبدالله زكريا الانصاري يكتب قصيدة بمناسبة عيد الأضحى، وقد ألقاها في المدرسة الشرقية الأميرية، وفيها يقول:

فليكن عيدكم أبناءنا ∴ عيد أقوام كرام أمنا
يرحمون البائس المسكين إذ ∴ يجعلون الصدق فيهم ديدنا
فليصافح بعضكم بعضاً ولا ∴ تصبحوا ناساً لئاما جبنا[1]

أما مناسبة الحج فإن لها أثر كبير جداً على المجتمع الكويتي ففي تاريخ المجتمع الكويتي كان دائماً للحج حضوره الخاص وتقاليده المستقلة عند الكويتيين، فمن الاستعداد له إلى الرحلة إلى مكة والمدينة إلى العودة من الحج والتبريكات فيه، كل هذه الحفاوة كان لها انعكاسها على الشعر الكويتي، وهي من المناسبات المهمة التي كانت رافداً للنزعة الدينية في الشعر الكويتي.

ومن أبرز القصائد في هذا المجال قصيدة الشيخ عبدالله خلف الدحيان رحمه الله، وهي تقع في أكثر من مائتي بيت، وهي في وصف حجته من الكويت بطريق القصيم ورجوعه إلى الكويت بالبحر عن طريق بومبي، يغلب عليها النظم لكنها لم تخلُ من ومضات شعرية ممتزجة بعاطفة دينية صادقة، مطلعها:

لنيل العلا والمجد سير الرواحل ∴ يحثثها بالجد كل حلال
ويسعى يطوف البيد لا متوانيا ∴ ويرمي حصى التسويف رمي التكاسل

.... إلى أن وصل إلى الحديث عن الموقف في عرفات الله:

وقوفاً على الانضاء كنا جواسرا ∴ وللدمع سفح من عيون هوامل
لدى عرفات نرتجي كل بغية ∴ حذا الجبل المشهور رجم الفضائل

(1) مرايا الذات، د. سهام الفريح، ص 336.

....

ولما قضينا الحج جئنا بعمرة ∴ بها تم ما رمنا بشد الرواحل
لعل إله العرش يرضى بفعلنا ∴ ويقبله ربي بأجر مقابل
ويمحو دجى التقصير عنا بفضله ∴ ويرحمنا الباري بترك الرذائل[1]

وما دام الحديث عن شعر الشيخ عبدالله خلف، فإن شيوخ الكويت وعلماءها كان لهم إسهام أدبي لا ينكر في الأدب وإن كان لا يخرج عن دائرته الدينية المعهودة، والذي يدور حول المناسبات الدينية ووصف الحياة العلمية في الكويت، من تبادل رسائل المدح والمراسلات العلمية والإخوانية بين العلماء، كما أن العاطفة الدينية والتوجه الإيماني يظهر أحياناً في أشعار الرثاء للعلماء والصالحين سواء من الكويت أو من علماء سائر الأقطار الإسلامية، فهذا شيخ الكويت وعالمها الشيخ عبدالله خلف رحمه الله يرثي الشيخ القاضي ابراهيم بن حمد الجاسر وهو من علماء نجد بقصيدة تظهر فيها النزعة الدينية والعاطفة الإيمانية بجلاء، إذ يقول:

هو ابن جاسر الهمام المرتضى ∴ طود الشريعة ذو العلوم النفع
العابد الأواه مصباح الدجى ∴ بدر الدجنة قدوة المتخشع
لم تلقه الأسحار إلاّ قائماً ∴ في الساجدين وفي الهداة الركع
ومواسم الأيام تشهد صومه ∴ كمجامع للعلم ذات تنوع[2]

وللأسف إن المصادر شحيحة من أشعار علماء الكويت، إلاّ مقطعات ونتف من قصائد للشيخ عبدالله الخلف والشيخ يوسف بن عيسى والشيخ عبدالله النوري، وقد كان التوثيق لأدباء الكويت أسبق من التاريخ والتوثيق لعلماء الكويت، لذلك فإن الكثير من التراث العلمي الكويتي قد ضاع واندثر، فكيف لا يكون تراثهم الأدبي ومراسلاتهم الأدبية عرضة للضياع أيضاً، ولبالغ الأسى هذا ما كان، مع العلم أن

(1) علماء الكويت وأعلامها، عدنان الرومي، ص 220.
(2) الممتحنون من علماء الإسلام، د. سليمان العثيم، ص 578.

الباعثين للحركة الثقافية في الكويت هم العلماء وهم رواد النهضة فيها من أمثال الشيخ عبدالعزيز الرشيد، لكن الكويت بأفرادها ومؤسساتها لم تحفظ الكثير من تراثهم ومكاتباتهم.

ومن صور هذا الأثر الأدبي لحركة الإصلاح الديني هذه القصيدة التي قالها الشاعر عبداللطيف النصف (ت: 1971م) بمناسبة زيارة المحدث العلامة محمد الشنقيطي، وفيها يقول:

أمعطر الإسلام من نفحاته ∴ ومعيد روض الدين وهو نضير
أمحمد أهلاً بعلم محمد ∴ يوحيه فينا المصلح المشهور
كم قد أصبت بنكبة وبمحنة ∴ وكأن أعظمها لديك يسير
الله يشهد حينذاك بأنني ∴ قد كاد قلبي للمصاب يطير
هيهات ينسى الله أجرك بعدها ∴ فاصبر وربك بالعباد بصير[1]

فهي تكشف عن إيمان صادق وشعور حار وحب كبير لعلماء الإسلام، كما تظهر تعاطفاً وجدانياً لجهادهم وتقديراً لما بذلوه من تضحيات في سبيل الإصلاح الديني والعلمي.

وقال الشاعر محمد أحمد المشاري - رحمه الله - في قصيدة له يتحدث فيها عن مشاعره حول حج بيت الله تعالى، وهي وصف بديع لخلجات نفسه في البقاع المقدسة، وقصيدته بعنوان «إلى حرم الله»:

ويا رب هذي جموع الحجيج ∴ تزاحم أفواجها كالخضم
بلبيك لبيك ضجت ألوف ∴ ورددها كل قلب وفم
تكاد تشارك فيها البطاح ∴ وتهتز مما يجيش الأكم
إلى حرم الله جد المسير ∴ وجد الحنين بنا واضطرم[2]

وحينما زار الشاعر عبدالله السنان البقيع بعد أن قضى حجه دون هذه الخاطرة الشعرية:

(1) مجلة البيان، العدد 70، ص 5.
(2) ديوان محمد أحمد المشاري، ص 92.

لاحت طيبة المختـــــار :: ذي القـــدر الرفيـــع
فدخلـــنا بســـلام :: في خشـــوع وخضـــوع
نحن في طيبة قـــرب :: المصطفى الهادي الشفيـــع
دار خير الرســـل و :: الأصحاب أنعم بالجميـــع
فإذا ما مت فيهـــا :: فادفنونـــي بالبقيـــع[1]

ولا أدري لماذا شحت هذه الروح الدينية عند الشاعر محمد الفايز على الرغم من وفرة إنتاجه الشعري، لكن صوراً وطوابع إسلامية تطل بخجل في لوحاته الشعرية وكأنها موجات ضعيفة لا تكاد تبلغ الساحل، على ضعفها إلاَّ أنها تحمل طابعاً دينياً راسخاً وذكريات غائرة في مخيلته استدعتها تجربته الشعرية، وإن زاحمتها بواعث التجديد وصور الطور الجديد، ففي (مذكرات بحار) يبشر أهل الأرض المجدبة ببشائر صواري السفن المحملة بالماء والخير الوفير بقوله:

نفـــر يبشـــر :: أن صاريـــة تلوح
كهلال مئذنـــه :: يغلفها الضبـــاب

صورة البشارة ظهرت على هيئة هلال المئذنة، هذا التصور النفسي للمئذنة وما خلفه من طابع ديني لدى الشاعر، لكن السفينة غرقت قبل الوصول، فيقول لأمينة:

صلي إذن، فالموت أقرب ما يكون
والريح أغرقت السفينة والسماء
حقـدت علينـــا يا أمينـــة

نعم إنها النزعة الدينية هي التي أوحت إليه بأن يوصي أمينة بان يكون آخر عهدها في الحياة هي الصلاة.

ومن مئذنة البشائر مروراً بصلاة الوداع وصولاً إلى (بيت سيدنا) الذي تعلم فيه القرآن الكريم وحفظ منه بعض السور والآيات، وعاش في رحابه، كان هذا في كُتَّاب قريته، والذي وصفه وصفاً

(1) ديوان الله الوطن، عبدالله السنان، ص 34.

مؤثراً، وصف أجواءه الروحانية وأشعة الشمس التي تخترق حيطانه المتهدمة هي إذن ذكريات التربية الدينية في عهد الطفولة:

في بيت سيدنا تعلمنا الكتاب
الحمد لله الذي خلق العظام من التراب
ومن الثقوب الناتئات على الجدار
كعيون أعمى، كالجروح الداميات
ينسل ضوء الشمس من كل الجهات

وهذا الكتاب الكريم الذي حفظ طائفة من سوره وآياته هو الذي عصمه من رهبة لقاء الموت، فهو يقول:

وبكيت من خوف عليه، وليس خوفاً أن يقال
إني قتلت، لأنني أهوى الجميع
وأحفظ الشيء الكثير من الكتاب
القاتلون سيقتلون. وفي السماء
رب سيثأر للضعيف إذا ازدراه الأقوياء[1]

وفي قصيدته الجذور التي يغلفها الرمز ويجتاحها الغموض تومض ومضات إيمانية متقطعة مترددة، ومضات يزاحمها واقع متردي، وأقصى جريح، وعروبة مكبلة باستحقاقات وجودية مريرة، فهو يظهر مسلوب الإرادة مصدوماً بالواقع مستسلماً لأقدار الله تعالى:

لك الأمر لا أمر لدي ولا عذر ∴ ولست الذي من عنده يخرج الأمر

في ما يشبه المناجاة، ويمتد شرر هذا الواقع حتى يخدش منارات الحجاز، وهو بيضه العروبة والإسلام ويروع حمام مكة الذي لم يعرف إلاَّ الأمان، صور قلقة إلاَّ أنها تشير إلى تصور ديني وروح إسلامية تنعكس على إبداع الشاعر محمد الفايز.

ترقى منارات الحجاز وخدشت ∴ نقوشاً على الجدران أظفاره السمر

(1) المجموعة الشعرية، محمد الفايز، ص 55.

وفر حمام عن رواشن مكة ∴ وجفت على الزيتون أوراقه الخضر[1]

والشاعر محمود شوقي الأيوبي، قد ترك لنا تجربة شعرية دينية فريدة وتفاعل إبداعي ثري جداً مع قضايا الإيمان، وربما سنقف مع التوجه الروحي لديه ملياً في أوان الحديث عن ترجمته.

لكننا في صدد الحديث عن النزعة الدينية في الشعر الكويتي، يكفينا أن نأتي بنموذج الأيوبي من خلال قصيدته الطويلة (بلبل الفردوس) والتي نظم فيها أسماء الله الحُسنى، والتي هي فيض إيماني وتسبيح خاشع وعيش روحي في ظلال الأسماء الحُسنى. ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف - 180)، يقول فيها:

على غصن دوح اللطف في روضة الحسنى ∴ فنى وتلاشى كالبخار وقد أنا
فنى في جمال الحق في جنة المعنى ∴ وجرد عن إلهامه الذل والوهنا
وأسكره كأس الهوى المشرق الصافي

وهذا التفاعل الايماني مع أسماء الله الحُسنى عند الأيوبي الذي جئت بنفحة منه منذ قليل، نجده بصورة أخرى عند الشاعر الكويتي عبدالرزاق العدساني من مواليد 1936م، فقد تفاعل مع أسماء الله الحُسنى بطريقته الخاصة، أحصاها على طريقة الشعراء لكن بشكل موجز، فكانت قصيدته ومضة إبداعية استهلها بمطلع إبداعي يقول في قصيدته: (أسماء الله الحُسنى):

أَسَائِلُ طَيراً بالفضاءِ يطيرُ ∴ أللنَّاسِ مِن دُون الإلهِ نَصِيرُ
هو اللهُ ربُّ العرشِ مُبدعُ خلقِهِ ∴ على كلِّ شيءٍ بالوجودِ قَديرُ
هو الواحدُ القهَّارُ والآخرُ الذي ∴ على كلِّ أمرٍ بالعُلوِّ كبيرُ
هو الأولُ الباقي. العزيزُ بما قضى ∴ قويٌّ. متينٌ. ماجدٌ وغيور
هو القابض. المحيي. المميت. مؤخِرٌ ∴ كبير. بديع بالأنام بصير
هو البارئ. النور. المصور. مقسط ∴ هو الواسع. البر. الكريم. شكور
هو الهاديء. الرحمن بالعفو واسع ∴ رؤوف. رحيم للذنوب غفور

(1) المجموعة الشعرية، محمد الفايز، ص 452.

هو الملك. القدوس. هو الحيُّ دائم ∴ لطيف. ودود. خافض وصبور
هو النافع. الضار. الغني. مهيمن ∴ وكل غني بالحياة فقير
هو الظاهر. الفتّاح والباطن الذي ∴ على كل أمر بالوجود ظهير
هو المتعالي. مالك الملك. قادر ∴ سميع وقيُّوم. عليم مجير
هو الخالق. المحصي. الحفيظ لذكره ∴ حسيب. رقيب بالحساب نذير
هو الباسط. الرزاق باسط رزقه ∴ لينعم فيه مؤمن وكفور
هو النافع المعطي المجيب لمن دعا ∴ ورزق الإله بالعطاء كثير
هو الباعث. الجبار مُرسي قواعداً ∴ بواطنُ أرضٍ للجبالِ جُذَورُ
هو المؤمن. المغني. السلام وإنهُ ∴ شهيد رشيد محسنٌ ونصيرُ[1]

ليس هذا الاحصاء الشعري الإيماني لأسماء الله الحُسنى هو الدليل الوحيد على النزعة الدينية عند الشاعر عبدالرزاق العدساني، ولكن ينضم إلى ذلك دليل آخر وهو جعله هذه القصيدة هي أولى قصائد ديوانه المتعدد الأغراض والقصائد وليس بخافٍ قصد التبرك في هذا التقديم، كما تلوح أيضاً في هذه القصيدة ثقافة إسلامية أصيلة، وعقيدة راسخة.

ونجد تلك الطوابع الدينية حتى عند الشاعر الكويتي أحمد مشاري العدواني المعروف بتوجهه القومي والحداثي، وإن كانت تطل بخجل إلاَّ أنها تظهر أثر البيئة والثقافة، فهو يقول في قصيدة له بعنوان (خطاب إلى سيدنا نوح) يواجهك فيها سيل من الإشارات القرآنية التي تبدو بين أسطر هذه القصيدة:

يا نوح أدركْنا
من قبل أن يأتمر الطُّوفانُ بالسفينة
وتفقد الأرض مَظلَّة الضياء
في عالم ألقى المقاليدَ إلى عساكرِ الظلامْ
فشرَّعت له قوانين الحلالِ والحرامْ

(1) ديوان العدساني، ص 13.

وَطَمرتهُ في أحافير الزمانِ قبلَ ألف عامْ

فباعَ دُنياهُ وباع دينَهْ

وقدَّس الصخورَ

صحُفًا وحَجراً

وهامَ في دنيا القبور

فأقام منبراً

تناوبَ الموتى عليه يخطبُونْ

يُكَفِّرون

كُلَّ جيلٍ هَمَّ أن يُفَكِّرا

ويكشِفَ القِناعْ(1)

ثم أنه استدعاء موفق للقصص القرآني في واقع الحياة التي يعيشها الشاعر وما فيها من تقلبات، فمن هو نوح عصره؟ وما هي قوة الظلام؟ وأي طوفان يعني؟ ومن هم الذين يشرعون الحلال والحرام الذين يعنيهم، كل هذه الرموز جسور استدعاها من مخزونه من الثقافة الإسلامية للعبور إلى الواقع المقصود.

وله قصيدة أخرى فيها نزعة دينية متوهجة تعلوها مسحة صوفية، فتح فيها آفاق رحبة لحوار كلامي لا تنقصه الجرأة والتلميح، وهي قصيدة (الناسك وشكوى الشيطان)، فهو يقول على لسان الشيطان:

ربي وأنتَ عالمٌ بأمري

قد ضاق في الحياة صدري

وانكسرت راياتي المنتصرة

أما ترى حتى الغواة الفجرة

جنودي الذين قد أعددتهم

(1) أجنحة العاصفة، أحمد العدواني، ص 17.

حتى يكونوا كفرة
أوسعت دنياهم لهم
حتى غدوا في كل قطرٍ أمةً مؤمَّرة
قد مردوا على شرائعي
وأنكروا صنائعي
فكلما أصغوا إلى المآذنِ المكبِّرة
ارتجفوا رُعبا
وكبروا باسمك يا ربي
ورفضوا ندائي!
إلى الحياة المنكرة
بل سخروا بي قائلين
معذرة
يا أنتَ أين كيدُك العظيم
خسئْتَ يا شيطاننا الرجيم
ما انت إلاَّ مسخرة
فَضَحها قرآنُنا الكريم
وأخذ الإنسان منك عُنْوةً وحرَّره[1]

على الرغم من أن هذه القصيدة تفتح الباب على مصراعيه في تساؤلات ملحة عند الشاعر وعند كثير من أبناء جيله على كثير من الأفكار والقناعات الدينية المتعلقة بالصراع الأزلي ما بين المتكلمين والفرق حول القضاء والقدر ودور الشيطان في الحياة وماذا لو تاب الشيطان، ويبدو أنه كان متأثراً بآراء بعض أدباء جيله كتوفيق الحكيم، الذي طرح هذا الموضوع بأكثر جرأة في بعض رواياته.

---

(1) أجنحة العاصفة، أحمد العدواني، ص 58.

لكن هذا المقطع من القصيدة تحديداً مؤشر على حظ جيد من الثقافة الإسلامية عند الشاعر فهو يتحدث عن جنود الشيطان الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم والسنة المطهرة، مثل قول النبي ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنته» (رواه مسلم)، ويلوح لي قول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ (النساء - 76)، وهذه القصائد في تصوري أنها تمخضت عن تفاعل الشاعر مع الثقافة الإسلامية والنزعة الدينية لديه.

وفي ديوان (غنيت في ألمي) للشاعر د. يعقوب عبدالعزيز الرشيد الأديب ابن الأديب، قد لفه من ظلام الغربة والقلق ما لف صاحبيه، لكن يظل الشاعر الكويتي عصياً على الانقطاع عن دوحة الإيمان، فبين صفحات هذا الديوان تلوح قصيدة (الله) أنشودة صادقة من أناشيد التوحيد، وتسبيحة خاشعة من محراب الكون الفسيح.

هل ركبت البحر يوما .:. فوجدت الموج هولا
وقطعت البيد ظهرا .:. فرأيت البيد سهلا
أم نظرت اليوم حُبا .:. لشروق الشمس صبحا
أم رأيت البدر ليلا .:. والسما والنجم جنحا

وهكذا تمخر سفينة شعره عباب الحياة لتنقلب إلى المتلقي بمشاهد من بديع صنع الله ومعجز خلقه، من مشهد الغيم إلى المزن ثم النهر.. الحقول.. الشمس.. إلى النمل والنحل.. إلخ من مشاهد الكون الفسيح لينتهي في هذه الأسئلة إلى قوله:

كل هذا يا نديمـي .:. صنعة الله العظيـم
يتجلى في عــلاه .:. عند ما يحيى الرميم[1]

والمدهش في الشعر الكويتي أن النزعة الدينية فيه لا تخفى حتى عند الشعراء الذين اتهموا بالزندقة والإلحاد، من مثل الشاعرين

(1) غنيت في ألمي، د. يعقوب الرشيد، ص 85.

فهد العسكر وصقر الشبيب، فالأديب عبدالله زكريا الأنصاري وجد أن الشاعر صقر الشبيب يحمل إيماناً عميقاً دله عليه تراثه الشعري الزاخر، فهو يقول:

«وهناك كثير من قصائده التي توضح فلسفة صقر في الدنيا، ونزظرته في الحياة مثل قصائده (دنيانا سراب) و(دنيا) و(لو قطعوا رأسي)، وهذه القصيدة الأخيرة توضح إيمانه العميق، وفيها رد رادع لأولئك الذين يتهمونه بالكفر والإلحاد، بل إن قصائده التي تدل على إيمانه كثيرة في ديوانه فاقرأ قصيدته (لنعش في الوطن أحباباً)؛ حيث قال:

باسم الديانة ردوا جمعكم فرقاً ∴ والدين جاء لصدع الشمل رآبا

وقصيدته (ذكرى مولد الرسول ﷺ) و(أدّم بك إيماني) التي يقول فيها:

أمَنْ كوّنَ الكون العظيم بما به ∴ من المدهشات الحائرات بها الفكر[1]

وقصيدته (نظرة في السر الأزلي) والتي أورد فيها الكثير من التساؤلات حول مفارقات الحياة في قسمة الأرزاق والفقر والغنى، ونعيم الفاسد والغافل، وشقاء الصالح العاقل، ينتهي بعد هذا الحشد من التساؤلات إلى تقرير حقيقة الإيمان والدخول في حصن اليقين بحكمة الخالق العظيم، نعم إنه سر الخالق العظيم في تصريف شئون خلقه وتقسيم أرزاقهم، فاتقن تدبير أمورهم بنظام محكم أرضى به البرايا دون أن تدركه العقول فاخفى حكمته عن الناس:

تبارك من أدار الخلق طرا ∴ بحكمته وكاتمها الأناما
وناس في بحور الرزق غرقى ∴ وناس حولهم تشكو الأواما
ولكن جل من أجرى فارضى ∴ براياه بحكمته النظاما
فحكمة هذه النظم استسرت ∴ فلم يكشف لها أحد لثاما

أما الشاعر الدكتور خالد الشايجي فدواوينه مكتظة بأناشيد خاشعة

(1) روح القلم، عبدالله زكريا الأنصاري، ص 100.

وإيمان راسخ، يتجلى هذا في غيرته الدينية من خلال ردوده على بعض القصائد التي تشيع الإباحية وتنشر الأفكار المضلة كقصيدة الطلاسم لأبي ماضي، فقد رد عليها بإبداع شعري رصين، إذ أن قصيدته عبارة عن كتيبة إيمانية دحرت نيران ردة الطلاسم وفلول إلحادها.

كان رده رداً متيناً متماسكاً يرتكز على أصالة الإيمان لديه وعلى ثقافة واسعة، وشاعرية فياضة، وهي من أروع ما أنتجته الشاعرية الكويتية، تعبر بصدق عن النزعة الدينية لديه، وعن مكون الثقافة الإسلامية في سلم المعارف عنده، فهو يقول في مطلعها:

قال إيليَّا أبو ماضي بأشعارٍ وطلسمْ
ليس يدري كيف دنياه أتاها وهو مرغمْ
أنت لو تُسأل في الحكمة تبدو أنت أحكَمْ
قلتَ ويْحي كيف أبصرتُ طريقي؟ لست أعلمْ
كيف ترضَىَ صبغةَ الجهـــــــــل لماذا؟
لست تدري

وهكذا يمضي في تدفق شعري يمليه عليه توافق نفسي يرتكز إلى قواعد الإيمان، يعصمه من الانفلات في فضاء القلق وتساؤلات الضياع، كما حدث لأبي ماضي، فهو يستدعي الفطرة الدينية بقوله:

ذاك أن العقل دون الرشد في بعض الأمورْ
فهو بالإحساس يدري وهو بالغيب كفورْ
وهو إن شئتَ درَىَ مثلك أو شئت يحورْ
لو تركتَ العقل للفطرة حراً لن يجورْ
سنة الله ستهديك ولكن....
لست تدري

ثم هو يشرح هذا المقطع من خلال مخزونه المعرفي من الثقافة الإسلامية بقوله:

«ليس من المعقول أن أحداً في مثل سنه وثقافته لا يعلم كيف

ومن أين جاء وما هو مصيره، إنه بلا شك يعلم الجواب الصحيح، ولكنه كما يبدو محتجاً على هذا الوجود الذي يقيده بالأخلاق والقوانين، ويقيد الحرية التي يريدها بلا حدود، وهو لو قال له قائل أنت لا تعلم شيئاً لأغلظ له القول، لقد عاش زمناً بين شعوب متحضرة في أمريكا وغيرها، وتمتع بالحرية المطلقة التي لا تعترف بأية حدود أخلاقية ماعدا الشهوة المادية بأنواعها».

لا يكتفي بهذا الفيض المعرفي من الثقافة الإسلامية، بل يعزز هذا اليقين الراسخ عنده بنصوص الشريعة الإسلامية بقوله:

«خُلِقَ الإنسان على الفطرة وهي الإيمان بالله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف - 172)، ولذلك نرى البعض يعبدون الأصنام والشخصيات التي يعتقدون بقدرتها الفائقة أو الحيوان وغيرها، ذلك أن الإلوهية موجودة في أعماقهم، فإذا لم يرشدوا إلى الإله الحق يتجهون إلى عبادة غيره، ولذلك لم يتركهم الله للضلال فأرسل الرسل والكتب السماوية لتذكيرهم بالعهد والاعتراف بربوبيته وإرشادهم إلى طريقه فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ (طه - 123)». [1]

أقرر هنا أن هذه القصيدة هي من أجلى صور النزعة الدينية والتوجهات الإسلامية في الشعر الكويتي، بل إنها إضافة قيمة فريدة إلى رصيد الشعر العربي الحديث والقديم.

وهذه الفطرة النقية عند الشاعر د. خالد الشايجي كان يبادله فيها مجموعة من شعراء الكويت منهم الشاعر عبدالله السنان، فهو يستنكر شيوع الإلحاد ويستغربه، وكان ولا يزال له دعاه في المجتمع الكويتي وغيره من المجتمعات العربية، وزادت وتيرته بعد الانفتاح على

---

(1) طلاسم أبي ماضي بين المعارضة والتحليل، د. خالد الشايجي، ص 18.

الحضارة الغربية ـ بطبيعة الحال ـ فالشاعر هنا بدافع الغيرة على دينه وثوابته والإشفاق على مواطنيه وبني جلدته ومجتمعه ممن أضر به الإلحاد، يوجه هذه الرسالة الحانية الصادقة إلى الملحد، وقصيدته بعنوان (الملحد):

ثب إلى ربك ثب ∴ وعن الإلحاد تب
تب إلى الله فإن ∴ الله للأكوان رب
عد إلى حضرته واسأله ∴ غفرانا تجب
ما تقربت إليه ∴ تلقه منك اقترب
أيها الملحد إن الدرب ∴ مسدود خرب[1]

* * *

(1) ديوان الله الوطن، عبدالله سنان، ص 28.

الفصل الرابع

المدائح النبوية في الشعر الكويتي

إن المجتمع الكويتي مجتمع عربي مسلم يتمتع بحس ديني إسلامي رفيع، كما اتضح لنا من الصفحات السابقة، كما يتبين كذلك أثر هذه النزعة الدينية لديه على أدبه وشعره، ومن الموضوعات والأغراض الدينية المهمة في الشعر العربي المديح النبوي، وللمديح النبوي حضور في الشعر الكويتي الفصيح بغزارة ملفتة على الرغم من قلة الإنتاج الشعري لدى شعراء الكويت وضعف الحركة الشعرية، وبالذات في مستهل النهضة الثقافية في الكويت، بالإضافة إلى ضعف النشر بالنسبة إلى الدول العربية المتقدمة آنذاك.

وحضور المديح النبوي في الشعر الكويتي بهذه الكثافة له أسباب أهمها:

أولاً: مكانة النبي ﷺ عند المجتمع الكويتي، كما هي عند جميع المسلمين، والتي تظهر من خلال إحياء ذكرى المولد النبوي في المساجد والمعاهد والمدارس والبيوت، والتي كانت تسمى عند الكويتيين قديماً بـ(المالد) ولها أشعار وأناشيد خاصة ينشدها المحتفلون، لكن أخذت هذه العادة في الضمور مع تنامي التوجه السلفي في الجزيرة العربية والذي يبدع الاحتفال بالمولد النبوي، فإن أغلب القصائد في هذا الكتاب قد كتبت بمناسبة ذكرى المولد النبوي كما سيظهر، بالإضافة إلى حرص المجتمع الكويتي على إقامة الشعائر الإسلامية وفيها بطبيعة الحال إحياء لسنة النبي ﷺ وذكر لسجاياه.

ثانياً: استثمر علماء الكويت هذه المناسبة لإحياء أخلاق النبي ﷺ والتذكير بقيم سيرته العطرة، وكان من هؤلاء العلماء الشيخ

يوسف بن عيسى القناعي ـ رحمه الله ـ، والشيخ عبدالله النوري ـ رحمه الله ـ، ففي ذكرى المولد قال قصيدته والتي أوردتها في كتابي هذا:

فمولد المصطفى عيد لأمته ∴ تحيى به ذكره أعظم به ذكرى
لأن مولده نور ومنشأه ∴ رشد ومبعثه للفوز بالأخرى

ثالثاً: العاطفة الدينية عند عموم المجتمع الكويتي، وهذه العاطفة الدينية هي أبرز البواعث على هذا المديح النبوي، وقد قدمت قبل هذا الفصل بما شهد به علماء الكويت وعلماء العالم الإسلامي الذين زاروا الكويت، وبما شهد به بعض الغربيين الذين زاروا الكويت أو عملوا فيها، على النزعة الدينية عند المجتمع الكويتي.

وقد وقفت على مقطعات كثيرة في مدح النبي ﷺ، بل وعلى إشارات للنبي ﷺ، أو إلى مواضع من سيرته ﷺ في ديوان الشعر الكويتي.

ومثالاً على ذلك ما جاء في ديوان الشيخ المؤرخ الشاعر عثمان بن سند ـ رحمه الله ـ من إشارات كثيرة إلى النبي ﷺ وسيرته وآل بيته وصحابته، من ذلك قوله في مدح النبي ﷺ والثناء على أصحابه ﷺ، والإشارة تحديداً إلى صحبة أبي بكر الصديق ﷺ للنبي ﷺ وفضله:

منازل فضل كان في عرصاتها ∴ ذيول برود الوحي منسحبات
فحل أخو تيم رباها وإنما ∴ أخو الفضل من يستوطن الربوات
وما شأنها بل زانها باتباعه ∴ محجة مأمون من النزغات
نبي على نهج الهدى دل صحبه ∴ فساروا به قصداً بلا عثرات
على سمحة لم يثنهم عن سبيلها ∴ تشعب معوج من الطرقات
فهديهم من هديه وهو نير ∴ فمن مال عنه سار في ظلمات

وما افترقت منهم قلوب عن الهدى ⁙ وإن ترها في الفضل مفترقات[1]

وقوله في ختام قصيدة في مدح الآل والصحابة ﷺ:

إليك صديق خير الخلق بكر ثنا ⁙ زُفت إليك وإبداعي لها حُلل
جاءتك ترفل بالإخلاص من رجل ⁙ حلاله في هواك الضرب والرمل
جعلتها جنة يوم القيامة لي ⁙ عن الجحيم إذا ما أوبق الزلل
هل قائل انت عثمان له سند ⁙ يوم القيامة مرفوع ومتصل
صلى على خير غر الرسل خالقُه ⁙ ما أورق البان أو ما هبت الشمل
مع السلام وصحب أنت قدوتهم ⁙ وعترة بعلي القدر قد كملوا[2]

ومن الجميل أن تعبر هذه الأبيات عن طبيعة الثقافة الكويتية بحبها لآل البيت والصحابة ﷺ من خلال هذا المزج اللطيف بين أبي بكر وعلي والصحب والعترة الشريفة.

ومن هذه المقطعات في المدح النبوي قول الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ـ رحمه الله ـ:

يا رحمة للعالمين ⁙ ويا منارا للهدى
يا صاحب الخلق العظيم ⁙ وبحر جود بالندى
ماذا يقول الواصفون ⁙ بوصف مسك مذ بدا
وبما يقول المادحون ⁙ بشعرهم إذا شدا
فالله زادك بالثنا ⁙ وكفى بربك مسعدا
أهدي إليك فريدة ⁙ ويعوقها طول المدى
فعسى الأثير بحملها ⁙ يكون عني منشدا
وعسى القبول يزفها ⁙ إليك يا علم الهدى
شوقي إليك يهزني ⁙ ما مر ذكرك بالندى
ويصدني عن هجرتي ⁙ ألم ألم فاقعدا
فأقبل فديتك سيدي ⁙ عذري وكن لي مرشدا
وعليك يا خير الورى ⁙ مني السلام تعبدا[3]

(1) ديوان الصارم القرضاب، عثمان بن سند، ص 123.
(2) ديوان الصارم القرضاب، عثمان بن سند، ص 200.
(3) علماء الكويت وأعلامها، عدنان بن سالم الرومي، ص 480.

وقال الشاعر فهد العسكر في ومضة شعرية في صباح يوم ذكرى مولد النبي ﷺ:

أي يـــوم هو هـــذا ∴ إنه يـــوم سعيـــد
نـــوره زاه لمـــاذا ∴ أبهذا اليـــوم عيـــد
إن هذا اليـــوم يوم المولـــــد

وقال عبدالرحمن حسين شاب كويتي شاعر، كان من تلاميذ المباركية ثم تحول إلى الأحمدية من موشحة له تحت عنوان (ذكرى المولد) في سنة 1930م:

قد فشا الإسلام لا بالصـــارم ∴ أو بحكم جائر أو ظالـــم
بل بعدل ثابت الدعائـــم
وانمحى البغي كأن لم يكن ∴ ولقى الاشراك سوء المصرع
ربنا أرسله للعالمـــين ∴ ينقذ العالم من شر مهين
دينه هذا هو الدين المبين
خاب من بدينه لم يؤمـــن ∴ ثم ولى وهو لم يرتـدع[1]

وقد نظم الشيخ محمد الرومي - رحمه الله - (ت: 1966م)، نسب زوجات النبي ﷺ، مستدركاً على المنظومة المسماه (عقيدة العوام) للشيخ أحمد المرزوقي المكي، إذ أن المرزوقي ذكرهن - رضي الله عنهن - دون تعريف بهن بقوله:

عائشة وحفصة وســـودة ∴ صفية ميمونة ورملـــة

فنظم الشيخ محمد الرومي منظومة ذكر فيها نسبهن والتعريف بهن وجاء فيها:

خيرهن الله فاخترن الرسول ∴ على الدنى ففزن منه بالقبول
عائشة بنت خليفة الهـــدى ∴ وحفصة بنت الذي قد اهتدى

(1) قصة التعليم في الكويت، عبدالله النوري، ص 70.

لولاهما لكثر الخـــــلاف ∴ لكن منهما أتى الالطـــــاف[1]

وإن كان هذا الكلام ليس بشعر، وإنما هو مجرد نظم غرضه التعليم والتأريخ.

ومن هذه المدائح النبوية ما قاله الشيخ خالد بن عبدالله العدساني ـ رحمه الله ـ وهو من علماء الكويت المعروفين، وقد تلقى العلوم الشرعية على يد والده، ولما توفي والده انتقل إلى حلقة الشيخ عبدالجليل الطبطبائي وطلب العلم عنده.

تصدى للتدريس، ثم كف بصره، ثم عمل في حقل الوعظ والتوعية الإسلامية، توفي عام 1318هـ.

له إنتاج شعري وفير، لكن للأسف أنه قد ضاع أغلبه، ولم يبق منه إلاَّ مقتطفات شعرية قصيرة، منها بضعة أبيات في موقف من مواقف السيرة النبوية، وهو مشهد رفع النبي ﷺ للحجر الأسود، والذي ارتضته قريش لما اختلفت في وضع الحجز الأسود حَكَماً، وقالت عنه الصادق الأمين، قال الشيخ خالد العدساني ـ رحمه الله ـ واصفاً هذا المشهد:

وفي الحجر الميمون لما تنازعت ∴ قريش وكل قد أراد له الرفعا

وثار قتام القيل والقال بينهم ∴ ومن ثم نار الشر قد عمت الجمعا

وقد جردوا للحرب كل مهند ∴ فلما رأوا في ذاك لم يحسنوا صنعا

تداعوا إلى الانصاف بعد وفوّضوا ∴ لذي الرأي امراً لم يطيقوا له دفعا

فقالوا رضينا حكم أول داخل ∴ فكان النبي المصطفى داخلاً يسعى

فقالوا نعم هذا الأمين وكلنا ∴ له قابل راض بأحكامه قطعا

وأخبره كل من القوم أنهم ∴ رضوا حكمه في ذا الملم فلا دفعا

فألقاه في ثوب وقال لهم خذوا ∴ بأطرافه فالكل يستوجب النفعا

فلما لذاك الركن قد كان رفعهم ∴ تناوله المختار أحسنهم وضعا

وصيره هادي الورى في محله ∴ فسبحان من أعطاه فضلاً له يُرعى

---

(1) علماء الكويت وأعلامها، عدنان بن سالم الرومي، ص 417.

عليه صلاة الله ما لاح كوكــــب ∴ وما سار ركب في الدجى يقطع القرعى[1]

وديوان صقر الشبيب يحفل بمقتطفات زاخرة بالمديح النبوي أو الاشارة إلى النبي ﷺ، جاءت ممتزجة بثقافته الإسلامية ومتداخلة مع أغراضه الشعرية من مثل قوله في مدح السَّيد عبدالرحمن النقيب وهو ينتهي نسبه إلى النبي ﷺ، إذ يقول:

أثنى عيك محقاً مقولُ الأدب ∴ يا من نماهُ لخير الرسلِ خيرُ أب

والممدوح يتصل نسبه بنسب النبي محمد ﷺ وبشيء من الإجمال والإشادة الرائعة بالنسب الزكي، يقول:

وكيف أمدحُ من جاءت مدائحهُ ∴ من بارئ الخلقِ في الأسمى من الكتب

ما قدرُ مدحكَ يا «صقرُ» الذي وردت ∴ في مدحه معجزاتُ المقول الذرب

آي من الحق ما جالَ البصيرُ بها ∴ بلحظ نُهيتِه يوماً فلم ينب

وهذه ملاحظة طريفة، وإشارة بارعة إلى معنى الآية الكريمة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم، 4). فقد تخلص صقر من ذكر الأخلاق ووصفها فسطرها في عبارة أكثر إثارة، وأجمل أسلوباً وأبرع تعبيراً.[2]

- **هذا الديوان:**

أما هذا الديوان فإن قصائده تزيد على الثلاثين قصيدة، تتفاوت في قيمتها الفنية، أبدعها شعراء كويتيون من مشارب مختلفة، فمنهم علماء ومنهم دبلوماسيون ومنهم من ينتمي إلى تيارات فكرية كالتيار القومي أو الإسلامي، ومنهم مستقلون، كما أنه قد يكون للشاعر الواحد أكثر من قصيدة.

وكنت أتمنى أن أجد حضوراً للشاعرات في هذا الديوان، لكنني لم أجد إلاّ شاعرة واحدة، وهذا ربما يرجع إلى سببين رئيسين:

1) ضعف الحركة الأدبية النسائية وتأخرها، وقلة الإنتاج الشعري

---

(1) الشيخ محمد صالح العدساني، عائشة بنت محمد العدساني، ص 39.
(2) شعر صقر الشبيب - دراسة وتحليل، د. أحمد العلي، ص 106.

لديهن.

2) أن الحركة الأدبية النسائية في الكويت عند نشأتها كانت قومية يسارية وليس المديح النبوي في مجال إبداعها الأدبي - بطبيعة الحال -، ولا في نطاق أغراضها الشعرية.

وقد رتبت الديوان ترتيباً تاريخياً من القديم إلى الحديث، ممهداً لكل قصيدة بترجمة صاحبها مع ذكر شيء من روحه الدينية المتمثلة في ابداعه الأدبي، ثم ايراد القصيدة أو القصائد للشاعر مع التعليق على ما يلزم التعليق عليه.

* * *

الباب الثالث

الديوان الكويتي في المدائح النبوية

- الفصل الأول: السيد/ عبدالجليل الطبطبائي
- الفصل الثاني: الشاعر/ عبدالله الفرج
- الفصل الثالث: الشاعر/ فهد العسكر (سجين المحبسين)
- الفصل الرابع: الشاعر/ خالد الفرج
- الفصل الخامس: الشاعر/ صقر الشبيب
- الفصل السادس: الشاعر/ محمود شوقي الأيوبي
- الفصل السابع: الشاعر الشيخ/ عبدالله النوري
- الفصل الثامن: الشاعر/ عبدالله سنان
- الفصل التاسع: الشاعر/ عيسى مطر
- الفصل العاشر: الشاعر/ محمد أحمد المشاري
- الفصل الحادي عشر: الشاعر الأديب/ خالد سعود الزيد
- الفصل الثاني عشر: الشاعر الكاتب/ عبدالله زكريا الأنصاري
- الفصل الثالث عشر: الشاعر/ عبدالمحسن الرشيد البدر
- الفصل الرابع عشر: الشاعر الأديب/ أحمد السقاف
- ترجمة مؤلف الكتاب الكاتب/ طلال مساعد العامر النجدي

الفصل الأول

السيد عبدالجليل الطبطبائي

- ترجمته:

السَّيد عبدالجليل الطبطبائي عالم شاعر معلم متعدد المواهب، ترجم له الزركلي في الأعلام، كما له ترجمة في معجم الشعراء وفي أدباء الكويت في قرنين، وفي معجم معلمي الكويت، وهو كتاب مربون من بلدي، لكن أوفى تراجمه هي ترجمة الشيخ عبدالله النوري له في كتابه خالدون في تاريخ الكويت، وما جاء في ترجمته قوله:

هو السَّيد/ عبدالجليل بن السَّيد يسين بن السَّيد إبراهيم بن السَّيد طه.. يتصل بالسيد إبراهيم الملقب طبطباء..

يتصل نسبه بالحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

ولد في البصرة سنة 1190هـ، واستوطن الكويت وتوفي فيها سنة 1270هـ.

كان أبوه علماً من أعلام المسلمين.. وكان من البارزين في الحديث وفي المواعظ. وكان له في مساجد البصرة مجالس وعظ كثيرة.

كان لهذه النشأة التي نشأها أثرها الكبير في تشكيل حياته بعد ذلك... فقد ولد ونشأ في بيت علم وتقى... وفتح عينيه على القرآن يتلى والأحاديث تروى.. فتأثر بهذا الجو الديني الحبيب.

تلقى السَّيد عبدالجليل مبادئ القراءة والكتابة في بيت أبيه على معلم البيت كما هي عادة الملاكين يومئذ... إذ كانوا يستأجرون من يعلم أولادهم وأولاد خدمهم والفقراء من جيرانهم من يلقب بالملا... يجلس

كل يوم ساعات في ناحية من الدار لهذا الغرض.

ثم كان يتلقى الفقه ومبادئ النحو على كثير من علماء المسلمين في البصرة.. وكانوا فيها كثيرين..

كانت ولادته في بيت علم وورع كما قلنا عاملاً كبيراً في أن يبز أقرانه من الطلاب ويتفوق عليهم، أضف إلى ذلك استعداده الشخصي لأن يكون عالماً كما رأى والده...

واتصل بالشيخ عبدالله بن محمد بن فيروز الذي أكثر التنقل بين الإحساء والبصرة والكويت.. فأخذ عنه كثيراً من العلم.

ولمس فيه الشيخ عبدالله بن محمد بن فيروز ذكاءً وقاداً واستعداداً كبيراً، وقدرة فائقة على الحفظ فأذن له بالرواية عنه.. وهذه مكرمة قل أن ينالها تلميذ من أستاذ.

هاجر من البصرة لأسباب غير معروفة.. ولم يفصح هو بها.. ثم انتقل من البصرة إلى مدينة الزبارة.. والزبارة تابعة لمشيخة قطر... واستوطنها زمناً طويلاً وبنى فيها مسجداً.. وما زالت المنطقة التي سكنها السيد/ عبدالجليل معروفة حتى اليوم باسم (حارة السادة).

بعد ذلك حصلت في الزبارة انشقاقات وحروب.. وخشي السَّيد / الطبطبائي أن تتلوث يده بدماء ضحايا هذه الحروب فهاجر من الزبارة إلى الكويت؛ حيث وجد فيها بلداً آمناً مستقراً هادئاً مطمئناً.

ولم يكن ترك السيد/ الطبطبائي للزبارة نابعا من خوفه على حياته.. أو هربا من ظلم أو جور خشي من مجابهته... بل كانت هجرته كما قلنا خوفاً من أن تتلوث يده بدماء أناس ليس بينه وبينهم عداوة.. وكان يدرك أن رسالته أكبر من كل هذا.. كانت رسالته نشر العلم في وقت عم فيه الجهل... وانتشرت الأمية الدينية وضربت أطنابها في أرجاء كثيرة من عالمنا الإسلامي الكبير، من هنا كانت هجرته الى بلد

يجد فيه الأمن والهدوء كي يستطيع تأدية رسالته على الوجه الأكمل.

وكانت الكويت تعرف منزلة الرجل وتضعه في مكانه الصحيح كعالم كبير يستحق أن يوضع في الصدارة من العلماء... فاستقبله يوم قدومه إليها حكامها وأشرافها وأهلوها مما جعله يستبشر من هذه النقلة خيرا... وقد حمل الرجل للكويت كل إعزاز... وكان لهذه المقابلة أثر لا ينسى، حفر في قلبه وعقله وأكبر في أهلها تقديرهم للعلم والعلماء...

واتخذ الكويت داراً لإقامته في المنطقة المعروفة بحي القبلة جنوبي مسجد آل يعقوب في البيت الذي كان معروفا باسم بيت السيد/ خلف النقيب.

لم يكن السيد الطبطبائي أديبا ينظم الشعر ويكتب النثر فقط.. بل كان فقيها... إلا أن ميوله الى الشعر ومجالسة الشعراء والأدباء غطت على علمه، ولم يبق لنا من آثار أدبه غير ديوان شعره المعروف باسم (الخل والخليل في شعر السيد عبد الجليل).. وقد طبع عدة مرات.. وكانت أول هذه الطبعات سنة 1300هـ.

وكان تَاجِراً وله في البصرة بساتين نخل كثيرة، ولما استوطن الكويت والزبارة برز اسمه بين التجار.

كان - رحمه الله - حلو الحديث... سريع البديهة يأنس منه جليسه.. ويجد كل جليس فيه بغيته... يتحدث مع الزارع في زراعته... ومع التاجر في بيعه وشرائه.. وهو مع الأديب أديب.. ومع الفقيه فقيه..

يطور حديثه مع كل جليس بما يتحدث فيه هذا الجليس ويأنس منه.. أما مع الأديب والشاعر فكان سريع البديهة يحفظ كثيرا من شعر العرب وأمثالهم.. ويضرب في أثناء الحديث المثل ببديهة سريعة ويستشهد ببيت الشعر في غير أناة.

وكان جواداً كريماً تهزه الأريحية، والدليل على ذلك أن بيته كان مضافة لا يخلو يوماً من ضيف قريب أو بعيد.. وكان فعالاً للخير

لا تمنعه عن فعل الخير حاجة حضرت أو عسة نابت.

وعاش في الكويت عشر سنوات وأشهر.. ومات ـ رحمه الله ـ عن سن قارب الثمانين.. وذكره ما يزال باقٍ.. ذكر خير وجود وذكر أدب ومعرفة. (1)

- **شعره:**

وشعره ينتمي إلى شعر تلك المرحلة التي عاش فيها والذي هيمن عليه الجمود والتقليد، في ظل شيوع الأمية والجهل والتخلف والحروب، فساد في الشعر آنذاك التقليد في الجانبين الفني والمعنوي وضعف الأفكار، وقد تأثر شعر عبدالجليل الطبطبائي بعصره والحياة الأدبية فيه.

وهذا النمط من التقليد ظهر بوضوح في شعر عبدالجليل الطبطبائي حسب تتبع مؤرخ الأدب الكويتي الشاعر خالد سعود الزيد، إذ يقول:

«لقد حاول عبدالجليل أن يتشبه بالمتنبي في طموح روحه الثائرة وطبيعته الشاعرة، غير أن نصيبه من التأثر بالمتنبي في شعره قد أخفق إخفاقاً يعزى إلى روح عصره في جوه العلمي، لقد حاول عبدالجليل مجاراة المتنبي في خطى حياته وشاعريته، فنشر الحكمة في معظم قصائده، وعلى الرغم من الركاكة الظاهرة التي تبدو كثيراً في أشعاره إلاَّ أننا لنلمس روح تأثره بالمتنبي وشدة حرصه على تتبع خطاه. (2)

(1) خالدون في تاريخ الكويت، عبدالله النوري، ص 41 (بتصرف).
وأنظر: ترجمته في الأعلام للزركلي، (ج3 / ص 276).
- وفي معجم الشعراء، لكامل الجبوري، (ج3 / ص 73).
- مجلة البعثة، العدد الثالث، في مقال للكاتب محمد ملا حسين مع مختارات من شعره.

(2) أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، (ج1 / ص 47).

لكن الشاعر عبدالجليل الطبطبائي على الرغم من هذه السلبيات التي تحيط بشعره له الفضل في تحريك الحياة الأدبية والفكرية في الكويت، إذ يكفيه فخراً في هذا الفضل ديوانه الكبير الذي اشتمل على قصائد ذات أغراض متعددة، والذي يعد أول دواوين الشعر الفصيح في الشعر الكويتي. كما أن للعشر سنوات الأخيرة من حياته التي قضاها في الكويت أثر بارز في حياة الأدب والفكر في الكويت، كما أن للكويت أثر واضح في ثراء هذا الإنتاج الأدبي لديه.

- **التوجه الديني في شعر عبدالجليل الطبطبائي:**

وهذا التوجه الديني يظهر من أول قصيدة في ديوانه والتي قالها بمناسبة ولادة ابنه «عبدالوهاب» فقالها حامداً لله تعالى على هذا الإنعام راجياً منه تعالى صلاحه وحفظه من الأهواء، وقد قصد كذلك أن يؤرخ لولادة ابنه على عادة الشعراء آنذاك وكلفهم بالتاريخ الشعري عن طريق حساب الجمل، يقول في مطلعها:

حمدت الله إذ أسدى بفضل ∴ وآلاءٍ تسامت أن تضاها[1]

بل إن طوابع الثقافة الإسلامية تظهر حتى في قصائد المدح أو الهجاء، ففي مدحه لأحد أصدقائه، يقول:

بلاني في هواه وصد عني ∴ سيقضي بيننا حكم القيامة[2]

وهو يشيد بفضائل الإيمان وخصال التقوى ويتحراها في ممدوحيه، إذ يقول في مدح صديق آخر:

حباه الله أفضل ما تمنى ∴ وزوده التقى وسقاه عفوه[3]

ومن قصائده ذات الغرض الإيماني الديني الخالص، هذه

(1) ديوان روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 43.
(2) ديوان روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 45.
(3) ديوان روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 126.

الابيات في المناجاة، والتي تذوب رقة وخشوعاً، وهي بعنوان (وتوحيدي إلهي رأس مالي):

أيا مبدي الجميل بمحض منٍّ ∴ ويا من سيبه من غير منٍّ
إله الخلق يا رباه يا من ∴ إليه مشتكى بثي وحزني
ويا ذا الفضل يا جم الأيادي ∴ ومن إحسانه للعبد يغني
ومن نعماه لا تحصى بعدٍّ ∴ ومن جدواه في أنس وحِسن
إلهي سيدي مولاي حلماً ∴ فما لي غير حلمك من مجنّ
أتيتك هارباً من عبء وزري ∴ وتقصيري وما قد كنت أجني[1]

ومن دلائل هذه النزعة الدينية والتوجه الايماني لديه تفاعله مع أبيات المناجاة والتوسل برحمة الله تعالى الشهيرة في تراثنا الأدبي والتي منها هذا التخميس لأبيات أبي الحسن الشيرازي العالم والصوفي، والتي أولها:

لبست ثوب الدجى والناس قد رقدوا ∴ وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

أما تخميس عبدالجليل الطبطبائي فمنه قوله في سؤال الله الفرج وكشف الضر ورفع البلاء:

الله لي عدة ما أعوز العددُ ∴ حسبي الذي ليس يرجى غيره أحدُ
وإن علاني همّ أو عرى كمد ∴ لبستُ ثوب الدجى والناس قد رقدوا
وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

كم نعمة للبرايا منه شاملة ∴ ولطفه كم وقى من سوء نازلة
دعوته مخلصاً في كل آونة ∴ وقلت يا أملي في كل نائبة
ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أرجو عوارف فضل منك مغنمها ∴ ولي أماني جلّي عزّ معظمها
وها أنا اليوم والآمال تقسمها ∴ أشكو إليك أموراً أنت تعلمها
مالي على حملها صبر ولا جلد[2]

والقصائد والإشارات الدينية في ديوانه كثيرة ليس الغرض هنا

(1) ديوان روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 127.
(2) ديوان روض الخل والخليل، عبدالجليل الطبطبائي، ص 154.

استقصاءها، وإنما الإتيان بنماذج للتدليل على فشو النزعة الدينية في كثير من قصائد ديوانه، مما يؤكد رسوخ هذه النزعة لديه، والتي من أسمى صورها ومظاهرها هي قصيدته في مدح النبي ﷺ.

- **قصيدته في مدح النبي ﷺ:**

وهي قصيدته التي قالها بمناسبة زيارته للمدينة المنورة، ووقوفه إلى جانب قبر المصطفى ﷺ، وهذه القصيدة أثيرة في الثقافة الكويتية، فقد كانت تنشد في الموالد ويحتفى بها.

يقول في تقديمه لها:

أقول: وفي سابع من جمادي الأول سنة 1249هـ، توجهنا إلى المدينة المنورة لزيارة الرسول ﷺ، ولما وصلنا إلى الصفراء أحب الوالد أن يفد على النبي ﷺ بامتداحه بقصيدة فريدة، فشرع في نظمها، فنظم من غزلها بعض الأبيات، ولم يتمكن من مراده، لكلفة السفر واشتغال البال به، وبعد استقرارنا في المدينة، أتمها فجاءت غُرَّةً في جبهه القصيدة.

وأنشدها تجاه المشاهد الشريفة، سحر ليلة الاثنين والعشرين من رجب، وهو واقف مكشوف الرأس كما أشار إليه، فبكى وأبكى من حوله، وهم جمع.

وقد انتشرت هذه القصيدة في قطر الحجاز، ومدنه كلها، حتى كتب منها عدة نسخ، في المدينة، ومكة، وجدة، والطائف، ونقلت إلى صنعاء، ومصر، والشام، وعمان، وإسلامبول.

وناهيك بفخرها قبولها والإقبال عليها، وهذه هي، فتأملها تجدها كما وصفت، وأكبر، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ:

لذكر الحمى يشتد بالوامق الوجد ∴ فقل لي متى يبدو لي العلم الفرد
أحن إلى بان اللوى وطويلـــــع ∴ ومن بان عن مغناه حق له الوجد
منازل كان الشمل مجتمعاً بهـــا ∴ ولم تك أيدي البين للحي تمتد

منازل من أهوى على القرب والنوى ∴ ولا خير في ود يغيره البعـــــــــد
مغاني أحيبابي الذين تبوؤوا ∴ سويداء قلبي قبل أن يعرف الود
هواهم حياتي وهو أقوم حجتي ∴ فلا ميل عنهم واصلوني أو صدوا
كفاني هواهم مفخراً وذخيرة ∴ وقد فاز مرضي لديهم كمن ودوا
أهيم غراماً واشتياقاً لذكرهم ∴ إذا لامني في حبهم جاهل وغد
مواليَّ أهلي هم على السخط والرضى ∴ ويأبى الموالي أن يضيع لهم عبد
منازلهم لي مستجار ووقفة ∴ بأطلال مغناهم هي الغنم والسعد
سقى الله هاتيك المنازل والربى ∴ عهاد رباب الشول جلجله الرعد
بها نتساقى الحب في حانة الرضى ∴ وحبل دواعي العذل والعتب منقد
ليالي إذ غصن الشبيبة مــــــورق ∴ وللهو ظل بالبطالة ممتـــــــــد
تناولني كأس التصابي يد الصبا ∴ فمال بأعطافي الصبابة والوجد
على أي حال شئت كنت من الهوى ∴ وأعين صرف الدهر عن وجهتي رمد
فأطلقت نفسي في مسارح غيها ∴ تواصلني هند وتجذبني دعد
وعهد الصبا للغيد خير وسيلة ∴ ينيل الفتى منهن ما أضمر البعد
فصوح ذاك الرونق الغض والنوى ∴ مهفهف ذاك الغصن واستملح الورد
وخلّت مساريحي الغواني وأعرضت ∴ إلى جانب عني كأن لم يكن عهد
وأبقت رسيساً للصبابة والهوى ∴ بقلبي ولم ينف الهوى ذلك الصد
فما لك يا قلبي المعنّى أما ترى ∴ ملاح عذاري الحي للبعد تعتد
وحتام لا يجلي الغشاء وذو الصدى ∴ إذ اخترت نهج الغي فارقك الرشد
أضعت نفيس العمر في غير صالح ∴ وملت إلى ما لم ينلك به الحمد
سفاه لعمر الله طاعتك الهوى ∴ وعصيان من وافاك في نصحه الجهد
تماديت في لبس الخلاعة عاكفاً ∴ على شهوة مرت ولم يحلها خلد
علمت بما كونت قدماً لأجله ∴ وفرطت فيما ليس من فعله بد
أمن خبل بعت الهوى بضلالة ∴ وصح على خسران صفقتك العقد
أما كنت تستحيي من الله إذ ترى ∴ على غير ما يرضاه هل هكذا العبد
أما تنثني عن وعر منهجك الذي ∴ حزونته تردي وراحته كدٌّ
تدارك بقايا العمر لا تفنها سدى ∴ أما أبيض من فوديك بالغيِّ مسود
وخل السرى في ليل جهلك قد بدا ∴ صباح مشيب صادق النذر إذ يبدو

وخذ حذراً فالغارة الصبح تتقي ∴ وفي الخوف أهل الحزم في حذرهم جدوا
ودع عنك تسويفاً يفاجي بك العدى ∴ على غرة في حين لا ينفع الجد
لك الخير هذا حصن أمنك قد دنا ∴ به الملتجا ينجو إذا حسن القصد
ألست ترى أعلام طيبة لائحاً ∴ سناها فشم برق المُنَى والهَنَا واعد
أما الروضة الغناء فاح عبيرها ∴ لنا شق رياها فما المسك والند
فهزتنيَ البشرى ارتياحاً وبهجة ∴ كما اهتز من ريح الصبا الأغصن الملد
ومن عادة الجذلان تهمي جفونه ∴ فمن در دمعي في الثرى انتثر العقد
وأعلنت في فرط المسرة والهنا ∴ بحمد الذي من حقه الشكر والحمد
وتلك الأماني حيث أصبحت وافداً ∴ على خير من يرجى بساحته الوفد
هو الصفوة المختار من عنصر الورى ∴ ومن هو سر الكون والجوهر الفرد
هو العاقب الماحي الضلال بهديه ∴ هو الطاهر الأتقى هو الطالع السعد
هو العروة والوثقى المستمسك بها ∴ هو الكاشف الغماء والكرب مشتد
ملاذ الورى مهما عرى مثقل القرى ∴ وللفقرا داني القرى سيبه مد
نبي سما عن أن يسامى مقامه ∴ وليس يداني مجده المنتقى مجد
له الشرف الذاتيُّ بداءاً كما انتهى ∴ إلى غاية في الفضل من دونها الحد
وعن درك أوصاف الكمال الذي حوى ∴ محال يفي بالبعض من ذلك العد
نبي كساه الله حلة حبه ∴ فما اختاره المحبوب ليس له رد
وأبرزه في عالم الغيب شاهداً ∴ بكل مقامات الشهود هو المبدو
ونور الهدى من رشح مشكاة علمه ∴ على صفحات الكون بالضوء يمتد
ولم تأت أحشاء الزمان بمثله ∴ وأنّى لخير الخلق والمجتبى ند
وقد زين الله الوجود بأسره ∴ بطلعته الغراء كانت هي القصد
وألبسه تاج الرسالة منذراً ∴ بشيراً وكل الرسل ما خلقوا بعد
رسالته للناس نور ورحمة ∴ ولولاه عن طرق الضلالة ما صدوا
له خُلَق القرآن يرضى بما ارتضى ∴ ويغضبه ما فيه بالمحكم الطرد
مكارم أخلاق الرسول وحصنها ∴ يقصر عن إدراكها ماجد يعدو
علا مجده من قبل إيجاد آدم ∴ وفي الملأ الأعلى به أشرق السعد
وآدم قد نال القبول بيمنه ∴ فأكرم بمولود به سعد الجد
وحاز به نوح من الماء أمنه ∴ ومنه لإبراهيم حر اللظى برد

وموسى وعيسى بشرا بظهوره ∴ ودعوة إبراهيم فيها هو القصد
بمولده كل الهواتف أعلنت ∴ وما كاهن إلاّ بتشريفه يشدو
وفي ليلة الميلاد جاءت خوارق ∴ بها حارت الألباب واستعجم الضد
لفارس نار ألف عام وقودها ∴ تعد إلها فانطفا ذلك الوقد
وإيوان كسرى انشق وارتج هيبة ∴ ومنه شرافات تعاورها الهد
ولاحت قصور الشام فيها لأمة ∴ لنور بدا منها على الأفق يمتد
وكل سماء صح فيها له من ∴ الزبرجد والياقوت قد ضربت عمد
فأشرقت الدنيا بأنوار أحمد ∴ وكم آية خصته إذ ضمه المهد
به حظيت أم الرضاع حليمة ∴ فأخصب مرعاها خصوصاً ولم يعد
فدرَّت مواشيها وبان نعيمها ∴ وباينها المحل المبرح والكد
وشق لديها الصدر منه تطهراً ∴ وأخرج منه ما لإبليس يعتد
وعوض إيماناً ونوراً وحكمة ∴ ولم يك للإيلام في شقه وجد
وفي سيره الشام صحبة عمه ∴ أشار بحيرا ليس في بعثه جحد
وحذرهم كيد اليهود له إذا ∴ رأوا وصفه فاختير من ذا له الرد
وكم آية من قبل مبعثه بدت ∴ وللعجز عن إحصائها يقصر الحد
ولما أراد الله إظهار دينه ∴ وإعزاز من يهدي وإذلال من صدوا
أسأل على الآفاق وابل فضله ∴ ببعثه هادينا فبان به الرشد
تبيَّن حيث الشرك عب عبابه ∴ وباب الهدى بالكفر والبغي منسد
وأظلمت الدنيا بإعراض أهلها ∴ عن الله إذ قالوا لخالقنا ند
وليس يغوث غاثهم حين عاقهم ∴ يعوق عن الباري ولا ودّهم ود
نسوا الله جحداً واستجاروا بلاتهم ∴ وبالله ركن الشرك لا شك منهد
فجرد منه ساعد الجد وانتضى ∴ من العزم عضباً لا يلم به غمد
دعا الخلق إذ ضلوا إلى الله هادياً ∴ فريداً ولم يعبأ إذا وهن الغضد
ولم يرفع الشكوى إلى غير واحد ∴ به تدفع البلوى إذا الخطب مشتد
فأيده بالمعجزات التي بدت ∴ كشمس الضحى تشفى بها الأعين الرمد
ومنها كتاب الله وهو أجلّها ∴ معارفه حبل من الله ممتد
هو الحجة البيضاء والشاهد الذي ∴ محال تأنى في شهادته رد
لقد أعجز اللسن المقاول لم يكن ∴ أتوه بمثل البعض منه وهم لد

ومنها انشقاق البدر إذ رام شقه ∴ فأبصره الداني ومن صده البعد
لقد أجمعت أعيان فهر لقتله ∴ وأحكم في إمضائه بينهم عقد
فمر بهم جمعاً فغضوا عيونهم ∴ وأذقانهم في كل صدر لهم شدوا
وتوج بالحصباء أعلى رؤوسهم ∴ فعاد حصيب القوم بدر له لحد
رمى حصيات في حنين مشوهاً ∴ فولوا وعن حصبائه يقصر الجند
وفي قصة الإسرا شفاءٌ من العمى ∴ وبرهان صدق شمسه لم تزل تبدو
وفي حفظه من كل سوء دلاله ∴ وقد طال في إنكاثه منهم القصد
وجاء أبو جهل إلى الدار وحده ∴ فأخزاه في إيعاده وانمحى الوعد
وأدى له حق الأراشي كارهاً ∴ وفي قلبه من رعب خير الورى كد
وأخباره عن محو ظلم صحيفة ∴ أتتها قريش فيه للعاقل الرشد
كفى الغار نسج العنكبوت وقاية ∴ وذلك لما عاقه الحجَر الصلد
ومسَّح ضرع الشاة من أم معبد ∴ فدرت وأروت بعدما كادها الجهد
له راحة بالجود يهمي غمامها ∴ ولم يك للملهوف عن وردها صد
وفيها لدى البأساء للبائس الغنى ∴ وفيها صنوف اليمن يغنى به الوفد
وفيها الحصا والزاد سبَّح جهرة ∴ ومنها ثمار الغرس من عامها تبدو
بها انتقدت بالنور عين قتادة ∴ وقد ردها من بعد ما مسها الخد
ومس بها رأس الأقيرع فاغتدى ∴ على حسنه يزهو به الشعر الجعد
جرى الماء من بين الأصابع فارتوى ∴ مراراً به جيش وقد عذب الورد
وكم فاز راجٍ بالمُنى من دعائه ∴ وأحيا قلوباً قد أمرضها الحقد
ومن داجن والصاع أشبع جحفلا ∴ وعدتهم ألف يزيدون قد عدوا
وما جاع غزو كان فيهم محمد ∴ إذا قلّت الأزواد يدعو فترتد
دعا لعلي لا يهي البرد جسمه ∴ فعاش ولا حرّ يلمّ ولا برد
وكم من مريض مدنف قد دعا له ∴ فعوفي مما كان يضني فيشتد
لأم سليم في ابنها أنسٍ دعا ∴ ففاض عليه المال والعمر والولد
ومزق كسرى طرسه فدعا فما ∴ رسى ملكه والفرع مزق والجند
وأعلم طه رسل باذان قتله ∴ بسيف ابنه في يوم خالصه الحد
وأخباره بالغيب لم تحص كثرة ∴ بما فيه عن إدراك أهل الحجى سد
فأخبر عن ماض وآت زمانه ∴ ودان وعصري يحجبه البعد

وآيات خير الخلق دائمة البقا ∴ وعن قطرة من بحرها يعجز الجهد
له معجزات لو قصدت عدادها ∴ لضاقت بها الأسفار ما القطّر منعد
لقد حاز أصناف الجمال جميعها ∴ بأوصافه الغر التي مالها ضد
به يتقي في البأس عند اصطدامهم ∴ وطار لنيران الوغى بالقنا وقد
له وثبات في اللقا تهزم العدى ∴ بها وثبات في الوغى دونه حد
كريم إذا ضن السحاب بمائه ∴ يسيل على الوفاد من جوده الرفد
عطاء الذي لم يخش فقراً ولم يكن ∴ لنائله المدرار وقت ولا حد
قد احتقر الدنيا فخلى سبيلها ∴ وأعلى مراقي عزها عنده الزهد
وما اختار منها غير بلغة أهلها ∴ وشم الرواسي لو يشاء هي النقد
وآثر ما عند الكريم فناله ∴ وقد خصه منه التقرب والود
وأعلى له بين الخلائق منصباً ∴ رفيع الذرى من دونه الرسل تمتد
أليس له بدء الشفاعة في غد ∴ وقد حارت الألباب والكرب مشتد
أليس ملاذ الخلق في ظل عزه ∴ أليس لواء الحمد ينشره الحمد
أليس جنان الخلد يفتحها له ∴ ولولاه ما كانت جنان ولا خلد
فيا خير خلق الله مجداً ومحتداً ∴ ويا سبب الإيجاد للخلق إذ أبدوا
ويا مرتجى العاني إذا ضاق ذرعه ∴ ويا ملتجى الجاني إذا راعه الصد
أتيت إليك اليوم أطوي سباسبا ∴ قفارا يباريني بها الخوف والكد
وفارقت أخداني وداري وجيرتي ∴ ولم يغل عندي المال فيك ولا الولد
ومالي بهذي الدار غيرك مأرب ∴ ومالي سوى فياض إحسانكم قصد
وها أنا قد أنزلت في الباب حاجتي ∴ وحاشاك ترضى أن يكون لها رد
تراني أشكو عبء ظهري بما جنت ∴ يداي فإني بالمآثم ممتد
يد الغفلة استولت على القلب عنوة ∴ فمالي إلى قلبي صدور ولا ورد
ولم تصح نفسي حيث أسكرها الهوى ∴ وطرفي لي داعي البطالة يرتد
وطالت إساءاتي فوجه صحيفتي ∴ برسم الخطايا والقبائح مسود
وقد كبرت سني ولم أر قوتي ∴ تطيق من الأعمال ما فيه يعتد
فجئت بأوزاري وضعفي وذلتي ∴ أروح بلا حول ولا حيلة أغدو
وأنت لك الجاه العريض لك الثنا ∴ لك المنصب العالي من الله والمجد
فهب لِيَ من فيَّاض نورك نظرة ∴ ليجلى بها القلب الصدي فيمتد

وأحيى على الهدي الذي جئتنا به ∴ وموتي على توحيد من لا له ند
وكن لي شفيعاً إذ أقدّم حافياً ∴ ومالي من العمال سعد ولا معد
وقل ذا عُبيد آبق جاء تائباً ∴ عسى رحمة المولى يسر بها العبد
أترضى تمس النار جسمي وأنت لي ∴ شفيع وذخر مستعاذ أب جد
فجد لي ببشرى كي أسر بها وقل ∴ قبلناك يا عبدالجليل لك السعد
ولا تنس آبائي جميعاً فإنهم ∴ بنوك وأولادي لهم يصلح الولد
وأهلي وأشياخي وكل أحبتي ∴ وسامع مدحي في علاك ومن يشدو
فأولِ جميع القوم منك شفاعة ∴ ومنحة إسعاف بها يعظم الرفد
عليك صلاة الله يا خير من دعا ∴ إلى الله حين الشرك شد له عضد
عليك صلاة الله يا من به علا ∴ منار الهدى إذ لا منار ولا رشد
عليك سلام الله يقفو صلاته ∴ برياهما تذكو العباهر والند
عليك صلاة الله ما حن شيِّق ∴ لذكر الحمى واشتد بالواله الوجد
يعم بذاك الآل آلك معشـــراً ∴ إذا قيل من أهل التقى والندى عدوا
هم الناس في كل الفضائل والسوى ∴ لهم تبع هذا هو السؤدد العد
أنا جيلهم للادّكار صدورهـــم ∴ لأنوارهم أعلا محاربيهم وقـــد
إذا اكتحل الساهي الكرى فجفونهم ∴ ينابيعها يحلو لدى فيضها الورد
جوانحهم منها العلوم تفجرت ∴ من الذكر في الأسحار إثمدها السهد
ليوث إذا الهيجاء شب ضرامهـا ∴ فإن كر أدناهم يفر به الجند
نداهم بلا منّ يكـــدره ولا ∴ يخافون عدماً بالعطاء إذا مـدوا
وناسكهم في البذل والفتك بالعدى ∴ غمام همى شهم سطا دونه الأسد
وأصحابك الصيد الأشاوس من لهم ∴ سوابق في الإسلام ليس بها جحد
لقد بذلوا في الله أرواحهم ولـــم ∴ يراعوا به قوماً ولم يثنهـــم ود
شداد على الكفار بغضاً وإنهـــم ∴ لكل ذوي التوحيد حبهم الصـــرد
مهاجرهم قاسى الهواجر والبلى ∴ وهجر المغاني حين أرحامهم صدوا
وأنصارهم قد آثاروا عن خصاصة ∴ ومدت لنصر الدين من سمرهم عمد
وقد صبروا في الله كلٌّ وصابروا ∴ وما فات منهم في مجاهدة جهـــد
لهم في الوفا والنصح لله والتقى ∴ مقامات صدق ليس يبلغها العـــد
ولا سيّما أهل السلطنة إنهـــم ∴ تخمستهم في الفضل ليس لهم ضد

جزى الله عنا كل صحبك بالرضى ∴ وعترتك الأطهار ما سبح الرعـــــد
وهاك رسول الله مني فريـــــــدة ∴ بها زان جيدي من مدائحكم عقد
إذا صح للمملوك منك قبولها ∴ فمن فضل ساداتي به يسعد الجد

* * *

الفصل الثاني

الشاعر / عبدالله الفرج

(1252 ـ 1319هـ)

• ترجمته:

ولد عبدالله الفرج في مدينة الكويت، ويعتبر أحد الشعراء الفحول، نظم بالفصحى وباللهجة العامية، ولقب بمحي الهوى لقوله:

يقول محي الهوى بالحب زايد
غرامه عطشان يشكو الظما

ولقد كان والده أحد الأغنياء الموسرين، امتلك أسطولاً تجارياً ضخماً، وسكن الهند لتصريف أمور تجارته، والهند هي المركز التجاري العام بالنسبة لتجار الخليج وتجارتهم.

نشأ عبدالله وترعرع في الهند في ظل والديه وفي أحضان ثروة طائلة، ودرس في المدارس الهندية، وتعلم العربية على أيدي أساتذة مختصين.

ولما مات والده عام 1270 هـ، كان في الثامنة عشرة من عمره وكان وحيد أبويه، فبدد الثروة وأضاعها لانغماسه في ملاذ الحياة وركضه وراء اللهو والطرب، حتى إنه مات معدماً آخر حياته.

ولع بالموسيقى حتى أصبح أحد أعلامها البارزين ولا يزال الغناء في الخليج العربي متأثراً بألحانه التي صنعها وابتدعها، ثم تناقلها عنه المطربون من بعده حتى وقتنا الحاضر، وما أثر عنه من الألحان يقدر بثلاثمائة لحن.

ضاع معظم شعره الفصيح ولم يبق غير شعره العامي الذي

جمعه الأستاذ خالد الفرج وطبعه مرتين: الطبعة الأولى في بومباي سنة 1338 هـ، والطبعة الثانية في دمشق سنة 1383 هـ، وتوفي عبدالله الفرج رحمه الله سنة 1319هـ.

- **مقطوعة من شعره:**

سيغني الله عن فرج القريب ∴ ويأتي اللهُ بالفرج القريب
ويشملنا بفضل منه حتى ∴ يكون نصيبُنا أوفى نصيب
يقول لي ابنُ وُدِيّ إذ رآني ∴ أتوِّجُ بالثنا هام النسيب
وأنظم جاهداً بالمدح درا ∴ يروقُ كلؤلؤ الثغر الشنيب
أبحتَ المدحَ حين عدلتَ عنه ∴ أما منه حصلت على اللّغوب؟
وتبدع من بنات الفكر ما قد ∴ تقول بحسنها للشمس غيبي
إلى من انت رقّاً تجتليها؟ ∴ فقلتُ له إلى رجب النقيب
إلى الكرم الخضمّ إلى المُرَجَّى ∴ إلى الحب النجيب إلى النسيب
إلى من في علاه يشيد سجعاً ∴ لسانُ الحمد مثلُ العندليب
زكيٌّ طاب أصلاً ثم فرعا ∴ فكم وافى بطيب بعد طيب
نشاهد في الرقابِ له أيادٍ ∴ ودرا ثابتاً وسط القلوب(1)

- **الروح الإسلامية في شعر عبدالله الفرج:**

نعم؛ هناك روح إسلامية مستمدة من ثقافة إسلامية ومعرفة بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية في شعر عبدالله الفرج، وقد حفل شعره بالكثير من الاقتباس من القرآن والسنة، فمن ذلك في شعره النبطي:

يا رب أنا سألك بطه وياسين ∴ وبكفهيعص وبالتين
إنك تمثل بالغواة المرائين ∴ وتعيدهم صم وبكم وعميان(2)

---

(1) أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، (ج1 / ص 62).
(2) ديوان عبدالله الفرج، ص 325.

ويقول في إحدى زهيرياته والتي بدا متأثراً فيها بسورة يوسف:

من حسن يوسف جميع الناس منفيه ⁚ هي راودته على جمع الشمل قالت
أبها تظنون لمن تهتوى قالت ⁚ بالصوت زعقت إلى لوامها قالت
هذا العزيز الذي لمتنني فيه[1]

وله من الفصيح قصيدة غزلية يلاحظ فيها تأثر الشاعر الكبير بالقرآن الكريم وتحديداً من سورة (مريم)، تأمل قوله:

رب هب لي من الجلادة صبراً ⁚ آتني من لدنك رب وليا

من قول الله تعالى: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً ﴾ (سورة مريم - 5).

وقوله:

كيف أنسى كلامها اليوم لما ⁚ نبذتني به مكاناً قصيــــــــبا

مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً ﴾ (سورة مريم - 22).

وقوله:

عاتبتني فأوسعتني عتابا ⁚ فكأني أتيت شيئاً فريا[2]

من قول الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ (سورة مريم - 27).

وامتد هذا الاقتباس الذي يشي بثقافة الشاعر الإسلامية إلى الحديث النبوي الشريف، فهو يقول من قصيدة نبطية مليئة بالمواعظ:

وبالصمت منجى عن أذى كل زلة ⁚ وذي خصلة محمودة بالخصايل
وترى ترك ما لا يعني المرء حجة ⁚ على حسن إسلامه من أقوى الدلايل

في <u>البيت الأول</u>: تضمين من قول النبي ﷺ: «من صمت نجا»

---

(1) ديوان عبدالله الفرج، ص 359.
(2) ديوان عبدالله الفرج، ص 419.

رواه الترمذي. وفي **البيت الثاني:** تضمين من قول النبي ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقد صرح بهذا التضمين بقوله:

وهذا حديث صح يروى عن أحمد ∴ نبي الهدى والمكرمات الفضايل

وفي ذات القصيدة يقول:

وبالواجب الإنسان يعقل لسانه ∴ إلى عاد مسلم عن عروض الحمايل

فقد تأثرها هنا بقول النبي ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وقوله:

ومن زار غب زاد حب ورحبت ∴ به الناس لو ماله عليهم جمايل[1]

وهنا تأثر كذلك من قول النبي ﷺ: «زر غبا تزد رحبا».

هذه ثقافة إسلامية واضحة ومعرفة بنصوص الإسلام وقيمه ومقاصده، بل إنه قد صرح بذلك كما تبين، مما يؤكد أنه يحوز على ثقافة إسلامية وافرة قام بتوظيفها بشكل واضح في إبداعه الأدبي.

يضاف إلى هذه الثقافة تفاعل روحاني من خلال المناجاة والدعاء لله تعالى، فمن ذلك قوله في النبطي:

ألا يا الله يا عالم بحالي ∴ ألا يا والي يا خير والي
أسألك يا عظيم الشان باحمد ∴ ترد اليوم عصر قد مضى لي

وله أبيات في الوصية بالعودة إلى الله تعالى والتوبة إليه، مع وعي ديني بقيمة التوبة في التصور الإسلامي، وأنها تَجُب ما قبلها من الذنوب، مع إدراك لقيمة الأسماء الحُسنى في هذا الجو النفسي، فهو يقول من قصيدة له في الشعر النبطي:

---

(1) ديوان عبدالله الفرج، ص 220.

واعلم أن السعيد الرشيد الذي ∴ قد تمسك بحبل الهدى والتزم
حسن اللي تبقى عسى يا فتى ∴ يعطي الله عن الي مضى لك وهم
واخلص التوبة اللي نويت بعزم ∴ مايط عنك ثوب الكسل بالهمم

ثم تحدث عن السبيل إلى هذه التوبة، وكيف يحصلها العائد إلى ربه:

قاصد الواحد اللي فلا خاب من ∴ له قصد راجياً من نداه الكرم
غافر الذنب كله وما حي الخطا ∴ لو ذنوبك بها عد قطر الديم
قوم له عندما يهجعون الورى ∴ واطلبه حينما يكفهر الظلم
وانتصب قايم طول ليلك ولو ∴ من قوفك بقدمك ألم الورم(1)

طوابع إسلامية راسخة، وروح إيمانية فياضة، وجو نفسي مخبت، تصور للحياة السعيدة في رحاب الله تعالى، وأمل بعفو الله ومغفرته، ودعوة ملحة لولوج هذا العالم الروحاني السني من خلال المناجاة والدعاء، وقيام الليل والتهجد، ولو تورمت منه القدم، كما تورمت قدما رسول الله ﷺ في قيامه الليل، كما روى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يصلي حتى تتورم قدماه».

من الواضح أن للنبي ﷺ مكانه سامقة في نفس الشاعر، فهو في أكثر من موطن في ديوانه يشير إلى مكانة النبي ﷺ عند ربه، بل وسأل الله تعالى بجاه نبيه ويتوسل إليه به، هذا سوى قصيدته التي خصصها لمدح النبي ﷺ، فهو يقول من قصيدة له من قصائده النبطية:

أسألك بالذي قد مدحته ومن ∴ حل مدحه بحكم كتابك وأم
من هو المصطفى المجتبى اللي جرى ∴ للرسل به عظيم الفتوح وختم
أحمد الهاشمي الذي لو بقول ∴ عد حصر لفضله لاعيا القلم
كيف أقول وتقول الورى إلاّ وهو ∴ سيد الانبياء والعرب والعجم

فتفاعله هنا مع شخصية النبي ﷺ تفاعل وجداني، ينبني على معرفة بمكانته عند ربه، إذ أنه أثنى عليه في كتابه الكريم وجعله إماماً لأنبيائه، وأن أنبياء الله جميعاً تستفتح به وتختم به.

---

(1) ديوان عبدالله الفرج، ص 273.

وفي ديوانه ما ينم عن إدراك ووعي ديني، وليس مجرد ثقافة ومعلومات إسلامية أفضى به إلى نقد وتطلع للإصلاح الديني، وتجاوز للمظاهر والشكليات والوصول إلى روح الإسلام ومقاصده، تجد هذا في هجائه لمحمد بن فضل:

يا بايع بالظلم دينك بدنياك ∴ يا بيعه الخسران عقب المحاصيل

ما خفت من رب البرايا والاملاك ∴ تزعق بيوم فيه ينفخ اسرافيل

يا مدع بالطوع ما الطوع ملفاك ∴ الطوع ملفى الصالحين البهاليل

فهو يرى أن التدين ليس بالإدعاء والتزيد والمظهر، وإنما هو بالتقوى والعمل الصالح، كقول أبي العتاهية:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً ∴ إذ عبت فيهم أمورا أنت تأتيها

أو كقول أبي الأسود الدؤلي قبله:

يا أيها الرجل المعلم غيره ∴ هلا لنفسك كان ذا التعليم

ففي هذا السياق من النقد للتدين الزائف، قال وقد خرجوا إلى الاستقاء والجو معتم بالغيم يرجى فيه المطر، فلما شرع الإمام بالدعاء إنجلى الغيم وأصبح الجو صحواً، يقول:

خرجنا لنستسقي بيوم تراكمت ∴ به المزن حتى غودر الصبح كالجنح

تقدم شيخ ذو عصاةٍ ولحية ∴ حكت ذنب السرحان من كاذب الصبح

ولما فرغنا من صلاة، وبالدعا ∴ شرعنا، تسرى الغيم إذ شح بالسح

فعدنا معاً والشيخ لم يدر أننا ∴ خرجنا لنستسقي به أم لتستصحي

• قصيدة في مدح الرسول ﷺ للشاعر / عبدالله الفرج:

نبي زكي صادق ومصـــــدق	وفيٌّ صفيٌّ مستطـــاب مـــؤدب
ترفَّعَ من أصل رفيع وعنصـــر	كريم، إليه الفخرُ يُعزي وينسب
هو المفرد الإكسير والجوهر الذي	بأسراره الأمثال والوصفُ يُضرب[1]
هو النقطة الغراء والعلة التـــي	بتكييفهـــا الآراء لا تتقلـــب
لقد سبقَتْ فيه مشيئةُ ربِّـــه	وقد غلبت، إن المشيئةَ تغلِـــب
نبي رآه الله سراً لكونـــه	وما هو للأكوان إلاَّ المسبـــب[2]
فكوَّنَه في الذر نوراً مقـــدماً	يواريه من نور حجابٌ مُطَنَّـــبُ
إلى أن أبان الله إيجـــاد آدم	وما آدم إلاَّ لخير الـــورى أبُ
فأودع ذاك النورَ طاهرَ صلبـــه	فأشرق منه بين عينيه كوكب
فما زال حتى أنْ حَوَتهُ كريمة	حصانٌ لها دينُ التعفف مذهـب
ومنها أتى الدنيا فضاءت بنوره	فكم من تجلَّى نورِهِ انجاب غَيْهَب[3]
وفي ليلة الميلاد كم من كرامة	توالت لطه برقُها يتألـــب[4]
فلله ما فيه الهواتفُ نَشَّـــرَتْ	لنور به قد ضاء شرقٌ ومغـــرب
وكم معجزات قد بدت برضاعِه	يصدقُ بالآيات منها المكـــذب
لقد جاء طفلاً بالمزايا ويافعا	وألف نسكا في الجديدين يعجب
وحالف، أفديه، عبادة ربه	وليس بشيء غيرها كان يرغب
وظل بها يسمو تقى وترهبا	فكم في «حراء» بان منه الترهب
وما زال مكلوءاً[5] تقيه وقاية	من الله حتى حان ما يترقـــب
فلما نما الإسلام واعتز أهله	غدت عَرَقاً منه العدى تتصَّبـــب
دعا والورى كالعُمي في جاهلية	ومذهبُهم في الجهل لهو وملعـــب
عُكوفٌ على أصنامهم يعبدونها	وليس لهم ربٌّ سواها ومذهـــب

---

(1) الإكسير: مادة زعم الأقدمون أنها تحول المعدن الرخيص إلى ذهب.
(2) إن قصد أن الرسول ﷺ هو مسبب الأكوان فهو غلو صريح.
(3) الغيهب: الظلام.
(4) يتألب: أي يتجمع من كل جانب.
(5) مكلوءًا: محميًا.

أتاهم وليلُ الغي مُلقٍ رواقه .. عليهم وصبحُ الرشد عنهم مغيب[1]
فأظهره المختار بعد خفائه .. فقامت به أجزاؤه تتركب

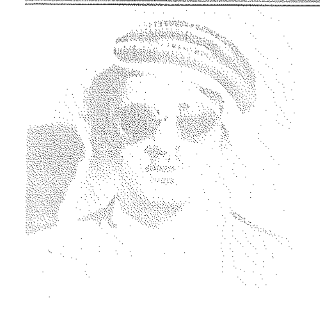
إلى أن قال:

لقد نصرتْهُ أمةٌ حنفيَّـــــــــة .. لها في التقى والدين في الله مشرب
مهلّلة لله غزرٌ وجوهُهـــــــا .. بها يعمر الإسلامُ والكفرُ يخرب
من القائمين الليلَ ذكرا لربهم .. إلى حيث ما يبدو من الصبح أشيب[2]
رجالٌ لعمري قد أنابوا وأخلصوا .. وبالعمل المسرور حقاً تجلببـــــوا
وساسوا أمورَ الحرب حتى بدت لهم .. غوامضُ منها عن سواهم تحجب
فما منهمُ إلاّ الكمينُ أخو الوغى .. وما منهم إلاّ الحسامُ المجرب[3]
ويغدونَ خيرَ الناس صفوةَ ربهم .. بأنفسهم حيث العدى تترقب
وحيث رحى الحرب العوان بمأقط .. تُدار، ونيرانُ الوغى تتلهب
إذا وردوا حوضَ المنايا فإنما .. لهم فيه عند الله قصد ومطلب
يَسُوغ عليهم طعمُه وهو علّقم .. ويسهل فيهم وقعُه وهو يعطب[4]
فما الأرْيُ أحلى عندهم من لقائه .. ولا الشَّهَدُ في أفواههم منه أعذب[5]
يقربهم إقدامُهم من عدوهم .. وتحملهم طيرٌ من الخيل شَزَّبُ[6]
مداعيس لا يخشون ماذا عليهم .. تجد صروفُ الحادثات وتجلِبُ[7]
يلبون أمراً من رسول مفضل .. على الرسل، في الرحمن يرضى ويغضب
إذا ما دعاهم للكريهة لم تجدْ .. بهم عن رسول الله من يتعقب
فتلك رجالُ الله والأبحرُ التي .. بِصَبْهِم روضُ الهداية يُخْصِبُ[8]

* * *

---

(1) الرواق: يأتي بمعنى السقف.
(2) أشيب: كناية عن بياض الصبح.
(3) الكمين: أي صاحب الذكاء والفطنة.
(4) علقم: مر. يعطب: يتلف.
(5) الأري: العسل.
(6) الخيل الشزب: هي التي ضمرت من طول القياد والغزو.
(7) مداعيس: أي أشداء.
(8) ديوان عبدالله الفرج.



الفصل الثالث

الشاعر / فهد العسكر (سجين المحبسين)

(1910م - 1951م)

- ترجمته:

ولد في الكويت عام 1910م، نشأ في عائلة عربية محافظة، تعلم في مدارس الكويت التي كانت تنتهج نهج المدارس الابتدائية في مصر جامعة بين علوم الدين وعلوم اللغة العربية وبعض العلوم الحديثة، شاعر من شعراء الكويت المجيدين ذوي الإحساس الصادق والشعور الفياض، درس اللغة العربية وبعض العلوم الدينية، ثم أكب على مطالعة الأدب العربي، فتمكن من اللغة واستقام تعبيره الشعري، وقد مر بأطوار عديدة، فمن تقشف إلى مماجنة، ومن تدين إلى تمرد وتحرر، وفي اواخر حياته كف بصره، فأضحى رهين المحبسين، العمى والعزلة، وقد انطلقت أفكاره وسيطرت عليها النزعة التشاؤمية، ثم اخذ يغذِّي نفسه فتغنى بمفاتن الجمال، وقد عالج كثيراً من أنواع الشعر ولا سيما «الشكوى».

ليس له ديوان شعر مطبوع، ويقال إن مجموعة كبيرة من شعره أحرقها واحد من أهل بيته. كان شاعراً صادق الشعر والشعور وفناناً صاحب مدرسة في الشعر جارى فيها التجديد، وتناول الغزل والوصف والقومية العربية والشكوى. قال من قصيدة قبل موته:

أنا إن متُّ أفيكم يا شباب ... شاعر يرثي شبابَ العسكر

شاعرٌ مثليَ عضته الذئاب ... فغدا من همه في سقر

وقد أهدى فهد قصيدته لعبدالله زكريا الأنصاري، وكان من رواد مجلس فهد الأدبي أيام عزه.

أرَبَّ الرقيقِ الجزل ألفُ تحية ... ومثلك من أعماق قلبي أحييه

ومثلك أهديه القريض مهذبا .:. ولم لا وأنت الراقصاتُ قوافيه
تغنيتَ في الوادي فأسكرت نشأه .:. وأطربت دانيه ورقصت قاصيه
فتى الهاتفات الواثبات شواديا .:. ويا من بأفق الفن لاحت دراريه
فمن غور قلبي هاكها عسكرية .:. مجنحة والشاعر الحر أهديه

كان حظ فهد من المجتمع سيئاً، فقد رماه الناس بأوصاف سلبية في آرائه وأفكاره، وملـه أهلـه واعتزلوه، فأصبح يعيش في وحدة مع خيالـه حينـا ومـع كتبـه حينـا آخـر، وأصبحت حياتـه سلسلة من الآلام انعكست على شعره. وفي السنوات الأخيرة من عمره كف بصره فزاد ذلك من شدة حساسيته وانطوائه على نفسه وهروبه من الناس وإيثاره العزلة. وظل كذلك رهين المحبسين حتى توفي عام 1951م.

كان شاعراً مطبوعاً لا يتكلف الشعر ولا يحاكي القدامى. وقد أخذ شعره الأخير يتطور وينطلق انطلاقات واسعة، تمده بروح الشعر ملكة أصيلة وخيال خصب وعاطفة ثائرة وإطلاع واسع وثروة في اللغة والأساليب.

وللأحداث التي مرت بالشاعر أثرها في نفسه وقته وشعره، ولكنه لم يستسلم للنزعة التشاؤمية ولم يدعها تسود شعره، فقد كان كثير التغني بالجمال ومفاتنه وبمشاهدة الطبيعة والمرح والسرور بالإضافة إلى مدحه وهجائه وفخره ورثائه. وكان كثيراً ما يقول الشعر ارتجالاً أو شبه ارتجال، ومن هنا أخذ عليه بعض النقاد ضعف بعض قصائده.

وشعره على العموم جزل في ألفاظه وأسلوبه ومعانيه. وكان أحياناً يتأنق في الأسلوب تأنقاً كبيراً ويختار ألفاظه اختياراً دقيقاً. وكان يساير حركة التجديد فتشكل لشعره طابع خاص مميز.

والشاعر فهد العسكر شاعر كبير مقتدر، مر بتجارب مريرة كان لها أثر واضح على شاعريته، وقد ظلت هذه الشاعرية محل إجلال واشادة لدى الكثير من الكتاب والنقاد، ومن الكتاب من قد تحرى الموضوعية في تعاطيه مع شعر العسكر، ووجد أن إنتاجه الأدبي قد ناله الكثير من الظلم والتجني بسبب التأويل السلبي لبعض قصائده واتهامه بالإلحاد والزندقة، في هذا الصدد يقول د. أحمد الشرباصي:

يعتبر فهد العسكر ممثلاً لمرحلة الانتقال من الشعر القديم إلى الشعر الحديث في الكويت، ويعتبر رجلاً فنيًا زاد غليانه في مجتمع معروف بالهدوء والمحافظة، فقذف بحميمه، فكان منه الخير الذي صحبه بعض السوء. وكان فهد ثورة عنيفة عارمة في وجه التقاليد والعرف والعادات؛ وليس هيِّناً في مثل بيئته أن يتحدث شاعر عن الجمال كما تحدث، أو يصف السلاف كما وصف، أو يهاجم الموروث كما هاجم...

وقد تغنى فهد بالحب والجمال، وتغزل وشبَّب، ولذلك حمل عليه الناس وقالوا فيه، وترى شعره مقسماً بين الغراميات وهي أكثر شعره، والخمريات وهي تأتي عقب الغراميات، ثم القوميات وهي قليلة ولكنها قوية، ثم الوصف وهو رائع، ثم تعلقه بأقوال الشعراء مما دفعه أحياناً إلى التخميس والتشطير...

ونستطيع أن نقول إن شعر فهد كان ثورة في المجتمع الكويتي، فقد تأبَّى على المحافظة والتقليد، وانطلق حراً من القيود، محطِّمًا السدود، فأخذ يقول في كل ما يريد كما يريد؛ وأنت إذا وزنت شعره بميزان الفقيه كان لك عليه حكم عنيف، وإذا وزنته بميزان الأديب المتجرد اعتبرته ثروة فنية ذات أثر عميق وخطير في تاريخ الشعر الكويتي...[(1)]

وقد قلت أن الشاعر فهد العسكر قد اتهم بالإلحاد والكفر نتيجة لقراءة سطحية متعسفة، وإن قراءة واعية لديوانه لتدفع هذه التهم جملة وتفصيلاً.

حقق فهد شهرة واسعة النطاق بفضل شعره الواضح في دعوته إلى التغيير والتحرر والنهضة، وفي احتجاجه على الأمراض الاجتماعية وعلى مستغلي الدين والوطن والمرأة.... إلخ. غير أن العديد من التساؤلات أثيرت حول عقيدته ووصلت إلى حد اتهامه بالإلحاد من قبل البعض.

غير أن عبدالمحسن الرشيد لا يؤكد ما وصلت إليه الدراسات

---

(1) أيام الكويت، أحمد الشرباصي، ص 200.

الأدبية التي تناولت فهد العسكر، ويقول جازماً بهذا الصدد «فهد العسكر» لم يكن ملحداً... وإذا تناولنا قصيدته التي غناها شادي الخليج بعنوان «كفي الملامة وعلليني» رأينا أن الشاعر يقول فيها:

وتطاول المتعصبون ∴ وما كفرت وكفَّروني
وتحاملوا ظلماً وعدونا ∴ علي وأرهقوني
فعرفتهم ونبذتهم ∴ لكنهم لم يعرفني
وهناك منهم معشر ∴ أفٍ لهم كم ضايقوني
هذا رماني بالشذوذ ∴ وذا رماني بالجنون

وما يؤكد أيضاً نفي هذه التهمة قوله في موضع آخر:

قم يا رسول الله كي نشكو إليك ∴ فمن سواك نبثه شكوانا
قم وانظر الدين الحنيف وأهله ∴ أعزز وأكبر أن تراه مهانا
قم واهدنا، واعمر خراب قلوبنا

وله في معرض آخر:

بالدين قد نال الجدود مناهم ∴ وغدوا - وربي - بهجة الأزمان

والعديد من الأبيات المشابهة، ومن الواضح من أشعار فهد العسكر ككل أن شكواه من العلماء والقائمين على التوعية الدينية وذوي الشأن كما في قوله:

يا نشء عرقلت العمائم سيرنا ∴ والدين أضحى سلما للجاني
فجرائم العلماء وهي كثيرة ∴ تنمو بظل الصفح والغفران
كيف النهوض بأمة بلهاء لا ∴ تنفك عاكفة على (الأوثان).[1]

• النزعة الدينية عند الشاعر فهد العسكر:

لا يوجد دليل واضح على إلحاد فهد العسكر وكفره، كل ما هنالك أنه كان ثائراً في شعره على جهل مجتمعه وتخلفه شاكياً من معاشريه، وما لقي منهم من الجحود وإهمال الموهبة التي لديه وإساءتهم به الظن، بالإضافة إلى ما في شعره من شكاية من رجال

(1) منارات ثقافية كويتية، ص 14.

الدين المتعنتين المنغلقين والمتعصبين في اقصاء المخالف، والذين قد أغراهم في تصوري ما في شعره من الغزل والخمريات، يضاف إلى ذلك الشكاية البادية في شعره من زمنه ومجتمعه.

كل هذا لا يحمل دليلاً كافياً على كفر فهد العسكر وإلحاده لكن بساطة الحياة في المجتمع الكويتي آنذاك وسذاجة المشهد الثقافي فيه لم تحتمل هذا التدفق الشعري المصحوب بالتجديد والتحرر لدى فهد العسكر.

هذا كله لا يلغي ما عند فهد العسكر من التدين والنزعة الروحية، فهذا الاستاذ محمد رضوان محمد الكاتب يقول مدافعاً عن هذه النزعة الدينية عند فهد العسكر:

«وفهد مع هذا، سلك طريقاً سلكه قبله كثير من الشعراء. سلكه امرؤ القيس، وابن أبي ربيعة، وأبو نواس قديماً. وسلكه في عصره المرحوم عبدالحميد الديب.. وصدق الله العظيم حيث قال في حق الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴾ (الشعراء - 225، 226).. ولكن البغض أو الحسد، أو التنافس، أو الجهل، يُعمي أبداً، عن المحاسن، ويُري المساوئ، ويُنْسي: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود - 114)، ﴿وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة - 218).

فمن رمى فهداً بالإلحاد رمى أمثاله من الشعراء. وليس من جهل أعظم من هذا، لأن الإيمان متى دخل قلباً استحال خروجه منه، فكيف بمن ولد في بيئة مؤمنة، تؤمن بالله وبرسوله واليوم الآخر.. ومن تأمل قوله:

يا صاحبي قد كان ما شاء الهوى ∴ فإلى الكنيسة سر بنا لا المسجد

ويسير في ركب هواه حتى يجتذبه دينه إليه فيقول:

فاليوم قادت من تُحب لدينها ∴ وغداً يعودُ بها لدينِ (محمد).

آمن بإيمانه، وجرَّده من وصمة الإلحاد..

ثم يسوق نماذج من الشعراء الذين كان مصيرهم في نظر ابناء

مجتمعهم هو كمصير فهد العسكر من الاقصاء والاتهام منهم الشاعر عبدالحميد الديب.[1]

ثم إنه كان ينتقد ظاهره استغلال الدين عند بعض المنتسبين إلى العلم أو المؤسسات الدينية، في ظل ثقافة سائدة ترى أن الدين طير حر يقنص فيه من يمتلكه، وعلى أساسها قامت مؤسسات ودول.

وينتقد كذلك التعصب للآراء والذي ينتهي في حقيقته إلى الجهل والجمود، وهو أحد علل الحياة الدينية في المجتمعات العربية، وهو ذات المعنى الذي كان يدندن عليه علماء الإصلاح الديني في زمنه من أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ جمال الدين القاسمي، وهذا هو أحد روافد النزعة الدينية لديه، فهو يقول في قصيدته (أهلاً وسهلاً بالربيع):

وهوى الدراهم إن تأصل ... علةٌ، كهوى الموائدْ
والزهدُ يوجدُ في السماءِ، ... وقد يكونُ الذئبُ زاهدْ
هذا، وباسمِ اللهِ كمْ ... أحبُولَةٍ نُصبتْ لِصائِدْ
والدِّينُ من نِعَمِ السَّماءِ، ... وباسمِهِ الصيادُ راغدْ
وأبو التعصُّبِ والعُقوقِ ... «الجهلُ»، وهو أبو المفاسِدْ
والعلمُ نبراسٌ على ... أضوائهِ تُجنى الفوائدْ
فَإلى الأمام، إلى الأمام ... بنا، ولا عُذرٌ لقاعِدْ
وإلى الصراط المستقيم ... ولن ترى في القومِ حائدْ
والنارُ مثوى من يحيدُ ... ومن يشذّ عنِ القواعدْ
واللهُ بالمرصادِ يُخزِي ... كلَّ شيطانٍ ومارِدْ[2]

وعليه؛ فإنني أرى أن في ديوانه من المقتطفات والقصائد التي تؤكد النزعة الدينية والدفقة الشعورية الإيمانية لديه، وأن الثقافة الوليدة

(1) انظر: فهد العسكر حياته وشعره، عبدالله زكريا الانصاري، ص 286.
(2) فهد العسكر حياته وشعره، عبدالله زكريا الأنصاري، ص 208.

في الكويت لم تكن مؤهلة لاستقبال مثل هذه المعاني الجريئة التي يحملها شعره، مما ألجأ خصومه إلى رميه بالإلحاد.

وإلاَّ فبماذا نفسر وجود قصيدتين وجدانيتين رائعين تذوبان رقة وعذوبة إيمانية وحرقة على واقع ديني مزري، وما تحملان من تفاعل أدبي إبداعي مع مناسبة ذكرى المولد النبوي، بماذا نفسر هذا إن لم يكن نزعة دينية وفيضاً إيمانياً.

وهذا لا يخلي الشاعر من النقد والمؤاخذة على ما في ديوانه من قصائد المجون والخمريات مما لا يعارض وجود لحظات إيمانية وبوح صوفي في ديوانه، وهو يشبه في هذا المزاج أبا العلاء المعري الذي دافع عنه العلامة عبدالعزيز الميمني دفاعاً عظيماً، ورد شبهة الإلحاد عنه من خلال ديوانه وشعره.

بل إنه في قصيدته (كفى الملام)، والتي اتهم فيها بالشك والإلحاد قد تبرأ من هذه التهم، وعرض لمعاناته معها ومن التحامل والإقصاء والتضييق الذي جرى عليه، وهذه القصيدة المليئة بالشكوى تفصح عن تأذيه من هذه التهم، وبأنها مجرد أكاذيب واتهامات لا تستند إلى حقيقة، وإنها محض سوء فهم وتجني:

وتحاملوا ظلماً وعدوانا	علي وأرهقوني
فعرفتهم ونبذتهم لكنهم	لم يعرفوني
وهناك منهم معشر	أفٍ لهم كم ضايقوني
هذا رماني بالشذوذ	وذا رماني بالجنون
وهناك منهم من رماني	بالخلاعة والمجون
وتطاول المتعصبون	وما كفرت وكفروني
وأنا الأبيُّ النفس	ذو الوجدان والشرف المصون

الله يشهد لي ومـــــــا ∴ أنا بالذليل المستكيـــــن[1]

فهو يرى أنه محض تجني وتحامل وظلم، وأنهم لم يعرفوه ولم يتحققوا من أقواله، وما قيل فيه من الخلاعة والمجون هو محض رمي وتخرص، وأنه مؤمن لم يكفر وإنما هم الذين كفروه وكفى بالله شهيداً على ذلك.

وقوله هذا يذكرني بما قال الشاعر العباسي صالح بن عبدالقدوس الذي وشى به خصومه عند الخليفة واتهموه بالزندقة وقتل على ذلك، وهو القائل:

يلومني الناس فيما لو أخبرهم ∴ بالعذر منِّيَ فيه لم يلومونـــي

ومع الشاعر فهد العسكر كأن التاريخ يعيد نفسه.

(1) فهد العسكر حياته وشعره، عبدالله زكريا الأنصاري، ص 129.

- **قصيدته الأولى:**

مناجاة عيد المولد

بسمة ودمعة.... للشاعر / فهد العسكر

كفكف بربك دمعك الهتانــــا .: وافرح وهنئ قلبك الولهانــــا
واهتف وصفق وأحسُ من راحِ .: اللّقا كأسا لكيما نطرد الحزانا
واسكب أناشيد اللقاء بمسمــع .: الدهر المصيخ[1] وردِّد الألحانــا
بشراك ذا يومُ الولادة قد أتـــى .: فعساه يوقظ روحك الوسنانا[2]
أو ما رأيتَ صفاءَه وبهـــاءه .: وجلاله وجماله الفتانـــــا؟
قم يا أخا الشوق الملحّ وحيه .: وانشر عليه الورد والريحانـــا

***

الورقُ تشدو والبلابل سُجَّـــعٌ .: والروضُ يرقص ضاحكاً نشوانا
وعلى الأزاهر وهي تبتسم للضحى .: نشر الصباحُ زمردا وجمانـــا
هبت نسائمُه لتنشر طيبَهـــا .: وتداعب الأوراد والأغصانـــا
والكون يبدو مشرقاً متهلــلاً .: متبسما للقائه مزدانـــــا[3]
وعرائسُ الإلهام قد طلعت فقُـم .: وابنِ القوافي وارسِم الأوزانــا
انظَم لآلئها له وعقيقَهــــا .: ثم انثرِ الياقوت والمرجانـــا

***

يا أسعد الأيام يا عنوانهـــا .: أنعم وأكرم إن تكن عنوانـــا
لم تشفِ راحُ الذكريات أوَامَنـا[4] .: فعسى نبلُّ من اللقاء صدانـــا
يا أبركَ الأعياد ألف تحيــة .: منا تفيض عواطفا وحنانـــا
أرواحُنا رشفَت بفجرك حلمّهـــا .: وقلوبنا قد صفقت مذ بانـــا
عشِق الملائكُ بالسماء جمالــه .: وسبى سناه الحور والولدانـــا

***

يا فجَر يوم ولادة الهادي أطلّ .: على النفوس وبدِدِ الأشجانـــا

---

(1) المصيخ: المستمع.
(2) الوسنان: الغافل.
(3) مزدانا: أي مبتهجاً مسروراً.
(4) الأوام: العطش الشديد.

وابعث بها ميتَ العواطفِ واطرد ∴ اليأسَ الممض[1] وأيقظ الإيمانا
بك أشرق المختارُ في رأد الضحى[2] ∴ شمساً أنار سناؤها الأكوانـــا
إني لألمح في جمالك مسحـــة ∴ من حسنه أغرت بك الوجدانا
وعلى جبينك من سناه غـــرةٌ ∴ لم تعدم اللألاء واللمعانـــا
يا من بهذا اليوم أشرق نــــورُه ∴ وأضاء في قبس الهدى الأذهانا
وأنار بالإيمان أفئدةَ الـــــورى ∴ وأزال عنها الغش والأدرانـــا[3]
وبنى منارَ العدل بعد سقوطه ∴ فمحا ضياه الظلم والطغيانـــا
قم يا رسول الله كي نشكو إليك ∴ فمن سواك نبثه شكوانـــا
قم يا رسول الله وانظر هل ترى ∴ إلاّ شعوبا تعبد الأوثانـــا
قم وانظر الدينَ الحنيف وأهله ∴ أعزِزْ وأكبر أن تراه مهانـــا
قم واهدنا واعمر خرابَ قلوبنا ∴ إنا نبذنا الدين والقرآنـــا
إنا نسينا الله حتى سلّط الباري ∴ علينا يا نبيُّ عِدانـــــا
ويلاه أهملنا التعاليم التـــي ∴ جاء الكتاب بها فما أشقانـــا
ما إن تركنا البرَّ والتقوى معا ∴ حتى ألفنا الإثم والعدوانـــا
نعصي أوامرَ كل فرد مصلح ∴ والدينُ عن عصيانه ينهانـــا
والختلُ[4] والتدجيل قد فتكا بنا ∴ وتقودُنا أطماعُنا عميانـــا
كلٌّ بميدان اللذائذ والهـــوى ∴ يجري وما تلقى لديه عِنانـــا
أما الفقيرُ فلا تسلْ عن حالـــه ∴ حالٌ تثير الهمَّ والأحزانـــا
مسكين لا يشكو ويندبُ حظّـــه ∴ ونصَمُّ دون شكاته الآذانـــا
أما الغني فقلبُه ويمينـــــه ∴ لا يعرفان العطف والإحسانـــا
يختال في حُلَلِ الهنا بينا ترى ∴ ألِفَ التعاسةَ ذاك والحرمانـــا
المالُ سيدنا ونحن عبيــــده ∴ أو لم تَرَ التسليم والإذعانـــا
أو ما ترانا بالمبادئ والضمائـــر ∴ كيف نفدي الأصفرَ الرنانـــا
والكل منا بالموائد والملابــــس ∴ والأثاث يفاخر الأقرانـــــا
أطفالُنا اتخذوا الشوارعَ مسكنا ∴ أفينبغي أن نهمل الصبيانـــا؟

(1) الممض: المؤلم والمحزن.
(2) رأد الضحى: أي ساعة انبساط شمسه.
(3) الأدران: الأمراض.
(4) الختل: الخداع.

آباؤهم لا يرحمونهم ولـــــــم ⁖ يجدوا بصدر الأمهات حنانـــــا
فيشبُّ والفحشاءُ ضرعَ لِبانـــه ⁖ والذنبُ ذنب رجالنا ونسانـــا
هذي جرائمُنا وهل أربابُهـــــا ⁖ يرجون بعدُ الصفحَ والغفرانـــا

***

يا عبدُ إن نشكُ إليك فإنمـــا ⁖ نشكو إلى من جاءنا فهدانـــــا
العالم العربي يرنو حائـــــراً ⁖ قلقاً إلى من أوقدوا النيرانـــا
ويلاه قد جهل المصير فواســـه ⁖ يا عبدُ وامسح دمعَه الهتانـــــا
حدِّثه قد طاب الحديثُ عن الألى ⁖ فعسى تثير بنفسه البركانـــا
عن مجدنا وملوكِ أهــل الأرض ⁖ هلاّ نكّسوا الأعلام والتيجانـــا
حدِّث عن الفاروق عنوانِ العدالةِ ⁖ كيف شاد الملك والسلطانـــا
وعن الغضنفر سَعدٍ هلا زلزلت ⁖ بزئيرها أشبالُه الإيوانـــــــا
وعن الفتي المقدام أعني خالداً ⁖ أيامَ مزّق جيشُه الرومانـــا
وعن الشام وعن معاوية الذي ⁖ أعلى البناءَ وشيَّد الأركانـــا
وأدر على أسماعنا ذكر الذي ⁖ للصين قاد الصيدَ والشجعانـــا
والضيغم[1] ابن زياد طارق كيف ⁖ قاد السفن لما أن غزا الإسبانا
رجع بربك قوله «إن العدو ⁖ أمامنا أما الخضمُّ[2] ورانا»
وعن الرشيد وكيف أشرق تاجُه ⁖ شمساً أنار سناؤها البلدنا
في عصره الذهبي صفق راقصاً ⁖ طرباً على هام السِّماك لوانـــا
والمجدُ مزدهرٌ مُطل من عَـــلٍ ⁖ عشق الوجود شبابه الريانـــا
كانوا على وجه البسيطة سادة ⁖ أبدا وكنا بعدهم عبدنـــا
عبث الفسادُ بنا فبعثر ملكنا ⁖ والجهلُ شتت شملنا فكفانـــا

***

أبناءَ يعرب والكوارثُ جمَّـــةٌ ⁖ هيا انبذوا الأحقادَ والأضغانـــا
وتآلفوا وتكاتفوا وتسانـــدوا ⁖ متراصفين وحرِّروا الأوطانـــا
إنّا بعصر لا يعيش به ســوى ⁖ من كان بملك صارما وسنانا
هم أعلنوا الحربَ العوانَ على ⁖ سواك وأعلنوا حربا عليك عوانا
الأرضُ ترجف والســما مغبَّرةٌ ⁖ وبكل ناحية ترى شيطانـــا

---

(1) الضيغم: من أسماء الأسد كذلك.
(2) الخضمّ: البحر.

والبحر يبدو عابسا متجهمـــــا	∴	أين الأمان لنسأل الرحمانـــــا
غازٌ وألغامٌ بها كَمُنَ الـــــرَّدى	∴	والطائراتُ تطارد الإنسانـــــا
ومدافعُ والموت من أفواههـــــا	∴	أجرى الدماءَ وفرق الأبدانـــــا
وقنابل صرَع القلوبَ صُراخُها	∴	ويلاه تمحو الدور والسكانـــــا
لم يسلمِ الطفلُ الرضيعُ وأمه	∴	منها وتُردي الشيبَ والشبانـــــا
أنّى التفتَ فلا ترى إلاّ حديدا	∴	أو شواظا محرقا ودخانـــــا
نارٌ ولكنَّ الضعيف وقودُهـــــا	∴	واحسرتا إن أعلـــــن العصيانا
هذي ميادينُ القتال تعـــــددت	∴	وبكل ناحية تـــــرى ميدانـــــا
فقد انبرى العقبانُ ينفث سمَّه	∴	في كل جو فاحذروا العقبانـــــا
رحماك ربي فالدِمَّا مستنقعاتٌ	∴	خضَّبت وجهَ الثرى العريانـــــا
طَفتِ الجماجمُ فوقها وتناثرت	∴	من حولها الأشلاء يا مولانا
يا عيد أين السلم طال غيابُه	∴	فمتى يعود؟ وهل يخيب رجانا؟

***

أفراد يعربَ والعروبةُ تشتكـــــي	∴	هلا شفيتم قلبها الحرَّانـــــا
هي تستجيرُ بكم فقوموا واقسموا	∴	يا قومُ ألا تغمضوا الأجفانـــــا
واستمسكوا بالعروة الوثقى وكـ	∴	ـونوا صادقين عقيدة ولسانـــــا
كلُّ الشعوب تقدمت وتحـــــررت	∴	أيروقكم سجنُ الحياة مكانـــــا
يا نشءَ أمة يعرب عَقَدَتْ عليك	∴	رجاءها..... قُمْ قدم القربانـــــا
يا نشءُ يا أملَ البلادِ وسؤلها	∴	أقسم على أن لا تطيق هوانا
أقسم لها أن لا تنامَ وان تظلَّ	∴	على الولاء لها وأن تتفانـــــى
أقسم على أن لا يعيش بأرضها	∴	من باع مبدأه وشذَّ وخانـــــا
أقسم إذا ما الخصمُ حاول أن	∴	يهاجمها على أن لا تكون جبانا
أقسم لها يا نشءُ إن نادى المنـــ	∴	ـــادي للوغى أن تلبس الأكفانا
وأعدْ سعادتها إليها أيهـــــا	∴	النشءُ الجديد وأعطها البرهانا
فالله نِعم العونُ جلَّ جلالُــــه	∴	إن تعدمِ الأنصارَ والأعوانـــــا[1]

(1) فهد العسكر حياته وشعره، عبدالله زكريا الأنصاري.

- **قصيدته الثانية:**

وهذه القصيدة هي قصيدة طويلة لكن لم يصل إلينا منها إلاَّ ما أثبته وهو ما نقله الأديب عبدالله زكريا الأنصاري، وقد ألقاها في المدرسة المباركية بمناسبة المولد النبوي الشريف، وهو يستثمر مثل هذه المناسبات لاستنهاض الأمة والارتباط بمآسيها وآلامها، فهو ينعي على الأمة الإسلامية تخلف أبنائها ويشكو موت الروح في نفوس زعماء العرب، وتخاذلهم، هذا التخاذل الذي جر على جميع أبناء الأمة العربية الويلات والمصائب. وفي ذلك يقول رحمه الله:

طلَعَ الفَجْرُ غَنِّ يا قمْريَّـــهْ .:. واطْرِبي الرُّوحَ بالأغاني الشَجِيَّهْ
واشْدُ يا طَيْرُ بالغُصون وأيقِظْ .:. بأناشيدِكَ الزُّهـــور النديَّـــه
ملأ الفَجْرُ أكؤُسَ الورْدِ راحـــاً .:. لكَ تُزْري بالصِّرْفةِ البابليَّـــه
فإذا ما اصْطبحْتَ يا طَيْرُ عبِّـــر .:. ما رأى الورْدُ من رؤىً سحرِّيـــه
وتَقَبَّلْ وأنْتَ نَشْـــوانُ شـــادٍ .:. قُبلاتِ النَّســـائِمِ العِطْريَّـــه
هَا هُو الصُّبْحُ قد تَبدَّى تُحَلَّى .:. ثغْرَهُ الحُلْوَ بسْـــمةٌ ورْديَّـــه
وَانظُرِ الكَوْنَ كيفَ يرْفُلُ يا .:. طَيْرُ بتلكَ الغَلائِلِ العَسْجَديَّه

***

يا صَباحاً لِخَيرِ يوم تجلّـــى .:. جئتَ أهلاً وألف ألفِ تحيّـــه
بَزَغَت فوقَ فرقِكَ الشمسُ تاجاً .:. تَتـــلالا أنـــوارهُ الذهبيّـــه
غابَ بدرُ السماءِ لمّا تبَـــدّى .:. وتوارت منهُ النجومُ السنيـــه
كيف لا يُمنَحُ الجمالَ وفيـــهِ .:. أشرقَت طلعةُ النبي البهيّـــه
طلعةُ المنقذِ العظيمِ الـــذي .:. أنقذَهُم من مخالبِ الجاهليّـــه
طلعةُ المصلح الذي أســـعد النـــ .:. ـــاسَ بظلّ الشريعةِ الأحمديّـــه
خصّهُ اللهُ بالهدى فتجلّت .:. حِكمةُ اللهِ حين خـــصّ نبيّـــه
قُرشِيٌّ صلّى عليـــهِ وأثنـــى .:. بالكتابِ المجيد ربُّ البريّـــه

***

يا بني العُربِ والكوارثُ تَتـــرى .:. أوقِفوا سيرَها وصونوا البقيّـــه
يا بني الفاتحينَ إنّا بعَصـــرٍ .:. لا مُساواةَ فيـــه لا مدنيّـــه
لا إخاءٌ كما ادّعوا لا حقـــوقٌ .:. لضَعيفٍ عـــانٍ ولا حُريّـــه

بل بعصرٍ فيهِ الضعيفُ مُهـــانٌ ∴ فالنجاةَ النجـــاةَ بالمشرفيّـــه
يا بني العربِ إنّما الضعفُ عارٌ ∴ إي وربّي سلوا الشعوبَ القويّـــه
كم ضعيفٍ بكـــى ونـــادى ∴ فراحت لِبُكاهُ تُقَهقِهُ المدفعيّه
لُغَةُ النارِ والحديدِ هيَ الفُصـ ∴ ـحى وحظّ الضعيفِ منها المنيّه
ها هيَ الحربُ أشعلوها فرُحمـ ∴ ـاكَ إلهي بالأمّـــةِ العربيّـــه

***

يا بني الفاتحين حتّامَ نبقى ∴ في رُكودٍ أينَ النفوسُ الأبيّه؟
غَيرُنا حقّقَ الأماني وبتنـــا ∴ لَم نُحقّق لنا ولا أمنيّـــه
فمِنَ الغَبنِ أن نعيشَ عبيـــداً ∴ أينَ ذاك الإباءُ أينَ الحَمِيّـــه

***

قُم معي نَبكِ مجدَنا ونسحُّ ∴ الدمعَ حُزناً ونندبُ القَوميّه
قُم معي نسألِ الطلولَ عساها ∴ تَشفِ بالردّ غلّةً روحيّـــه
عن بني العُربِ يَومَ سَادوا وشَادوا ∴ مَجدهُم بالسُّيوفِ والسَّمهريَّه
وعن ابنِ الخطّابِ مَنْ حُكمُهُ العـ ∴ ـدلُ وسعدٌ بوقعةِ القادسيّه[1]

***

(1) فهد العسكر حياته وشعره، عبدالله زكريا الأنصاري، ص 115.



الفصل الرابع

الشاعر / خالد الفرج

(1316 - 1374 هـ، 1898 - 1954م)

- ترجمته:

خالد بن محمد بن فرج، من أسرة آل طرّاد، من المناديل، من الدواسر: «شاعر أديب مؤرخ - كان أسلافه في «نزوى» من وادي الدواسر، واستقر أبوه في الزبارة (من قطر) وخربت فانتقل إلى مسقط ثم إلى الكويت، وبها ولد خالد وتعلم وسافر إلى بومبي، في الهند، كاتباً عند أحد تجارها العرب. وأنشأ فيها مطبعة، ثم عادل إلى الكويت. وأراد السكنى في البحرين، فمنعه الإنجليز من دخولها، فنظم قصيدة مطلعها:

إن شئت بالبحرين تصبح تاجراً ∴ فاجعل بأول ما تبيع ضمائرا؟

وسكنها بعد ذلك وجُعل من أعضاء مجلسها البلدي، ودرّس في مدرسة الهداية بها. ومدح حاكم البحرين بقصائد، ثم عاد إلى الكويت (1927م) واتصل بعبدالعزيز آل سعود، ومدحه. وعُين مديراً لبلدية الأحساء، فالقطيف فالدمام. وأنشأ في هذه «المطبعة السعودية» وزار من أجلها دمشق وبيروت، مرات.

وأصيب بمرض الصدر، فسكن دمشق قبل وفاته بسنتين، وتوفي ببيروت، ولم يبلغ الستين، له كتاب «الخبر والعيان» في تاريخ نجد وما حولها، في العصر الحديث، و«مذكرات - خ» في تاريخ آل سعود، و«أحسن القصص - ط» في سيرة الملك عبدالعزيز بن

عبدالرحمن آل سعود، وهو ملحمة شعرية، بأسلوب عصري لطيف، جعل كل صفحة شعرية منها تقابلها صفحة نثرية، و«ديوان خالد الفرج - ط» وفيه من لطائفه أبيات قالها لمَّا أعلن المستشرق الإنجليزي «فلبي» إسلامه، آخرها عن لسان أحد الأدباء:

يقول ناقشت قلبـــــي ∴ فقال سري بقلبـــــي
والنكتة في قلب حروف «فلبي»

ومن كتبه «ملحق لديوانه - ط» و« ديوان النبط - ط» جزآن، وهو مجموعة من الشعر العامي في نجد، علق عليه بتفسير ألفاظه وترجم بعض قائليه، و«علاج الأمية - ط» رسالة عالج فيها تبسيط الحروف العربية في الكتابة، و«رجال الخليج - خ» تراجم. وكان جميل الخط إذا تأنق، وصنف خالد بن سعود الزيد، كتاب «خالد الفرج»، حياته وآثاره - ط «طبع سنة 1969م. [1]

• النزعة الدينية في شعر خالد الفرج:

يتضح لكل قارئ لديوان الشاعر خالد الفرج الثقافة الإسلامية الواسعة والدقيقة التي يتمتع بها، والتي انبثقت منها مسحة إيمانية تخللت الكثير من قصائده وسادت أجواء إبداعه الأدبي.

فهو مثلاً في قصيدته (الله ربي) يقدم بمقدمة، تشير إلى هذا المرتكز الثقافي لديه، إذ يبدو أنه اطلع على تاريخ الديانات والفرق، فقد ألقى هذه القصيدة بمناسبة إسلام دبلوماسي من السيك يعمل في القنصلية الإنجليزية في البحرين، وتسمى بـ«عبداللطيف»، وفي تقديمها يقول: «السيك جماعة من الهنود لهم ديانة شبه وثنية، خاصة بهم، ويقال إنهم كانوا وثنيين فدعاهم داع مسلم اسمه (بابانانك)، فلما رأى

(1) الأعلام، الزركلي، (ج 2 / ص 298).

انقيادهم الأعمى أغراهم وأسس لهم هذه الديانة.

ثم كتب هذه القصيدة متأثراً بهذا الجو الروحي مستثمراً هذه المناسبة لبث الكثير من تصوراته الدينية والإيمانية في هذه القصيدة التي بلغت أكثر من ستين بيتاً، والتي مزج فيها ثقافته الأدبية بثقافته الدينية والمعرفية بتاريخ الديانات والفرق، ففيها يخاطب «نانك» قائلاً:

يا ليت نانك لم يزغ عن رشده ∴ فيضيع منا نيّف المليـــــون
رام السيادة والسيادة بعضها ∴ سحر يُمَسُّ مُحبُّهَا بجنـــون
فَتَّشتَ في كتب الديانة باحثا ∴ ومقلبا من أظهر لبطـــون

ومما يؤكد النزعة الدينية لديه دراسته للسيرة النبوية الشريفة، وتفاعله مع أحداث سيرة النبي ﷺ ونظمه لمبادئ دعوته وتشريعاته، والتي تظهر مدى رسوخ الثقافة الإسلامية في نفسه والجو الإيماني الذي يصدر عنه، فهو يقول:

حتى أتاهم قارعا أسماعهم ∴ بنداءِ حق بالدليل مبين
أن لا إلهَ سوى العلي بعرشه ∴ بارى الورى ومُكَوِّنِ التكوين
وإلى الصراط المستقيم هداهم ∴ ودعاهم بكتابهِ المكنون
هم عاندوه مكابرين بجهلهم ∴ لكن دعوه بشاعر مجنون
واستكبروا ما قال في الأنصاب ∴ والأصنام من ذم ومن تهجين
فأقام لا تثنيه لومةُ لائم ∴ كلاّ ولم يأبه بفعل مهين
يُصلُونَهُ حَرَّ الأذى فيجيبهم ∴ ربِّ اهدِ قومي إنهم جهلوني
يا قوم جئتكم بأحسن ما أتى ∴ رسل به أقوامهم فذروني
أهديكم سبل الرشاد لخيركم ∴ في هذه الدينا ويوم الدين
لا تشركوا بالله ربا ثانيا ∴ سبحانه لا ينتمي لقرين
وثقوا بأني مرسل بكتابه ∴ يوحَى بروح من لدنه أمين
فإليه قوموا خُشَّعا بصلاتكم ∴ لتزودوا من قربه بيقين
وأعطوا الزكاة بحقها كيلا يُرّى ∴ من بائس فيكم ولا مسكين

صوموا تصحوا فالصيام مُطَهِّرٌ ∴ أدرانَكَم من أنفس وبطون
وإلى اللقاء بكل عام بينكم ∴ من حاضر أو نازح مشطون
في بيت ربكم الحرام تعارفوا ∴ وتآلفوا وتصافحوا بيمين(1)

والغريب في ديوانه أن هذه القصيدة ليست هي القصيدة الوحيدة التي كتبها الشاعر متأثراً بدخول شخص غير مسلم إلى الإسلام، بل إن هناك قصيدة أخرى تماثلها في الغرض، وهو من أندر وأغرب أغراض الشعر العربي والذي نتج من النزعة الدينية عند الشاعر.

قصيدته الثانية كتبها بمناسبة إسلام الضابط الإنجليزي والرحال الباحث المستشرق «سانت جون فلبي»، والذي تسمى بـ«الحاج عبدالله فلبي»، كان هذا في عام 1350 هـ، لأغراض استعمارية استشراقية، وهناك من يرى أنه كان صادقاً في إسلامه، ويتضح من القصيدة أن الشاعر منهم، فهو يقول:

الحمد لله ربـــــــــي ∴ قد أسلم اليوم (فلبي)
وذاك نصر عظيـــــم ∴ نلناه من غير حــــرب
ومن كفلبي غنـــــم ∴ حزنا به خير كســـب

***

والناس قالوا وقالــــوا ∴ كلام بغض وحــــب
لكن منهم أديـــــباً ∴ ربّ اطلاع ولــــــبّ
يقول ناقشت فلبــــي ∴ فقال: سري (بقلبي!!)

وفي البيت الأخير تطل ثقافته الإسلامية بكثافة وتلقائية، فهو قد استدعى حادثة أسامة بن زيد ﵁ حينما كان في سرية فطعن رجلاً من المشركين أسلم تحت بريق السيف، فقال له النبي ﷺ موبخاً: «أشققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا» (متفق عليه)، أي تعلم قالها تقية من

(1) ديوان خالد الفرج، ص 37.

السلاح أم لا. وقد قال الإمام النووي: «فيه دليل للقاعدة المعروفة في الفقه والأصول، أن الأحكام يعمل بها بالظواهر والله يتولى السرائر».

وهذا الفقه من التسليم لما يتولاه الله من سرائر البشر، هو الذي جعل الشاعر يظهر الابتهاج بإسلام «فيلبي» واعتباره نصراً عظيماً، ثم لما اختلف الناس في إسلامه وكل سريرته إلى الله، فهذا من عظيم وعيه الديني وثقافته الإسلامية الواسعة.

ومن الظواهر الدينية الملفتة في ديوانه أنه قد اقتبس من القرآن الكريم في مواضع عدة في قصائده، فهو يقول في قصيدة (الله ربي) في خطابه لـ«نانك»:

اقرأ كتابك باسم ربك واجن من ∴ آياته وحلاه كل ثميـن
وتدبر الآي الكريمة واتعـظ ∴ بالعصر أو بالتين والزيتـون

وهاتان السورتان تكفيان في سد حاجة «نانك» الدينية والعقائدية سورة العصر مثلاً، يقول عنها الإمام الشافعي: «من تفكر فيها كفته».

ويقول في قصيدة «عيد بلفور» مستذكراً قصة صراع بني إسرائيل مع أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ وما نالهم من غضب الله تعالى:

شعب شريد في الممالك ∴ منذ أن برئ الوجـود
هل هم بأطراف البلاد ∴ سوى شريد أو طريـد
أنجاهم موسى وقـد ∴ ضاقوا بفرعون الوليد
حتى إذا كفروا بـه ∴ مستهزئين بما يريـد
غضب الإله عليهـم ∴ وأعادهم مثل القرود(1)

وهذا المعنى من قول الله تعالى عنهم: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾

(1) ديوان خالد الفرج، ص 155.

(البقرة، 65). ومن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَـئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾ (المائدة، 60).

وكذلك في قصيدته (تمثال ترومان) يستدعي من القصص القرآني ما يفضح به ممارسات اليهود في فلسطين المحتلة، ويعرى واقعهم من خلال تاريخهم المخزي، فالباعث لهذه القصيدة هو أن الأمريكان قد أهدوا الكيان الصهيوني تمثالاً لترومان فنصبه اليهود في تل أبيب اعترافاً بخدماته لهم، فاستشعر الشاعر مسئوليته الأدبية من خلال هذه القصيدة التي استدعى في مستهلها ما قصه القرآن الكريم من جهلهم وضلالهم في عبادتهم لتمثال العجل الذي صنعوه من الذهب، فيقول:

في تل أبيب بنو صهيون قد نصبوا ∴ تمثال حاخامهم هاري تورمـــــان
عليه آثـام من جاروا ومن ظلموا ∴ ولعنة الخلق في سر وإعـــــلان
كالعجل داروا به لو كان من ذهب ∴ لألهوه بتقديس وإيمـــــــان[1]

وفي قصيدة (يا قوم)، يندب حال أمته في تشرذمها وما وقع فيها من التدابر والشقاق، وفي مطلعها يقول:

في قلة صرتم وقــــــد ∴ ألهاكم التكاثــــــر
تطاول الظـــــلال في ∴ أصيلها تقاصـــــــر

وواضح هنا تأثره بالجو الإيماني لمطلع «سورة التكاثر»، في قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾. وفي آخرها يقول الشاعر:

والتسع والتسعـــــون ∴ يحميها العدو الماكر

ولم يشأ الشاعر أن يؤنث (التسع) لأنه قصد بها الهجاء لا الاشارة إلى تعداد الملايين العربية من البشر، وكأنه يعني قوله تعالى: ﴿ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ (ص، 23).

---

(1) ديوان خالد الفرج، ص 190.

هذا سوى طوابع إيمانية تبرز الجو الديني في نفس الشاعر في العديد من قصائده، مهما اختلفت أغراضها وتعددت بواعثها.

فهو يمتدح البحرين بكثرة مساجدها، فيقول:

في كل شبر قلعة أو مسجد ∴ هذيك ظاهرة وذلك باد

ويعجبه في من يعرف من الناس من خلال علاقاته الواسعة برجالات دول مختلفة الجهاد والإيمان، ففي رثائه للشيخ عبدالوهاب بن حجي:

في ذمة الله المهيمن راحـــل ∴ صافي السريرة ثابت الإيمان

وهو يؤمن بيوم القيامة الذي فيه عقاب الكافرين والمستبدين، فيقول:

فتلك اليهود بهم وكـم ∴ قد صفقت للظلم كف

صبراً ففي يوم القيامـــة ∴ سوف ينفتح الملـــف(1)

وهو يحتفي بعلماء الإسلام ودعاته المصلحين، وهذا رافد آخر من روافد النزعة الدينية لديه، فهو يدعم مساعيهم الإصلاحية، ويقدر تضحياتهم وجهادهم، هاهو يُلقي قصيدة إجلالاً وتكريماً للعلامة أبي الحسن الندوي العالم والسائح الهندي المشهور، وذلك في حفل أقيم لتكريمه في مكة المكرمة، في مستهلها تحتشد عاطفته الدينية باستذكار دولة الإسلام الموحدة التي يفيء إليها الإيمان...

وكانت لدى الإسلام أكبر دولة ∴ غدت قدداً تذرى بكف التلاعب

وقد كان للإيمان ركن موحد ∴ يصادم عنها داهيات النوائـــب

وبعد أبيات يذكر العلامة الندوي بالتبجيل والتقدير لتجاربه في الإصلاح وتضحياته فيه:

(1) ديوان خالد الفرج، ص 184.

ومن حسن حظي أن أراني سائلاً ∴ لهاله فضل حول أزهر ثاقــــب

أبي الحسن الندوي والعالم الذي ∴ يضيف لكنز العلم شتى التجارب[1]

(1) ديوان خالد الفرج، ص 128.

• قصيدته الأولى:

النبي محمد ﷺ
للشاعر / خالد الفرج

بمحمد صلوا عليه وسلموا ∴ قد أشرق الكون البهيم المظلمُ
ليل عليه الشرك مَدَّ رواقه ∴ فهوت به شُهُبٌ وخرت أنَجمُ
هي كالنِّثار من الملائك للورى ∴ فرحاً به ولكل عات ترجمُ
وتقدمته من الخوارق جملة ∴ شَدَه القُسوسُ لها وحار القيمُ
نور الهدى كالصبح لاح فأخْمِدَتْ ∴ نارُ المجوس ولم تعد تتضرمُ
وتهاوتِ الأصنام من عليائها ∴ كادت لفرط سقوطها تتحطمُ
وكأنما الارهاص ينطق واعظا ∴ لو يفهم القولَ الأصمُّ الأبكمُ

***

ولدت (آمنة) أغرا أبلجا ∴ بشرا بناموس النبوة يختم
وعليه من سيما الكمال مخائل ∴ تُجْلَى إذا ما شامَها المتوسم
متميز جمع الفضائل كلّها ∴ خُلُقاً وخَلْقاً ذا لذاك متمم

***

بُعث النبي (محمدٌ) في فترة ∴ قد ساد فيها كاهن ومنجم
لم يبق فوق الأرض إلاّ مشرك ∴ أو ملحد في تيهه يترجَّم
وتُنُوسيَ الدينُ الحنيفُ وحرَّفَ الـ ∴ ـكتبَ العتيقةَ راهب ومترجم
فأبيحت الحرمات والأرواح والأعـ ∴ ـراض إذ لم يبق ثم محرم

∴

كسرى يعمُّ على المشارق ظلمه ∴ (وهرقل) منه في المغارب أظلم
والناس بين القيصرين كأنهم ∴ غنم على تلك الذئاب تقسم
حتى تمنى الفرس عودة (مُزْدَك) ∴ وتعوَّذَ البيت العتيق وزمزم
وفُجاءَةً أصْغى (حراءُ) لرنة ∴ جبريل في أرجائه يتكلم
غار غدا لهدى الوجود محارة ∴ يتفلّق الإصباح منه ويبسم

في جوفه اضطجع (الأمين) مفكرا ∴ أحقائق؟ أم ما يراه توهم

فأتى (خديجة) دثروني زملوا ∴ مِنْ خوفه وهو الشجاع المعلم
وتضاحك القوم الطغاة لقوله ∴ إني (رسول الله) جئت إليكم
أنْ لا إله سواه وهو بعرشه ∴ ألأوّلُ المتأخر المتقدم
و (محمد) هو عبده ورسوله ∴ قد جاءَه منه الكتاب المحكم
يا قوم لا تَدْعُو إلهاً غيره ∴ هل تعبدون حجارة لا تفهم
هذا (كتاب الله) في إعجازه ∴ لن يأتينَّ بمثله متكلم
حارت عقولهم فقالوا إنــــه ∴ شعر بسحر الأولين مطلسم
قد عاندوه مكابرين وبالغوا ∴ حيث السفيه - من الأكابر - أحلم
هم كذبوه وعذبوا أتباعه ∴ فاستعذبوا فيه العذاب وصمموا
فتستروا زمناً وقد أخفاهم ∴ في داره وقت الصلاة (الأرقم)
حتى أتاه (اصدعْ بما تؤمر) به ∴ فبدوا برغم القوم لم يتكتموا

***

لله من أبناء (قيلة) معشر ∴ قد بايعوه على الجهاد وأسلموا
في (غار ثور) ثاني اثنين اختفى ∴ وكأنما الأعداءُ دونهما عموا
هي هجرة بين الضلالة - فيصلٌ - ∴ والهدى فاتضح السبيلُ الأقوم
(فبطيبة) انبثق الضيا متألقاً ∴ لمع (الخليج) به وضاءَ (القلزم)
وتوالت الغزوات حتى أصبحت ∴ كل الجزيرة للهدى تستسلم
وببرهة عم البسيطة كلــــها ∴ دين لأحوال العباد منظــــم
صلوا وصوموا وادفعوا صدقاتكم ∴ وإليه بالحج المقدس أحْرِموا
صلة العباد بربهم صلواتهم ∴ الفرد من مفروضها والتوأم
والصوم فيه صحة وتطوع ∴ وبه الإرادة بالهوى تتحكم
ولو أننا نؤتي الزكاة بحقها ∴ ونصابها لم يبق فينا معدم
والحج مؤتمر التعارف والولا ∴ للناس إنْ جَمَعَ الوفودَ الموسم
لا فرق بين أعارب وأعاجم ∴ من يتقي مولاه فهو الأكرم
والنفس فيما قد جنته رهينة ∴ يوم القيامة إذ يجازى المجرم
دين يلائم كل شعب في الورى ∴ وبكل قطر شاسع يتأقلم
يدعو إلى أسمى الكمال وأعدل ∴ التشريع لا ظلم ولا متظلم

قد جاءَ يأمر بالعبادة والتقى ∴ من غير رهبنة تميت وتعدم
للطيبات محلل يدعو إلى الـ ∴ قصد الوسيط وللخبيث محرم
تتضاءل الأديان حول سموه ∴ وبه يسود ولا يساد المسلم
لكننا خَلَفٌ خلفنا بعدهم ∴ ضاع التراث ووارِثوه نُوَّم
المسلمون حياتهم في دينهم ∴ ما أمسكوه وويلهم إنْ أحجموا[1]

***

(1) ديوان خالد الفرج، ص 41.

- **قصيدته الثانية:**

المعـــــراج
للشاعر / خالد الفرج

أسرى به في ليلة المعراج .·. بمعاجز الإلجام والإســـــراج
نور سرى فوق الأثير وميضه .·. والليل في العشر الأواخر داجـي
حتى أضاء الكون نور سنائه .·. متألقاً في ضوئه الوهـــــاج
بدر أضاء الخافقين بهديه .·. في عالم لضيائه محتــــــاج
من بطن مكة والعوالم هجع .·. أسرى به للقدس ذي الأبــــراج
وسما إلى الأفق العلي بليله .·. يفتض محكم مغلـــــق الأزلاج
حتى تدنى قاب قوسين إلى .·. أن كان يسمع همسة المتناجـــي
ولقد رآه نزلة أخرى كما .·. قال الإلـه بقصـة المعـــــراج
من ذا يماريه على ما قد رأى .·. لولا العناد وخطة الإرهاج
إذا جنة المأوى وفيها ما اشتهت .·. نفس وما يهواه كل مـــــزاج
والسدرة العظمى وإذ يغشي الذي .·. يغشي من الأفـــــراد والأزواج
في عالم ملكوته طهر بلا رجس .·. هناك ولا بـــــذيء لـجاجــــي
جبريل ينشر بالسلام جناحـه .·. يققاً تطهر عن دم ثجــــــاج
وترى الملائك قائماً أو قاعداً .·. يدعو بذل ربــــــه ويناجــــــي
بحر من الأنوار ضوء كلــــــه .·. متلاطم كالعليم العجــــــاج
تتوجه الأمال نحو مقامــــــه .·. مثل الفراش يحوم حول ســـراج
يدعو دعا المظلوم فيه مكبـــــرا .·. وتوسل الملهوف والمحتــــــاج
فرأى الذي ما قبله عــــين رأت .·. كلا ولا سمعته أذن مناجـــــي
والصالحون ذوو الشهادة والتقى .·. يمشون في الفردوس في الديباجي

يسقون مختوم الرحيق مشعشعاً ⁘ بالنور كأساً في لطيف مزاجي
ورأى ذوي الآثام والإجرام في ⁘ حال من الآلام والإزعـــــاج
يغذون بالزقوم والغســــلين ⁘ أو يمشون في الأغلال بالكرباج
والأنبياء استبشروا بأجلهــــم ⁘ في القدر والناموس والمنهاج
ولقد رأى آياته الكبـــرى ⁘ التي هي للجهول طلاسم وأحاجي

تباً لمن أعمى الهوى أبصــاره ⁘ فغوى كسار في قتام عجاج
هزأت قريش حين قال طغاتها ⁘ لا تسمعوا لمخرف هــــراج
قولوا! أيقطع في هزيع ماونت ⁘ عنه هجان الســير والإدلاج
أم كيف يعرج للسماء بجسمه ⁘ صُعُداً بلا ســبب ولا أدراج
من ذا يقيس المعجزات بعقله ⁘ في منطق وقواعد استنتاج
إن المعاجز لا تقاس بآلــــة ⁘ وسمت عن المسطار والأزياج
من قبل قرن من يصدق أننا ⁘ سنرى ونسمع من بعيد فجاج
أو يدرك الرادار رجع صدى لـه ⁘ حول السهى بتذبذب الأمواج
أو يخضع الإنسان عنصر ذرة ⁘ بسديد تفكير وحسن علاج
هزؤوا به سفهاً لضعف حلومهم ⁘ والله آخذهم بـالاســـتدراج
حتى انجلت لهم الحقيقة بعدما ⁘ شهدوا من الآيات كل مفاجي
وانقاد كل مكابر ومعانـــد ⁘ وأنصاع كل منافق ومداجــي
وتهاوت الأصنام من عليائـــها ⁘ واجتثت العزى من الأوشــاج
والناس كلهم بعزم صـــادق ⁘ دخلوا بدين الله بالأفـــواج
ومشت كتائبهم مشاعل للعلى ⁘ من كل أزهرَ بالشهادة ناجي
هوت العروش أمامهم وعنا لهم ⁘ ذو الصولجان وأبهات التاج
وعلى البسيطة رفرفت أعلامهم ⁘ كالصبح عم الأفق بالإبلاج
القدس للفاروق يفتح بابــــه ⁘ ويزيل عنه محكمَ الإرتـــاج

ويظل مفتوحُ الرتاج مُؤمـــــناً ∴ حرا لمقدم سائر الحجـــاج
وأتى صلاح الدين يقدم جيشه ∴ ليبشر المأســـور بالإفــراج
واليومَ رُوعِّت المحارمُ جهـــرة ∴ فيه وشُتِّت أهلـــه بملاجـــي
وغدت فلسطين الشهيدة مذبحاً ∴ فيه الدماء جرت من الأوداج
في دير ياسين وفي أخواتها ∴ ذَبح الأهالي مثلُ سرج نعاج
والمسلمون جميعهم في شاغل ∴ من سفسفات أو عقيم لجاج
رحماك ربي إن أرضك قد خلت ∴ فابعث لنا يارب بالأفراج[1]

***

(1) ديوان خالد الفرج، ص 43.

• قصيدته الثالثة:

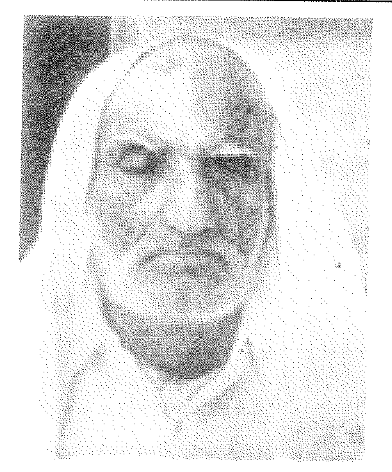
الإسـراء

للشاعر / خالد الفرج

في ليلة صبغ الظلام أديمهَا ∴ فاحلَولَكَت وغطا الوجودَ سوادُ
لولا الكواكب في وميض شعاعها ∴ لتدثــرت بظلامهـا الأطـوادُ
عم السكونُ فكل شيءٍ هاديءٌ ∴ وطغى على كل الأنام رقاد
جاءَ الأمين مع البراق يقوده ∴ برق تكوّن من سناه جواد
يجري كأمواج الأثير بسرعة ∴ كالفكر تقصر عنده الأبعاد
حيث النبي بنومه مستغرق ∴ قد أعوزته حشية ووساد
ما كان بعد خديجة يحلو له ∴ بيت - يذكره بها - ومهاد
فأتى إلى دار (أم هاني) باغيا ∴ سلوى وهل يسلو الحبيبَ فؤاد
وهناك تأخذه على آلامـه ∴ سِنَةٌ يطاردها العشيَّ سـهاد
وإذا بجبريلَ الأمينِ يهـزه ∴ قم للقاءِ فقد دنا الميعـاد
فارتاع مما قد رآه ماثـلا ∴ ملك تجنح نوره وقّـاد
ماذا وراءك قال باسم الله قم ∴ لله فيما قد قضاه مـراد
فعلا على متن البراق ميمما ∴ للقدس حيث تَهَجَّدَ العبّاد
فدنت له الأبعاد من آفاقهـا ∴ وتقاربت مع بُعدِها الآبـاد
كالبرق كالفكر السريع تصورا ∴ تُطوَى له الأغوارُ والأنجاد
فتريثا في طور سينا برهـة ∴ وببيت لحم إذ جرى الميـلاد
وبثالث الحرمين صلى قانتـا ∴ بالأنبياء وهم له أنـداد
موسى وعيسى والخليل جميعهم ∴ فتصافح الأحفاد والأجـداد
وإلى السماء وقدسها عرجا معا ∴ حيث الرجوم تقام والأرصاد
فتفتحت أبوابها لقدومـه ∴ سبع على غير الرسول شداد
وهناك آدم مشفق متطلـع ∴ للأرض مما يصنع الأحفـاد
يأتون ألوان الفساد ببغيهـم ∴ مَن أشركوا وتنصروا أو هادوا
تجري الدماءُ كأنهر ما بينهم ∴ يؤذي الضعيف وتُوءَدُ الأولاد
لا وازع يزع الذين تجـبروا ∴ فتألهوا بعتوهم أو كادوا

ورأى الملائكَ خشعا يعيا بمـــــا ∴ يأتونه النساك والزهـــــاد
والأنبياء والصالحون جميعهم ∴ حيّوه والشهداءُ والعبــــاد
فأراه جل جلاله آياتــــهِ الـ ∴ كبرى وليس لما رآه نفاد
ودنا إلى الملأ العليّ وقبلــــه ∴ لم يأت هذاك المقامَ عِباد
فوعى يقين الكائنات بلحظة ∴ ما ليس تدرك حصره الآماد
هي حكمة المعراج عن كثب وعى ∴ ما لا يعيــه الــدرس والتعـــداد
وكما بدا قد عاد قبل صباحه ∴ لم يضنه الإسراءُ والإجهاد
قد عاد أعلمَ مَن عليها حاملا ∴ سر الهدى وسبيلُهُ الإرشاد
لكنهم قد كذبوه لجهلهــــم ∴ واستهزأ الإشراك والالحـــاد
قاسوه يا لَضلالِهم بنفوســـهم ∴ كالنمل حين تظلها الأطــواد
وتفلسفوا بزمانهم ومكانهــــم ∴ وحدودهم مما عليه اعتـــادوا
وتجبروا والله بالغ أمـــــره ∴ كادوا فردَّ بنحرهم ما كادوا
وبرغمهم عم الهدى وتقاطــرت ∴ تترى له الأفواج والأفـــراد
وأضاءَ هذا الكونَ نورُ سنائه ∴ متألقا يهدي الجميع رشاد

***



الفصل الخامس

الشاعر / صقر الشبيب

(1894 - 1963م)

- ترجمته:

هو أحد أعلام أدبنا المعاصر، اصطبغ شعره بنزعة تشاؤمية جرَّت عليه من الويلات ما ألجأه إلى اعتزال الناس.

كان - رحمه الله - حر الرأي صريح الفكر، فذاً في شاعريته، صادقاً في سريرته، ناصر المرأة وأعلن الحرب على رجال الدين المزيفين، عربياً صرفاً، لم تخالطه عجمة في دمه أو فكره. ولئن قال الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في صقر:

أيا صقر الحجا وأديب قومي ∴ وشاعرهم بإقرار العموم

فلقد صدق بما نطق، فهذا هو الأستاذ شاعر الخليج خالد الفرج يُعرب عن حقيقة صقر ومكانته من الأدب والأدباء، فيقول:

معري الكويت وبشارّها ∴ هززت من النفس أوتارها
وألمستها من دقيق الخيـ ∴ ـال ما يعجز أفكارها
بآيات سحر هتكن القلـ ∴ ـوب، أزحْنَ عن النفس أستارها
ولو مُثِّلَتْ للمعاني الريـ ∴ ـاضُ، لكانت معانيك أزهارها

وحقاً، فلقد كان صقر هو المعري الذي جاد به القدر مرة أخرى على الدهر، وحالة الشبه بين العبقريين واضحة لمن أمعن النظر في حياتهما، وأجال الطرف في شعرهما، فلقد اتحدا فكراً وتقارباً خلقاً.

كلاهما نشأ ضريراً، وكلاهما اعتزل الناس وضاق بهم ذرعاً، وكلا الرجلين أتهم بالزندقة ورمي بالإلحاد.

ولد صقر لأب فقير، رقيق الحال، صياد سمك، ولقد آثر أن يدرب ابنه على هذه المهنة، غير أن الولد أصيب بمرض في عينيه وهو في السابعة من عمره، ثم شاء القدر أن يستأثر بأمه وأبيه بعد سنوات، فعاش يتيم الأبوين، منفرداً، صفر الكفين:

أعمى مقلٌ جردتهُ يد القضـــا ∴ فإذا شككت فسل بذلك ملبسي

وبعد موت والديه لجأ إلى (الكتاب) فحفظ القرآن واستظهره دون فهم لمعانيه. وكان الغلام يحس في نفسه غليان النبوغ يطمح به ويدفعه إلى آفاق أبعد. فأعانه الله برجل من الأثرياء كريم، هو المرحوم شملان بن علي فناصره وأرسله على نفقته إلى الاحساء ليتزود بما لدى علمائها من علوم، وهناك تفتحت مواهبه، ووجد في الاحساء ما شفى غليله أو شيئاً من ذلك، فأخذ ينهل من علوم اللغة والنحو والفقه، ويستمع لما يقرأ عليه من شعر الأقدمين والمحدثين، فأعجبه شاعر كان يتهم بالإلحاد والزندقة، فيشبه به أحياناً على سبيل النكتة والمزاح، فاستهواه اسم المعري، فانكب على مطالعة كتبه ولزومياته، وبما لديه من حافظة قوية، استطاع أن يستظهر معظم ما قرئ عليه من أشعار، وأن يحفظ لزوميات المعري، فيتأثر بأفكاره وخطاه.

ولما عاد من الإحساء وكان، وكان عمره 20 سنة، أخذ يطوف في المساجد ويعظ الناس، ولكنه بعد مدة بدأ يقرأ الآثار الأدبية الحديثة لشوقي والمنفلوطي، والعقاد، وحافظ، فتغيرت أفكاره بعدئذ تغيراً ملحوظاً وتبلورت مفاهيمه، وكانت له رغبة ملحة، بعد رجوعه من

الاحساء، أن يدرس في المدرسة المباركية، فرفض طلبُهُ لأن مقدمَهُ أعمى، فتأثر تأثراً بالغاً، ونظم هذه الأبيات:

يقولون لي يا صقر مالك عاطلاً ∴ وقد وظفوا من لم يقاربك في الأدب
فقلت لهم: في رثة الثوب ما نعي ∴ رُقيبي إلى تلك المناصب والرتب
يُوَلى هنا المرء الوظيفة جاهلاً ∴ على شرط أن تُلفى ملابسه قشب

ولقد كان لصداقته بالشيخ عبدالعزيز الرشيد أثر كبير عليه، فلقد رأى فيه عالم الدين الورع وفقيه الدنيا المتفتح العقل، المستنير الفكر، فتلازم الاثنان، وربط حبل روحي بين حياتهما وود فكري عميق، ولعلنا نلمس ذلك في تاريخ الكويت للشيخ عبدالعزيز الرشيد وهو الذي أطلق عليه لقب شاعر الجزيرة العربية.

نشر صقر في مجلة المرأة الجديدة التي كانت تصدر في العراق قصيدة بعنوان (يضر النصح) قال فيها:

وخَلوا في الديانات إفترافا ∴ يؤول بكم إلى الحرب. العوان
ودينوا من تكاتفكم بدين ∴ لكم يُلقى التقدم بالعنان

فقامت قيامة بعضهم وفسروا قوله هذا بما يتفق وعقولهم المتحجرة، فدبروا مؤامرة لقتله، فلم بمغادرة بيته لولا شفاعة بعض أصدقائه المخلصين، ثم أفتى بعضهم بهجره والابتعاد عنه، فقال:

تقول لقد أفتى بهجرك شيخَنا ∴ أناسٌ بشرقي الكويت تقيم
فقلت جزاه الله خيراً فهجر كم ∴ لنفسي به لو تعلمون نعيم
على راحتي قد حثكم، ومراده ∴ شقائي، وربي بالضعيف عليم

فاعتكف صقر في بيته واعتزل الناس، وصار كما كان أبو العلاء من قبل رهين المحبسين، حتى اليوم السادس من شهر أغسطس (آب) عام 1963م، حيث انتقل إلى جوار ربه.[1]

(1) أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، (ج 1/ ص 117).

• النزعة الدينية عند الشاعر صقر الشبيب:

وإن النزعة الدينية ممثلة بالثقافة الإسلامية لتبدو متوهجة صريحة في ديوان الشاعر صقر الشبيب، والذي كان يدفعه شيخ الكويت عبدالعزيز الرشيد في مقدمة الشعراء المعبرين عن مزاج أهل الكويت وأفكارهم في مختلف شئون الحياة، من خلال استشهاده بشعره في كتابه الشهير تاريخ الكويت، وقد فاقت شواهد الرشيد في كتابه من أبيات صقر الشبيب المائتي بيت.

الشاعر صقر الشبيب آنذاك يمثل النخبة والطبقة المثقفة في المجتمع الكويتي، والذي تعد الثقافة الإسلامية حجر أساس يقوم عليه البناء المعرفي لديهم، فهو قد حفظ القرآن الكريم ودرس الأحاديث النبوية وطالع كتب التفسير. (1)

وهذه الثقافة هي التي رصدها د. احمد العلي في دراسته الموسعة لشعر صقر الشبيب في مواضع عدة من ديوانه، وإن لم يفردها في غرض شعري مستقل، والتي تكشف لنا جانباً من فلسفته في الحياة، فمثلاً حينما توفي شيخ الشاعر صقر الشبيب واستاذه الشيخ عبدالله خلف الدحيان، فجع الشاعر فجيعة عظيمة وأصيب بمصاب جسيم، انعكس على رثائه له، وفي هذا الرثاء على حد تعبير د. أحمد العلي: وصف لما في الدار الآخرة استطلعه صقر من ثقافته الإسلامية من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف (2). فمنها قوله عن الحياة الآخرة التي انتقل إليها شيخه:

فهناك لا حسدٌ ولا حقد ولا ⁞ مكر ولا غدر ولا شحنـــــاءُ
وهناك لا كذب ولا غش ولا ⁞ زور ولا كِبر ولا خيـــــلاءُ
وهناك لا شح ولا ذو نعمة ⁞ عنها تذاد بجوعها البؤســاءُ
وهناك لا تلقى وداداً صَحبُه ⁞ يتلونون فكلهم حِربــــــاءُ
وهناك لا كيد ولا ذو حيلةٍ ⁞ بشباكها بُلهُ الورى أَسَرَاءُ
وهناك لا جُبن ولا ذو صولةٍ ⁞ وَجَلاً تُحابي رأيَـــــهُ الآراءُ

(1) شعر صقر الشبيب دراسة وتحليل، د. أحمد العلي، ص 58.
(2) شعر صقر الشبيب دراسة وتحليل، د. أحمد العلي، ص 142.

وهناك لاى ظلم ولا ذو قوة ∴ منه تَخَافُ السطوةَ الضعفاءُ
وهناك لا طمع ولا ذو ثروة ∴ تعنو لوجه ثرائه البسطـــاءُ

ومن الظواهر التي تتبعها د. أحمد العلي هي ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد وقف على أكثر من عشرين بيتاً من قصائد مختلفة، قد اقتبس الشاعر معانيها من الثقافة الإسلامية ونصوصها.

منها قوله:

فكأنه فيها لطول شقائه ∴ في ناره «فرعون» ذو «الأوتاد»

مأخوذ من قوله تعالى. ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ (الفجر، 10).

وقوله:

وعدلُ الله لا يلغي جزاء ∴ فلا يغررك بالله الغرور

من قوله تعالى: ﴿إِن وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان، 33).

وقوله:

وخيفةَ أوجست نفس لِقسوتِهِ ∴ والجِدُّ لم يَسرعني ثوبَ إيجاس

من قوله تعالى. ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴾ (طه، 67).

وقوله:

فلست بمرتد ـ كما كنت ناشئاً ∴ غريراً ـ على آثار عشرتهم قَصَصْ

مأخوذ من قول الحق تبارك وتعالى. ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً ﴾ (الكهف، 64).

وقوله:

وسراب الفلاة كم غرَّ من ∴ قبل عطاشا بالمنظر البراق

مأخوذ من قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ

بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (النور، 39).

وقوله:

لا خير في ثروة خرطوم صاحبها ∴ بالذّم والإثم في الدارين موسوم

مأخوذ من قوله جل وعلا: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾ (القلم، 16).

ومن الحديث الشريف كذلك في شعر صقر نجد بعض استلهام مثل قوله:

وعلى الفطرة القديمة كلٌ ∴ يوم لاقى حياته مفطور

مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تُنتَجُ البهيمة، هل ترى فيها جدعاء». (1)

ومن أروع اقتباساته من القرآن الكريم، وأدلها على قناعاته الدينية وثقافته الإسلامية الراسخة في ذاته قوله في رثاء أحد شهداء الكويت في معركة الجهراء سنة 1920م، وهو علي بن شملان ـ رحمه الله ـ:

وما ذاك موت بل حياة نفيسه ∴ يودّ ويهوى مثلها المتبصّـــر
وقتل سبيل الله أحيا بلا مـــرا ∴ وذلك شيء في الكتاب مسطّر
لهم عند رب العرش رزق وفرحة ∴ وهم عنده في جنة الخلد خطّر

والاقتباس من القرآن الكريم بارز في هذه الأبيات، كما يدل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ

(1) ينظر: شعر صقر الشبيب، د. أحمد العلي، ص 239.

يَحْزَنُونَ ﴾ (آل عمران - 169، 170).[1]

ومطلع هذه القصيدة:

هو الدهر بالإنسان لابُدَّ يغدر ∴ ومهما صفت منه الموارد تكدر

وثقافته الإسلامية كانت ملاذه ورصيده المعرفي المأمون في إيجاد الحلول والمخارج للكثير من الأزمات والنوازل التي تنزل بوطنه، وهو كان يستشعر المسئولية الوطنية التطوعية حيالها فلا يملك إلاَّ أن يجعلها من ضمن رسالته الأدبية، ففي سنة 1362 هـ حدثت أزمة اقتصادية أدت إلى ارتفاع الاسعار فضاق الناس بهذا الغلاء ذرعاً، فكتب الشاعر صقر الشبيب هذه القصيدة متفاعلاً مع هذه الأزمة الخانقة، وفي طيها دعوات ذات نزعة إيمانية واضحة مستنبطة من معرفة أصيلة بمبادئ الإسلام وتعاليمه السمحة، فهو ينصح الأغنياء قائلاً:

فكل منكم عما قليل ∴ سيترك ماله ميتا وراءَ
وليس بمفلح من لم يقدم ∴ من الأعمال أحسنها جزاء
وما كالبر من عمل فطوبى ∴ لمن لم يصبحوا عنه بطاءَ
وهل غرس الفتى أجدى وأزكى ∴ وأطيب من مبرته اجتناء
وليس بناقص الأموال لا بل ∴ يجر لها الزيادة والنماء[2]

وهو في تصوري مأخوذ من قول النبي ﷺ: «*ما نقص مال من صدقة*». وفي رسالة شعرية وجهها إلى العميان ويعدد فيها خلالهم وما يستطيعون على إنجازه في الحياة، ومن هم قدواتهم فيها جاء هذا البيت:

وطه قد بني مجداً رفيعاً ∴ له بين الورى شأن خطير

حث فيه معاشر العميان للاقتداء به ﷺ والتعرف على سيرته.

ومن فيض هذه الحياة الروحية التي ينعم بها، كانت هذه

(1) ينظر: شعر صقر الشبيب، د. أحمد العلي، ص 145.
(2) ديوان صقر الشبيب، ص 72.

القصيدة التي هي عبارة عن تسبيحة إيمانية، وركون إلى قضاء الله وقدره، جاءت هذه القصيدة كوصايا إيمانية لأحد المحسنين وقد نزلت به شدة فيما يبدو، جاءت هذه القصيدة تحثه على حسن الظن بالله والصبر على الشدائد والركون إلى قضاء الله وقدره، وكأنها عيش وجداني مع قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق ـ 2، 3)، فيقول له:

وظني أن الله عنك مفرج ... وشيكا فلا تُنزل جوانحك اليأسا

وربك لم ينزل بذي العرف شدةً ... ليجعلها وقفاً عليه ولا حبسا

ولكنه يأتي بها رافعاً له ... ذرا الأجر أو من أجره مثبتا أسا

فظن جميلاً بالذي في فضائها ... إذا كسفت شمس النهاء جلا الشمسا

ولم أر كالإحسان درعا منيعه ... تقي أهلها وقع النوائب أو ترسا

فكم نزلت بالمحسنين شدائد ... ففرجها من حيث لم يحدسوا حدسا[1]

لفتة إيمانية تذكرني بقول النبي ﷺ: « *صدقة السر تطفئ غضب الرب* ».

وقد عاش الشاعر مع القرآن الكريم دراسة وحفظاً، كما علِمنا من سيرته، وعشق لغة القرآن الكريم والذي كان ديوانه الفصيح من ثمرات هذا العشق، حتى كتب متحسراً على حال هذه اللغة قصيدته (لهفي على الفصحى)، والتي مطلعها:

ما زلت أسمع لحن ذا اللحان ... حتى لكدت أذوب من أشجاني

وفيها يصرح أن أعظم مآثرها وأحسن ميزاتها، نزول القرآن الكريم بها إذ يقول:

الحسن والإحسان فيك تكاملا ... والحر عبدالحسن والإحسان

ما فات وجهك منهما من بعدما ... فيه تجلى معجزُ القرآن

فلو اكتفيت كفاك ذاك مزية ... ما عن بين الناس ذكر بيان[2]

---

(1) ديوان صقر الشبيب، ص 334.

(2) ديوان صقر الشبيب، ص 436.

• قصيدته:

ذكرى مولد الرسول ﷺ

رفع الله مجد بيت الضَّادِ .. وذويها منهُ بخير عمادِ
فعليه مع الصَّلاة سلامٌ .. فيه يملبهما جميلُ اعتقادي
سيد الرُّسلِ كلما رُمْتُ مَدحاً .. لك أرجو بِهِ صلاح معادي
وتأهَّبْتُ للدُّنُوِّ إليـــــهِ .. بقوافٍ ما مِلن عن إنجادي
صفَّدَتني[1] يَدَا قُصُورِيَ عنهُ .. فأنا عنهُ منهُما في صِفَادِ
ليسَ في حلبة الثناء على مجـــ .. ـدك أهلاً للجري مثلُ جيادِي
وكفاني بالعجزِ عُذراً مُبيناً .. وعليه يوم اللقاء اعتمادي
فاعفُ واصفح فأنت للعفوِ والصَّـ .. ـفحِ لمثلي في النَّاس خيرُ جوادِ
هذه ليلةُ الولادِ وفيها .. لك يشدُو بمدحِهِ كلُّ شادِي
ولعجزي عنهُ جعلتُ إلى الصَمـ .. ـتِ برغمي بين الشّداةِ استنادي
أنا ما زلت من هُمومِيَ أسري .. تحتَ ليلٍ يربدُّ كلَّ اربدادِ[2]
ورَضِيُّ القريضِ للشاعرِ المهمـ .. ـومِ ما كان قطّ ذا إسعادِ[3]
فإذا ما أذنتَ لي بالتَّشكّي .. من همومٍ عليَّ ذات احتشادِ
فشكاتي إليك من كلِّ مغوٍ .. ومضلٍّ باغي المقالةِ عادي
قد أضلوا باسمِ الديانةِ ممن .. جهلوا كلَّ رائحٍ أو غادِي
كمْ أماتوا لكي يعيشوا نفوساً .. لم تزل بعدُ حيَّةَ الأجسادِ
فادعُ يا خيرَ منقذينا عليهم .. بزوال يعُمُّهُـــــم ونفــــادِ
ما لجرحِ العروبةِ اليوم - إلاَّ .. أن يزُولوا عن وجهِها - من ضمادِ
لم يكن قومُك الكرام على جهلٍ .. مُبير[4] لولاهُمُ في تمادِي
أوهُموهم بأنَّ ورد حياضِ العـ .. ـلم بسلٌ[5] ديناً على كل صادِي

---

(1) صفَّدتني: أوثقتني وقيدتني. والصفاد ما يوثق به ويقيد.
(2) يربدّ: يغبر ويسود.
(3) الإسعاد: الاعانة والمساعدة.
(4) مُبير: مهلك.
(5) بسلٌ: تقال بمعنى الحرام، وتقال بمعنى الحلال. وهنا يراد بها معنى الحرام.

فغدا القوم منهم في اقتراب ∴ ومن العلم كلِّهِ في ابتعادِ
وإذا العلمُ لم يشع بين قومٍ ∴ شاعَ فيهم هلاكُهُم باطِّرَادِ
كلّما قامَ مخلِصٌ ينصح النّـــــ ∴ ـــاس ويهديهم سبيل الرشاد
متوخ نشر العلُومِ وإطـــــلاعِ ∴ شُموسِ العلومِ فينا الهوادي
كاشفٌ عن فوائد العلم مُبدٍ ∴ كلَّ ما الجهلُ مُعقبٌ من فسادِ
طالبٌ أن يُحارب الجهلُ بالعلـ ∴ ـم مُجِدٌّ في نُصحِهِ ذو اجتهادِ
كفَّرَتهُ عمائِمٌ قرَّبَ الجهـ ∴ ـلُ إليها منَّا بعيدَ المُرادِ
فهي تخشى إذا استنرنا عُقُولاً ∴ فوتَ خَافي أغراضِهَا والبادِي
تتقِي أن يُحررَ العلمُ من ألقـ ∴ ـوا إليها لجهلم بالقيادِ
وانقياد السواد منَّـا إليهــ ∴ ـنَّ لعمري من مُهلكاتِ السَّوادِ
وقد انقاد جاهلاً فاجر يا دمعـ ∴ ـي عليه حُزناً وذب يا فُؤَادِي
فرَّقتنا تلكَ العمائم حتى ∴ أيأستنا من الفـــــةِ واتحادِ
وإذا عزَّ[1] الاتحادُ بني العُـ ∴ ـرببِ عدَتهُم عنِ الحياةِ العوادِي
أصبح اليوم حامِلوها علينا ∴ للزمان العادي من الأجنادِ
قسمونا باسم الديانة أقســاماً ∴ ليحظوا بالعسجدِ[2] المستفادِ
ثمَّ قالوا كذلك الدينُ والدِّيـ ∴ ـنُ بوادٍ والكلُّ منهم بوادي
أبليلِ التفرُّقِ الدينُ يبغِي ∴ من ذويهِ دوامَ مُردِي الرُّقَادِ
لا لعمري بل الديانةُ تقضي ∴ باجتماع الأحزابِ والأفرادِ
ما أتى الدَّينُ نقمةً وهلاكاً ∴ بل حياةً ورحمةً للعبادِ
أحياةُ الأقوامِ ما استثمروهُ ∴ من بذورِ اجتماعهم والوداد
أم ترون الحياة فيما جنوهُ ∴ من مجاني شتاتهم والتعادي
أيُّ شعبٍ إذا تنافر لم يشــ ∴ ـك انتقاص الحياةِ بعدَ ازديادِ
فإلى الوحدةِ الحميدةِ عُقبَى ∴ نادِ يا مُصلِحَ العُروبةِ نادِ
فهي بعد الإلهِ خيرُ كفيلٍ ∴ ببلوغ المُنى وخيرُ عتادِ[3]

---

(1) عزّ: غلب وقهر، ويريد هنا أنه جافاهم. عدتهم: صرفتهم.
(2) العسجدِ: الذهب.
(3) العتاد: العدَّة.

هل رأيتم لأمةٍ في المعالي .:. قبل جمعِ القلوبِ وريَ زنادِ[1]
نحن أبناء يعرب لو عقلنا .:. إخوةٌ في الرجوع للميلاد
والمعدِّيُّ يعرُبيٌّ على حالي .:. رخاءٍ من دهرنا واشتداد
وعلى الإخوةِ الكرامِ التصافي .:. لا التنافي كسائر الأضدادِ
فعلام افتراقنا وإلى ما .:. نحن نشقى منهُ بكل نآدٍ[2]
جاءنا الدين جامعاً لا مُشتِّتا .:. فاجمعونا فالجمع أصلُ السدادِ
وانقدوا كلَّ قائلٍ بافتراقٍ .:. تعلموا زيفهُ لدى الانتقادِ
فهو إمَّا يُعكِّرُ الماء حتَّى .:. يتسنَّى لهُ طريقُ اصطيادِ
أو غبيٌّ والكلُّ من ذا وهذا .:. لبس إلاّ إلى المهالكِ حادِ
فانصحوهُم فإن أنابـــوا وإلاّ .:. فتوقَّوا أخطارَهُم بالجهـــادِ
جردوا كلَّ مِقولٍ ويـــراعٍ .:. لستُ أدعو إلى الرِّقاقِ الحِـدَادِ[3]
وأبينوا للنشء ما هم عليــهِ .:. من ضلالٍ وحطَةٍ وعِنَـــادِ
فعلى كلِّ ذي حِجى وبيـــان .:. تبعاتُ الحيـــاةِ في الأولاد
وبقاءُ المضللينَ شقـــاءٌ .:. لِبَنينا، وبعدُ في الأحفـــاد
ولكلٍّ مِنَّا ومنهم ولا شـــكَّ .:. جزاءُ الإلهِ بالمرصـــادِ
فهو عدلٌ وعدلُهُ لا يُســـاوي .:. بين أهلِ الإغواءِ والإرشـــادِ
إنما كانت العمائمُ عُنـــوَان .:. المعالي والمجدِ في الأجـــدادِ
يوم كانوا مُلوكَ هذِي البَرَايَـــا .:. في دمشقٍ وبعدُ في بغـــدادِ
وبلادٍ زَهَتْ بصقرِ قريـــشٍ[4] .:. يوم تحليقهِ بتلك البـــلادِ
فثنتها غُواتنا اليوم لا عاشـــوا .:. فخاخاً لصيدِ طيرِ الأيـــادِي[5]
نافسوا كلَّ أيِّمٍ ويتيـــمٍ .:. وكسير الرجلين والأعضـــادِ
في سُؤَالِ الزكاةِ والرفدِ[6] مـــن .:. كلِّ مُزكٍّ وكلِّ ذي إرفـــادِ

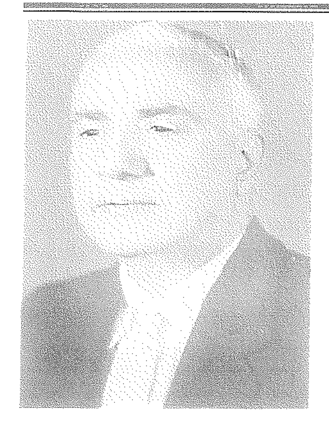
---

(1) وري الزند وارياً: اتقد.
(2) النآدي: الداهية.
(3) الرِّقَاقِ الحِدَادِ: يريد بها السيوف.
(4) صقرِ قريشٍ: هو عبدالرحمن الداخل، مؤسس الدولة الأموية بالأندلس.
(5) طيرِ الأيادِي: يكنى به عن النقود.
(6) الرفدِ: العطاء. والإرفاد: الإعطاء.

أقوياءٌ على التكسُّبِ لو شـاءوا ... لكانوا كسائر الأمجـادِ
ومن العارِ والأثامِ على مـن ... لم يُغِثهُ الزمان باستعـدادِ
أن تراه كغيره من ذوي العـ ... ـاهات في مدهِ يدَ استمـدادِ
لا تلوموا على العمائم من صال ... بجندٍ من القوافي الشـدادِ
رفعوها على الرؤوسِ لِكَيْـمَا ... يضعونا بعد الربا في وهـادِ
فبأيدي العِدا لكلِّ غِـراسٍ ... من عُلانا كانوا أداة حصـاد
نحن لولا شرورهم ما غدونـا ... لسيوفِ العِدا من الأغمـادِ
كلما صالت الأعادي عليـنا ... مهدوا بالشقاق طرقَ الأعـادي
ما وجدنا وقد بحثنا طويـلاً ... غيرهم للبلاء من قُـوَّادِ
افتقدنا مجدَ الجدود فأنبانـا ... فصيحاً لسانُ كل افتقـادِ
أن ركن المجدِ الذي شيـدوهُ ... هدمتهُ عمائمُ الأوغـادِ
وعجيبٌ أن نُحسِنَ الظنَّ حتى ... نتظنَّاهُـم من الزهـادِ
ادَّعَوْا أنهم لتثبيت ديـنِ الله ... فينا كانوا من الأطـوادِ(1)
فهل الدِّينُ ردُّ كلِّ جميـعٍ(2) ... من بني قومنا إلى آحـادِ
مثل ما يشتهي العدوُّ إذا مـا ... شاء وضعَ الأغلالِ في الأجيـادِ
وهل الدين بذرُ كلِّ شقـاق ... مُثمِرِ البغضِ مُعقِبِ الأحقـادِ
أم تراهم من ادِّعائهمُ الخلّـ ... ـاب جرُّوا ضوافيَ الأبـرادِ(3)
ليذرُّوا في عين كـلِّ غبـيٍّ ... وبليدٍ منَّا أضـرَّ رمـادِ
إن آيَ التنزيلِ لو قـرؤوها ... أملي الوعدِ خائفي الإيعـادِ
لغدوا بيننا وبين التنـافي ... والتجافي سدًّا من الأسـدادِ
وأعادوا ذوي الشماتة بالعـربِ ... جميعاً وهم من الحسَّـادِ
ربِّ فالطف بنا وأيقِظ ذويـنا ... من منامِ عليهم ذي امتـدادِ

***

(1) الأطوادِ: جمع طود، وهو الجبل العظيم.
(2) جميع: مجتمع.
(3) نوب ضافٍ: سابغ طويل. والضوافي: السوابغ. والأبراد: جمع برد وهو نوع من الكساء.



الفصل السادس

الشاعر / محمود شوقي الأيوبي

(1320 - 1385 هـ / 1901 - 1966م)

• ترجمته:

ولد في الكويت من والد عراقي الأصل نزح إلى الكويت وأقام بها، وسافر وهو ما زال يافعاً إلى البصرة، وأقام عند خاله هناك، ثم انتقل إلى بغداد ودخل دار المعلمين فمكث سنتين، عين بعدها مدرساً في قرية أبو الخصيب لمدة عام واحد، ووقعت له حادثة، فاستغلها بعض الحاقدين عليه فهجر العراق إلى سورية ولبنان وفلسطين ومصر ومنها إلى إيران مشياً على الأقدام، ثم رجع إلى العراق فالكويت عام 1920م، واشتغل بالتدريس في المدرسة المباركية والأحمدية، ثم عاد إلى العراق مرة أخرى، وعمل جندياً في بغداد في قسم الخيالة في عهد الملك فيصل الأول، وبعد أن أضناه التعب عاد إلى الكويت ليدرس في المدرسة المباركية مرة ثانية.

ولقد كان شاعرنا مولعاً بالأسفار محباً للإطلاع على احوال البلاد العربية والإسلامية، فقرر السفر إلى الحج وهناك التقى بعبدالعزيز آل سعود فرأى من طموحه وحبه للأسفار ما شجعه إلى أن يرسله على نفقته إلى اندونيسيا لأغراض سياسية، منها اقناع الناس بفوائد الحج والإشادة بابن السعود ومآثره، فوجد في إندونيسيا أمنيته فاستقر بها وامتهن تدريس اللغة العربية وتاريخ الإسلام، وتزوج وأنجب ثم آذن الله له بالفرج فعاد إلى وطنه عام 1951م فاشتغل مدرساً في المعهد الديني، ثم نقل إلى مدرسة الشعبية وبعدها أحيل على التقاعد.

ولقد أصيب أخيراً بمرض عضال أفقده الذاكرة وربط لسانه، فأرسل على نفقة الحكومة الكويتية إلى بيروت ثم إلى لندن للعلاج،

فاستفاد شيئاً قليلاً ثم لازم بيته إلى أن توفاه الله في 2 ذي الحجة 1385هـ الموافق 23 مارس 1966م. [1]

- **آثاره:**

للشاعر عدة دواوين شعرية طبع منها:

1) الموازين.
2) رحيق الأرواح.
3) الأشواق.
4) هاتف من الصحراء.
5) ديوان الملاحم العربية.

- **الحياة الروحية عند الأيوبي في شعره:**

أما الشاعر محمود شوقي الأيوبي، فقد انتقل بالشعر الديني إلى مقام الإبداع وسدَّة الشاعرية، فدواوينه تلهج تسبيحاً ومناجاة أملتها عليه معاناة الغربة والشوق للوطن وجهاد الحياة، وهي التي أفضت به إلى حياة روحية إيمانية لا تضاهيها حياة، فعيشه مع القرآن الكريم هو الذي جعله يصل إلى هذه القناعة:

قد رأيت اللهو في الدنيا سراب ∴ خادعا إيناسه خاوي الوطاب
فسواء كان في الكوخ الحقير ∴ أو فناء القصر ما بين الستور
غير أنس فيه معسول الأماني ∴ مشرقات في سورة الرحمن
إذ جزاء الخير بالخير الجزيل

بل إن تجربته الايمانية تفضي به إلى أعمق من هذا، إلى عيش نادر ووعي شعوري ملفت مع أسماء الله الحُسنى وصفاته العُلى من خلال قصيدته الرائعة (بلبل الفردوس)، فهو يعرض حالهُ في إنسانيته

(1) أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، (ج 1 / ص 207).

المكبلة بضعفه وتقصيره على أسماء الله الحُسنى في جلالها وعلائها، لتنطلق روحه في هذا الأفق السامي، حتى يأتي على كل أسمائه الحُسنى فيقف مع كل اسم بخصوصيته اللغوية وحقيقته الشرعية وفيضه الايماني في قالب المناجاة ولجلال هذا المقام قدم له بقوله:

«خلقتني يا رب، وهديتني سبيل الحق والرشاد، ووهبتني العقل، وأريتني درب السداد، سبحانك اللهم جلت عظمتك، وتقدست صفاتك وأسماؤك، وتنزهت ذاتك عن لغو العقل، تعاليت يا رب فما أرحمك، لقد عصيتك يا رب، وأنا المشفق المقر المعترف بذنبي، وأنت يا رب البر الرحيم الودود بك استغيث، فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين،

بأسمائك الحسنى استفت فارحمني .:. بعفوك والغفران واللطف والرشد

يقول في مطلعها:

على غصن دوح اللطف في روضة الحسنى .:. فنى وتلاشى كالبخار وقد أنـــا

فنى في جمال الحق في جنة المعنى .:. وجرد عن إلهامه الذل والوهنـــا

وأسكره كأس الهوى المشرق الصافي

تظهر في هذه القصيدة أنفاس صوفية صافية وروح سارية في أوصال القصيدة يعبر فيها عن تجربة نفسية إيمانية فريدة، فهو يعرض حاله على أسماء الله تعالى ويتوافق مع النداء الإلهي: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف - 180):

دعوتك يا رباه والكرب حطـــما .:. على رأس روحي فأسه وتجهـــما

أغثني فقد جرعت سما وعلقـــما .:. أغثني يا الله أدرك مهشـــما

بأسمائك الحسنى تشعشع إلهامي

سألتك يا (رحمن) رحمتك التـــي .:. بها تكشف البلوى لدي عظم كربتـي

فأنت (الرحيم) اكشف إلهي مصيبتـي .:. أيا (ملك) السبع الشداد وشدتـــي

تقدست يا (قدوس) ياركن آمالي[1]

وتكاد يكون التوجه الديني عند الأيوبي هو أبرز التوجهات لديه فهو في ديوانه (الموازين) قد استعرض الجمال في كثير من مظاهر الحياة وأنشطتها، وكان أول منازل الجمال التي تحدث عنها في ديوانه هو الدين في قصيدته جمال الدين مستجلياً فيها الفلسفة الجمالية في الدين:

أرني جمال الدين أين مقره ... ألدى الصوامع أم بركن المعبد

أم حول أرباض القبور معفرا ... خديك فوق ضريح ميت ملحد

إلى أن يقول:

ما الدين إلاّ السعي في طلب العلا ... مقرونة بالله دون تـــردد[2]

وقصيدته في نظم الاسماء الحسنى والتي بدا فيها حسه الايماني متوهجاً، يتجه فيما يرى الناقد سليمان الشطي إلى ملامسة الحس الديني المباشر، حيث ينظم الاسماء الحسنى في قصيدته الطويلة (بلبل الفردوس) التي يقترب فيها من الابتهالات الدينية التي يقدم فيها دعاء مباشراً يتوسل بالشكل الروحي.

ويرى أن تجربة الأيوبي تحددت ملامحها مبكراً، وظلت محافظة على سماتها الأولى من ناحية الشكل الفني وطريقة التعبير والقاموس اللغوي الذي يميل إلى البساطة والوضوح، أما صوره المستخدمة فهي مألوفة تعتمد على التشبيهات القريبة التي لا تتعمد الإغراب أو الابتعاد عن التعبير عن الفكرة مباشرةً بما هو معهود، من مثل ما في نماذجه من روح ترفرف كالنحل أو صورة كجمر في القلب. [3]

---

(1) رحيق الأرواح، محمود شوقي الأيوبي، ص 195.
(2) الموازين، محمود شوقي الأيوبي، ص 26.
(3) الشعر في الكويت، سليمان الشطي، ص 44.

- **قصيدته الأولى:**

ينبوع الرحمة

في ذكرى المولد النبوي الكريم

عرش الهداية في السماء مشعشع :. وعليه من حلل النبوة برقع
الله قدر والملائكة خُشعُ :. والملك والملكوت فيه تجمَّعوا
جنباته أبداً تسح وتنبعُ :. عطراً يثج معينه المتدفع
والنور منه على الورى يتنزل

بحبوحة الأرواح من أبهائه :. تزهي وتشرق من بديع سنائه
خشع الوقار لمجده وصفائه :. وسرى إليه الفكر طوع ندائه
متقلباً في لجه وضيائه :. والحور تلهمه جميل غنائه
والروح يشدو للهوى ويهلل

المجد قبل ساحه وتضرعا :. والروح حوَّم حوله وتشعشا
والعلم من ينبوعه فيض سعى :. نحو العقول وللضلالة مزَّعا
وجبين هذى الأرض فيه ترفعا :. متلألئا وفؤادها وضع الدعا
رمزاً من التوحيد لا يتبدل

يا للرعاة الشوس جاء إمامُهم :. روحاً من الغيب السعيد وهامُهم
متنكس وتزعزعت أصنامهم :. خوف الدمار ونكست أعلامهم
وتقصفت جاماتهم وخيامهم :. سقط الصليب مكسرا وضرامهم
وأراع كسرى خطبه المستفحل

ألقبة الزرقاء في سبحاتها :. زخرت دراريها على جنباتها
ثارت أشعتها وثار بذاتها :. روح الحياة مجنحاً لنجاتها
من فيح أنفاس إلى شهواتها :. نزعت تميد الأرض تحت بغاتها

وأبو قبيس بدا يبش ويُقبل

القُبلة الفيحاء في عرفاتها ∴ الرحمة الكبرى على صخراتها
نزلت بكوثرها على جنباتها ∴ وتفجر الينبوع من ربواتها
يجري بماء الورد في ساحاتها ∴ مترنما شداء في حصواتها
نشوى وأجنحة السماء تظلل

حلم الشباب العبقري تحققا ∴ والمجد شعشع في الكهول ومزقا
سكر الهوى المجنون ثم ترفقا ∴ بحجا الشيوخ الخاشعين وأشرقا
بالحكمة العذراء والروح استقى ∴ منها الرحيق الكوثري وروقا
كأساً تضوَّع عطرها المتغلغل

طافت بآمنة الزكية في الدجا ∴ من جنة الفردوس أطياف الرجا
وشذى الفضائل في الوجود تأرجا ∴ من عطرها القدسي ثم تثجحا
عذب النشيد من الثغور وهُيجا ∴ قلب الحياة وثغرها يهوي النجا
بالقبلة النشوى التي تتغزل

الطفل أشرق في الوجود وشعشا ∴ والوجد شمر للرحيل وودعا
ونماذج الملون فيه وأبدعا ∴ ومؤذن الدنيا شدا وتضرعا
بالمؤمنين إلى العزيز وروعا ∴ حزب الشذوذ عن الحقائق مذ دعا
للحق روح مشرق متجول

يا للحقائق أين من طلابها ∴ عزم يهلل في مروج رحابها
ويغيث فيها الواقفين ببابها ∴ متأهبين إلى الوغى وضرابها
متطلعين إلى جمال شبابها ∴ متحمسين على شفا أعتابها
متوثبين وكلهم متجمل

يا للكرامة أين من نساكها ∴ طهر يقطع في حبال شراكها
غدت الدنا تمشي إلى أفاكها ∴ بمواكب رقصت على أحناكها
تلك الأنوف تطل من أحلاكها ∴ في ظلمة تجري لكهف هلاكها

وثنية منها المصائب تهطل

المجد مجدك يا محمد والعلا :. ميمونة تهمى على رغم الملا
من دينك السمح الشهي إذا تلا :. قلب كتابك يا امين ورتلا
إقرأ يرن الكون فيك مهللا :. والحق والإيمان فيك تمثلا
مثل الحقيقة أيها المتبتل

فلقد عرفت الله طفلاً يافعاً :. وسعيت للحق العظيم بمن سعى
الرسل طافوا في جنابك أجمعا :. وملائك الرحمن ثاروا خُشَّعَا
والملك والملكوت منك تجرعا :. كأس الصفاء وكبَّرا وتسرعا
يُسقَونَ حكمتك التي تتسلسل

الفكرة الزهراء فيك توردت :. والعفة المخفار فيك تمجدت
والعدل منك على البسيطة رفرفت :. أعلامه بين الفجاج وجُرِّدت
لجماله عُضُبُ السلام وأشرعت :. للحق والحب العظيم وأسرجت
للمجد والشرف الرفيع الصُّهَّل

تمشي المواكب للمواكب تنضوي :. بظلال دينك يا حبيب وترتوي
شهد العلا بعد الضلال الفوضوي :. وتخيف رعباً كل جبار غَوِي
بجمالها، لا بالحسام الكسروي :. جذبت إليها كل قلب معنوي
يهفو، ويهفو للعلا ويحمدل

الجاهلية نُكِّست أوثانُها :. والزردشية أخمدت نيرانُها
والصهيونية جُرعت أجنانُها :. كأسَ الردى وتطوحت أغصانُها
وعروس بوذا والإباحةُ حانُها :. متدهور متجهم ودنانها
أبداً على طول المدى تتزلزل

صلبان روما والديور حماتُها :. تهذي الشكوك بهاذُجاً وأساتها
جرحى!. تلوك نواتَها، وسباتُها :. يَقِظٌ، وأعينُها نُرى غفلاتها
مخمورةٌ، تشدو بها شهواتها :. والكاهن العربيد جن وذاتها
سكري تطوف بها الرؤى وتطبل

قلبوا جفان الحق وهي بأحمد ⁖ ملأى حياةً، ويل غِرٍّ معتدي
راء الجمال العبقري وما هُدِي ⁖ إلاّ بحقد جائر متمرد
حرب الصليب تفور فوق الأكبد ⁖ أحقادها في كل قلب مفسد
في كل عصر للغواية تحبل

الحب دين المصطفى وأريجه ⁖ فواح في لجج السلام وسرجُهُ
وضاءة وبه يسير حجيجه ⁖ أبداً على كر العصور وفجه
متماوج بالنور رقرق موجُه ⁖ يسمو به عمر الحياة وفوجه
آناً يثور وتارة يتململ

إكسيرك الشافي لأدواء الأمم ⁖ من رحمة الوهاب فياح شبم
دين له قرآنُه حلو النغم ⁖ يسري بأرواح الكرامة والشمم
العقل عانقه على أوج الهمم ⁖ والفكر ساجله النشيد المنتظم
والقلب فيه مغرد متوكل

من نبعك الدنيا تُعَبُّ كؤوسها ⁖ نشوى تجيش قلوبها ونفوسها
شوقاً، وتسمو للسمو رؤوسُها ⁖ من حولها نور الرجاء يجوسُها
متدفق أبداً تعج شموسها ⁖ بالعلم، والخلق الرفيع رئيسها
والطهر في محرابها يتنفل

يا مولد الشرف الرفيع أمانةً ⁖ رمّت على أعناقنا، وكرامةً
لك يا هدى الدنيا الدؤوب ومنة ⁖ الفضل منك غراسه ميمونة
أشذاؤه بنفوسنا قدسية ⁖ وبخوره المسكي فيه حرارة
لقلوبنا، ولك الجمال الأول

طوبى لقلب ذاقه وأذاقه ⁖ نعمى لعقل راقه، وأراقه
حسنى لروح ينتقي أشواقه ⁖ فيغوص فيه ويلتقي اعماقه
في لذة كبرى تضم رواقه ⁖ في الرحمة العظمى تحرك ساقه
فغدا يصعد في الكمال وينهل

سُجَّى غيوث المجد لا تترفعي ⁖ عنا، ويا رحمات لا تتمنعي
جرنا ـ وعفوك يا مزجي الأدمع ⁖ طامٍ، بغفران الرحيم المبدع

أنشئ بنا يا رب نورك واسمع .:. دعواتنا إنا بهذي الأربع
صرعى الحطام وعزنا متطفل

إفتح لنا يا رب باب الملتقى .:. لجمال آيك في فراديس البقا
كيما نرى النور البهي المنتقى .:. لقلوبنا متشعشعاً متألقا
من غير تهويل ولا عقد الرقى .:. أرنا الجمال المحض يوم الملتقى
بمحمد في دينه يتهلل

يا منبع الصلوات ثر وسلم .:. من كل روح للكرامة ينتمي
لمحمد كنز الوجود الأفخم .:. متضوعاً في كل بيت مسلم
واسكب على الآل - الرحيقَ - الهُيَّمِ .:. بجلال قدسك في الفناء الأعظم
وعلى الصحابة ما استغاث محوقل

***

• قصيدته الثانية:

لحن الخلود

في ذكرى مولد سيد الوجود ﷺ

غنيَّ الغطارفة الأمجادَ حاديـــــنا	⁘	لحنَ الخلود ـ رخيما ـ في مغانيـــنا
وسار بالركب في بهو السماء على	⁘	خيل من النور يتلو الشعر تلحيـنا
تفتحت قبة الأسرار عن خبـــر	⁘	مشى بدنيا الورى حلواً يؤاتيـــنا
واستبشر الروح في فردوسه طرباً	⁘	لمولد الحق في ميلاد هاديـــنا
محمدٍ من أضاء الله أفئدة الآنـ	⁘	ـام فيه سمما خُلقاً وتكويـــنا
عرائس المجد نشوى يوم مولده	⁘	والأرض لألاؤها بالأنس باريـــنا

***

ذكرى تغرد بالأرواح في الملأ الأعـ	⁘	ـلى، وتبعث في الدنيا أغانيـــنا
تبسم القدر الجبار يوم ســـرى	⁘	في شوطه الحقُّ يسرى في معانيـنا
مشى محمد بالركب السعيد ضُحى	⁘	يغزو القلوب ـ مبينا ـ والميادينا
طوى البسيطة يهدي العالمين إلـــى	⁘	الإيمان ينصب للعدل الموازيـــنا
ثل العروش ليبنى العز مرتفـــعاً	⁘	محرراً من هوى الذل الملاييـــنا

***

يا أمة الله يا أم الشعـــوب ألا	⁘	بعث يثور بنا صبحاً ويحييـــنا
قد كان آباؤنا الأبرار في مـــلإٍ	⁘	الحياة بالمُثل القعساء جاريـــنا
فلنبذل الجهد مقروناً بتضحـــية	⁘	ولتأت عن سبل السمحا مساعينا
ولنحكم الحب فيما بيننا أبـــداً	⁘	حلواً يصبحنا، عذباً يمسيـــنا

***

يا قوم ما هذه الأوضاع مجرمة	⁘	تجرنا للردى جراً وتطويـــنا
ما هذه الشهوات الحمر يوقدها	⁘	إبليس ناراً بهذا العصر تشويـنا
أنى مشيت تجد في الناس كارثةً	⁘	من الرذائل تشقيهم وتُشقيـــنا

هذي الطواغيت فوق الأرض رافعةً ∴ أنوفها في عنان الجو تغريـــنا
والناس من حولها سكرى يحفزها ∴ نحو السجود لها فينا تعاميـــنا
مادية ذهبت بالنور عاربـــــةً ∴ رقاصة من حمى الشيطان تأتيـــنا
بحكم الأصفر الرنان حيث غـــدا ∴ بحبه الناس عشاقاً مجانيـــنا
دانوا له وأذلوا الروح يرهقها ∴ في مأزق الكبت تسفيها وتهويـــنا

***

نقيم ذكرى رسول العالمين وفي ∴ بعض المخابئِ ما يبكي ويبكينا
كم في الحمى من عناريف صنيعهم ∴ يرمون في حمأة الخزي القرابينا
نعيش بالذكريات الخضر في حلم ∴ عن واقع الأمر في أحلام ماضينا
كأننا حين نرقى هابطون إلى ∴ جب من الظلم السفلي بوادينا
ولا نرى غير تاريخ يضيءُ لنا ∴ نشدو به ونواري من مآسيـــنا
ماذا تفيد الدعاوي وهي فارغة ∴ من الفعال التي تأتي فتشفينا؟
يا من لنصرة اخلاق ممزعة ∴ حيث الرذائل تمشي بين أيدينا
ما هذه الحيرة العمياء تلمسها ∴ فينا ونمشي عن الفرقان ساهينا؟

***

مروا بني أمِّ بالمعروف واعتصموا ∴ بالله في حلك الأرزاء ساريـــنا
وانهوا عن النكر مهما طال منزله ∴ واستلهموا الرشد بالقرآن ما شينا
هاتوا لنا المثل العليا نسير على ∴ منهاجها ولنكن للعز بانيـــنا

***

ألا أجيبوا بني قومي الهداة ولا ∴ تقاعسوا وابعثوا فينا أمانينا
ضموا يتامى الحمى واستخلصوا لهم ∴ عطفاً وآتوا من الخير المساكينا
وأوصدوا في طريق الناشئين بنا ∴ باب الرذائل واستصفوا لهم دينا
ديناً ينير قلوباً بعد غفلتـــها ∴ ديناً يُمَكِّنُ في الأرواح تمكينا
ديناً يحرر أفكاراً مكبلـــة ∴ ويمنع الجهل عنا والشياطيـــنا
ومحصوا من حماة العلم أفضلهم ∴ دينا وخلقاً وإخلاصاً ميامينـا
يمشون بالعلم نحو العز يسعفهم ∴ رب الهداية من يجزي المربيـــنا
إني أرى جيش علم لا نظير له ∴ لو أجمع الأمر لاستهدى الورى فينا
لو أجمع الأمر لاندكت بأربعنا ∴ هذي الرذائل دك الموت يرضينا

لو أجمع الأمر لانحلت مشاكلنا ∴ وطاب للعلم والعليا تساقينا

***

إلى الهداة أزف القول مرتجلاً ∴ هيا نشيِّد في المغنى معاليـــــنا
هيا نخط طريق المجد يرشدنا الـ ∴ ـقرآن في ضوئه هيًّا ملبِّيــــــنا
ولنجعل الشرعة السمحا لنهضتنا ∴ أسأً وبالخلق فلنحكم مباديــــنا

***

نريد ديناً له الدنيا مهلـــــلة ∴ نريد علماً ينير الروح يغنيـــــنا
نريد خلقاً متيناً دون منعـــته ∴ ترتد خاسئة حيرى أعاديـــــنا
تريد للنشء إيماناً يزيد علـــى ∴ وفر المعارف تهذيبا وتحسيـــنا
نريد حرية في العلم واســـعة ∴ نريد حرية في الرأي تصبيـــنا
نريد للوطن المحبوب نهضته الكـــ ∴ ـبرى تشمر بالأرواح تهديـــنا
لا فرق بين مساكين الربوع ولا ∴ بين السراة كراماً في تصافيـــنا

***

يا حادي الركب في ميلاد مرشدنا ∴ كبر، فقد أفعم الفألُ الأساطيــنا
فألٌ من الخير معطارُ الأريجِ بـــه ∴ الأرواح نشوى تغنينا فتشجيـــنا

***

قد أقبل النور ميمون الجمال وقد ∴ غنَّى الغطارفةُ الأمجاد شاديـــنا

***

قصيدته الثالثة:

شعلة الخلود

هبَّت على الأرض في ميلادك المننُ .:. وسجل المجدَ في أرجائها الزمنُ
واهتزت التربة الجدباء ثم ربت .:. وأشرقت بجمال المصطفى الدِمَنُ
سِرٌّ تمخض في الأصلاب منحدراً .:. من منبع النور تهفو نحوه الفِطَنُ
تجسد الوقت ميموناً فكان له .:. دقيقة فجْرُها الأمجاد والسنن
في لحظة دارت الأجيال دورتها .:. فيها وأدبر بعد اليقظة الوسن
وسبح الملأ الأعلى بقبته .:. ربًّا تقدس حسنا صنعُهُ الحسن

***

تحرك الركبُ في الدنيا لغايتـــه .:. وأهبت للسرى الأجمال والسفـــنُ
البحر يزخر بالقرصان منتظـــراً .:. عهداً تزول به الويلات والفتـــن
وفي المخارم آمالٌ محجبـــــة .:. تهتز عن فكرة يهوى بها الوثن
وفي المعابد للكهان عربــــــدة .:. دوَّت على صوتها الآكام والقنن
في مشرق الأرض أوهام ومغربها .:. والأرض للجور والإلحاد تحتضن
تموج كل رقاع الأرض نائحة .:. يسوطها بسياط النقمة الضغِن

***

أفي معاقل «كسرى» يا ترى نبأ .:. حيث المعارف والأمجاد تُختزنُ
أم من حمى «قيصر» تأتي المحجة أم .:. في «الهند» و«الصين» حيث العلم والمهن؟

يا ساري الليل والأرزاء ضاربة .:. فوق الكبود تأمل يأتِك العلنُ
سر الحياة إله الكون أظهره .:. والسر تحت ظلال «البيت» مرتهنُ
هي الحقيقة وجه النور ناطقـــة .:. بين الأخاشب جاءت، زفها الزمـــنُ
جاءت وقد وُلد الهادي مشعشعـــة .:. بأرض «مكة» إذ ولّى بها الحـــزنُ

***

لعمرك اليوم إن الناس في عمـــه .:. يشجيهم في سحيق الغفلة الدرن
يبغون من عُقَد الأفكار هاديـــةً .:. تهديهم الحق كيما يُكبت الشجن
وأي درب إذا لم تهدهم ذِكـــرٌ .:. للحق والنور فيها الدار والسـكنُ؟
هذا السمو وهذا المجد يعرفـــه .:. الحكيم والعالم النحرير واللّسنُ
خذوا بأيديكم القرآن واغترفـوا .:. منه الحياة التي لم يعرها الوَهَنُ
وأمعنوا في ركاب الضاربين إلـــى .:. أوج النبي الذي ولت به المحـن
توغل الشر والأدواء ضاريـــة .:. تئن من كربها الأمصار والمـدن
خمائل الخلق الميمون ذابلـــة .:. وحولها الجهل يغلي بينه النتن
فسق، وخمر، وإلحادٌ، وزندقـــة .:. تدور فيها حمير العهر والأتـنُ
وميسر شيدت أبراجه وغـــدا .:. للانتحار ملاذاً للأولى فُتِنـوا
خزي يهيج وعورات تكشَّفُ في .:. عصر غدا ربَّه «الدولار والشلن»

***

أيقظة يا عباد الله تنعشـــنا .:. يجري على الروح منها الشهد واللبن
أرجعة لكتاب الله نسلمـــها .:. أرواحنا فيؤاتي ينعه الغصُـنُ
دعوا الأساطير يا قومي لسفسطة العـ .:. ـــور يقضمها من فكره زَمِـنُ
إلى القديم الذي لم تُبْلَ جِدَّتُهُ .:. مدى الدهور ولم تعبث به الإحـن
إليكم الذكر في الذكرى تهلل في .:. سـطوره الحكم العذراء والمنـن
قفا حنانيك دون الحق مرتجلا .:. لحناً يعيه الحجا، والروح، والذهِنُ
لحنا يفجر ينبوع الحياة علـــى .:. القلوب، تصفو به الأرواح والسحن
يا من لنصرة خلق رضٍّ أضلعـــه .:. معاول الشهوات الحمر والحَـزَنُ؟
يا من لنصرة دين ديس معطســـه .:. بمنسم وربيب الدين ممتهـنُ؟
يا من لنصرة أوطان ممزعـــة .:. فيها لشتى طواغيت الورى وكنُ؟
ذوى الحياء بقوم للخنى وثبـــوا .:. ولفه من شماطيط الردى كفـن
أين الأولى شيدوا للمجد قبتـــه .:. بين الكواكب ماذلوا وما وهنـوا
أضرى بهم هادم اللذات مخلبـــه .:. وعاث من بعدهم في المربع الهُجُنُ
لم يفهموا من تراث الخالدين سوى .:. فخر تنفخ فيه الكِبرُ والسِمَـنُ
للصرخة الحرة الظمأى بأربعـــنا .:. كبت بغيض وقلب الحر ممتحن

***

أبا المطهرة الزهراء إنَّ بنـــا .:. سخائما في مداها أفلِتَ الرسن
فداك روحي رسول الله هل نبـــأ .:. من عالم الغيب يأتي بعده السكنُ
ذكراك يا قائد الأبرار مشرقة .:. في الروح لكن طغى في حيِّنا العَفَنُ
زخارف في ظلام النفس صورهـــا .:. إبليس والنفس والإنسان والبدن
ما هذه الذكريات الخضر ننشرها .:. في كل يوم ويبكي بعدها الوطن
يا قوم هيت لكم قول بلا عمـــل .:. نشارة مالها عند العلا ثمـــن
ليحبُكم خُلقُ الوثقى صرامتـــه .:. وإنه إي وربي المنهج المـــرن
روضوا النفوس على أمجاده فبهـــا .:. تسمو المشاعر والأرواح والفِطَنُ
تحسسوا العز فيه لا أغالطكم .:. ورائد القوم لا يسطو به الغبنُ

***

أناشد الله أشباخاً بلوتهـــــم .:. بأنهم في سماء المبتغى مُـــزُن
أناشد الله شباناً عرفتهـــــم .:. بأنهم للمعالي العارضُ الهتـــنُ
أناشد الله والذكرى تخازرنـــي .:. قومي الأولى لطريق المرتقى فطنوا
ناشدتكم خُلُقَ النشء الجديد ففي .:. أخلاقه يبتنى بالعزة الوطـــن

***

ذكرى لسيد أهل العلم أفرِغُـــها .:. شِعراً تشنفُ منه للعـــلا الأذُنُ
عليك يا ملهم الأرواح غايتـــها .:. صلى إله الورى ما أورق الفنـــن

***

- **قصيدته الرابعة:**

عصارة الروح

تفجرت الأنوارُ في الشرقِ الغربِ ∴ وغردت الأنجادُ في مربعِ العُرْبِ
وهبت على الدنيا خلاصةُ نفحةٍ ∴ أثيرت كضوعِ المسكِ من عالم الغيب
ألا اسمع لأنغامِ الحياةِ كأنها ∴ قياثِرُ دارِ الخُلدِ رنانةَ تصبي
تجلّى السلام العذبُ في مولدِ الهُدى ∴ بمولدِ هادِي الناسِ للموردِ العذبِ

***

إليك رسول الله أنغام شعري الحنـ ∴ ـنونِ عظيمُ الجرسِ يشتدُّ من قلبي
أماناً، وهذا الليل كيف السرى بهِ ∴ وفي كل فجٍّ أجمةُ الشوكِ في الدربِ
وهذي عراقيلُ الظلامِ مُقيمَةٌ ∴ يضلُّ بها الخرِّيتُ في المهمهِ الجدبِ
مصابيحكَ الشعشاعةُ النور أسدلت ∴ عليها سجوفُ الظلم والجهل والكرب

***

أضأت لنا معنى الحياة كأنهُ ∴ بكلِّ فُؤادٍ شُعلةُ الخلدِ بالصحبِ
وفسرت للدنيا الجمال موضّحاً ∴ تألق فيه الحقُّ فوقَ الذّرا الصُّهبِ
فشمرتِ الأرواح من غفلة الكرى ∴ مُعطرةَ الأنفاس فوارة الهبِّ[1]
تعاشقت الأرواحُ لمَّا ارتوت هوىً ∴ تعبُّ رحيقَ النورِ في حانة الحُبِّ

***

كشفت حبيبَ الله في كلِّ رُقعةٍ ∴ مساتيرَ مجدِ العلمِ في البُعدِ والقُربِ
إليك انتهت كلُّ الفضائلِ واستوت ∴ موازين حق العيش في دينك الرحبِ
تجددتِ الذكرى على الأرضِ حُلوةً ∴ تُثيرُ قُلوبَ المؤمنينَ بلا رَيبِ
نظرتُ بها مغنى الفضائل عابقاً ∴ بكلِّ معاني الحُبِّ كاللؤلؤِ الرطبِ

---

(1) الهب: من هب يهب هباً: أسرع وشمر.

***

سمونا به لما انثنينا نجوسُهُ ∴ على ملاء الدنيا ـ سموًّا ـ على الركبِ
وسارت بأوج العزِّ قِدماً ركابنا ∴ ترُوحُ وتغدو للمفاخِرِ باللبِ
فلما تقاعسنا ابذعرت[1] جموعُنا ∴ عن النور وارفضت بخطبٍ على خطبِ

***

(1) ابذعرت: ارفضت وتفرقت.

- **قصيدته الخامسة:**

نفحة السماء

في ذكرى مولد سيد الأنبياء ﷺ

شوقُ الحياة من السما يتنــزّلُ ∴ عطراً يفيض على انام ويهطــل
الحبُّ في ناموسها شرعٌ مــن ∴ الإبداع نسَّقهُ الحكيــمُ الأولُ
الله أودعَ في قَرارة رُوحِهــا ∴ كنزاً من المُثُلِ التي لا تسفُـلُ
وهدى بها الإنسانَ نحو حياتـه ∴ المثلى التي فيها السُّمُوُّ الأفضـلُ
وبهيكل الإنسان أبدع شِرعــةً ∴ للعقل فيها صورة لا تُخـذَلُ
صورةٌ تمرُّ تباينت أشكالُهــا ∴ هذي تسير وتلك لا تتنقــلُ
هذي تغذ السَّيرَ نحو سموهــا ∴ تسري، وتلك إلى الضَّلالةِ ترقِلُ
شتَّان بينهما!.. فهذي رحمــةٌ ∴ تضعُ الحقائق حيثُ لا تتعطّلُ

***

وبموكبِ الأخرى شياطينُ الردى ∴ تمشي على دنيا الورى وتعرقــلُ
كيف السبيلُ وكل دار حظّــها ∴ كأسُ الشقاوة للنفوس تذلّــلُ
إن الحياةَ قُبيلَ بعثِ محمــدٍ ∴ بين الأنامِ نذالــةٌ وتسفــلُ
يمشي بها المستبعدون إلى الهــوى ∴ بسياطِ من حكموا العبيدَ ونكّلـوا
وغدت بها قيمُ الفضائل لا تُرى ∴ في الأرض إلاّ بالخفاء تُسربــلُ
من قال ربِّي اللهُ قال له الأولــى ∴ حكموا: لأنك مجرمٌ ومُعَطّــلُ
قال الطغاةُ: لنحنُ آلهة الــورَى ∴ فينا الحياةُ جمالُها لا يذبُــلُ
قالوا: هلمُّوا واسجدُوا لعرُوشِنا ∴ ولمن عصى الوَيلُ الفظيع المُعضِلُ

***

راعَ اللصوصَ الفاجرين بأن يروا ∴ في الأرضِ نفساً للحقائقِ تُقبِلُ
واستوحشوا من كل حُرٍّ نافرٍ ∴ عن بغيهم!. تعساً لهم ما أمّلوا
للشر في كل البلاد معــاولٌ ∴ هدامةٌ للعدلِ، لا تتحــولُ
كفرٌ بجبّار السماواتِ العُلا ∴ وفضائحٌ في كل بيتٍ تُعملُ
والخير مزورٌ يوثَّبُ حزبَهُ الحيـ ∴ ـرانَ عن صنع يغُمُّ ويُخجلُ
كيف السبيل إلى الهداية يا تُرى ∴ ياليت شعري!؟ أين من يتعذّلُ
لابُدَّ من يوم يُدوِّي صوتُهُ ∴ ويثير أرواحَ الورى ويُجلجِلَ

لابُدَّ من بعثٍ يدُكُّ سناؤُهُ ∴ عرش الضلالِ وللطغاةِ يُزلَزِلُ

***

لابُدَّ من أنسِ الحياةِ وقد أتى ∴ بمحمد وهــــو النبي المرسلُ
ولدتْ بمولدِهِ الهدايةُ كلها ∴ وله ملائكــــة السماء تُهلل
وُلدتْ بمولده الفضائل كلها ∴ ولها أناشـــيدُ الحياة ترتلُ
وُلدتْ بمولدِهِ الحقائقُ كلّها ∴ ولها تفانـــى المخلصون وأقبلوا
ولدتْ بمولده العلومُ جميعها ∴ وبها دساتير الرقـــي تُسَجَّلُ
ولِدتْ بمولِدِه الكرامة فازدهى ∴ أُفُقُ الحياةِ بضوئِها يتجَمَّلُ
ولدتْ به الحكم الجليلةُ فاهتدى ∴ فيها كرام راحلون ونُزّلُ
وُلِدَ السلامُ على الربوع وحُبِّرت ∴ للحب أنغامُ العلا تترسَّلُ

***

وُلِدَ الجمالُ فكان أولُ فنِّه ∴ صوتــاً لتوحيـــد الإلـــهِ يفصل
ولدت به للعدل أفخمُ دولةٍ ∴ عربيـــة فيــــها الحنانُ ممثّلُ
والكوكبُ الأرضيُّ أصبح موكباً ∴ يســمو بِأعراس الحياةِ ويرفلُ
هلك الضلالُ وحطمت أوثانه ∴ تبــاً لقــــوم شـــيدوه وأثّلوا
وتمزق الطاغوتُ شرَّ ممزّقٍ ∴ وجبينهُ فوق الرماد مُكَبَّلُ

***

هذي الفضائل أين من طلاّبِها ∴ الشوسُ الرعاةُ الصارمون الكُمَّلُ؟
هذي الحقائق أين من ورَّادِها ∴ حُمس تجول بهم خيول صُهَّل؟
هذي الهدايةُ أين من أبطالها ∴ أسدٌ مغاويرٌ هداةٌ رُحَّلُ؟
هذا الجمالُ، فأين من عشاقِه ∴ قومٌ عباقرة كرامٌ فُضَّلُ؟
يا للسمو!. وأين من أحبابه ∴ قوم بأرجاء الخلود تحوّلوا؟
زمنٌ مضى برسالةٍ محبوبةٍ ∴ وبقى الأولى أعمالهم لا تُقبلُ
ذكرى لمكة أشرقت صفحاتُها ∴ فيها السمو من الخلود مُسجَّلُ
لم يبق من ذكرى الكرامة غيرُ ما ∴ شهواتِ قومِ في الفساد توغَّلوا
ذكرى ليثربَ أين أرباب النُها ∴ فيها، وأين من الرجال الأرجل؟
أين الأولى هزّوا العروش وأنقذوا ∴ الإنسانَ من ظَلمِ الملوكِ وفضّلوا؟

بل أين رُبعيٌّ وأين عُبادَة[1] .:. لهما شياطين الضلالِ تذللوا
بطلان من دار العروبةِ أرهبا .:. كسرى وقيصر، والحديثُ مطوَّلُ
وطأ البساطَ العامريُّ ممزِّقاً .:. بسنانه متشامخاً لا يمهلُ
واتى لقيصر ذلك الحرُّ الذي .:. عبد الإله، وبالهُدى يتغزَّلُ
هذانِ من بعض الهداةِ فكيف لو .:. سطرتُ للأبطالِ ما لا يُجهلُ
سبحانك اللهم كيف تهالك .:. الأحفادُ في الذل الوخيم وغُللوا
يا أيها المستبَعدون تنبهوا .:. وامشوا على نور الهدى وتأملوا
فدياركم جاسَ العدوَّ خِلالها .:. وغدا يُزَمرُ كاذبا ويُطبِّلُ
قال: الحضارةُ من حمانا ترتجى .:. ولها على شوك الجهالةِ منجلُ
كذبَ الرجيمُ فما حضارتهُ سوى .:. الغيلانِ يمتصُّ الدماءَ ويأكُلُ
يسطو على خير الشعوبِ ورزقها .:. مستعبداً عن سلبها لا يغفُلُ
أمسى الرعاةُ الظالمون صنائعاً .:. لصنيعه وعلى مُناهُ توكَّلوا
أين الأولى نصبوا موازين الهدى .:. والكل عدلٌ للمظالمِ يركُلُ؟
أين الأولى قد شيدوا بديارهم .:. داراً بأيتام الرُبوعِ تؤهِّلُ؟
أين الأولى صنعوا الأذلَّ حقيقةَ .:. مرهوبةَ فيها السُّمُوُّ الأكملُ؟
أين الأولى صانوا مساكين الحمى .:. عن فاقةٍ ولهم حبوا وتفضلوا؟
من ذا أتى للثاكلات بليلـــــةٍ .:. ليلاءَ يُلبسهُنَّ سعداً يشمُلُ؟
هذا التضخُّمُ في الثَّرَاءِ وتحتَهُ .:. جِلدٌ على عظمِ يئن ودُمَّلُ
قَسَتِ القلوبُ لدى السُّراةِ وحُجِّرَت .:. أكبادُهُم وعلى التجافي عوَّلوا
تنثال خيراتُ الحمى بجُيوبهم .:. والفقر في الشعب المُضَيَّعُ يغولُ

***

نار من الحسرات بين ضُلوعِنا .:. والدمعُ منا للمرابع يُسبَلُ
يا حسرتاه تعاكست أميالنا .:. والليل يزحف بالمصائب أليَلُ
كيف السبيل إلى الوئام وبيننا .:. ذئبٌ وصِلٌّ فاتكانِ وخَبعَلُ
كيف السبيل إلى الوفاقِ وحولنا .:. هِرٌّ يموءُ من العِدا ويُوَلوِلُ
لم لا نوحِّد للعلا أهدافنا .:. ودليلنا هذا الكتابُ المنزلُ

(1) ربعي العامري وعبادة بن الصامت، وقصتهما مشهورة في تاريخ الصحابة.

الخوفُ والإيمان لن يتحالفا ∴ أبداً، فأين المؤمنُ المتبتِّلُ؟
والذلُّ والإخلاص لن يترافقا ∴ أبداً، فأين المخلص المتوكل؟
والجهلُ والتوحيد لن يتآلفا ∴ أبداً، فأين العالم المتنفل؟
هذي هي الذكرى تمر كأنها ∴ حُلُم الخيال فأين من يَتَأمَّلُ

***

ذكرى النبي وأي ذكرى بعدها ∴ أعلى شأىً، فلها العلا تتهلل
في كل يوم عشر مرات لنا ∴ ذكرى لها صوت المؤذن ينقِّل
هذي المساجدُ والمآذنُ حولها ∴ في كل درب للردى ما يُذهِلُ
تمشي القبائح في الشوارع كالدُّمَى ∴ عشاقها وغدٌ يجوس وأرْذَلُ
وتمرُّ تنخُرُ بالحصافةِ والحِجا ∴ وبفعلِها الخُلُقُ الرفيع يُعطّلُ
وتمر بالأبواب تنفث سمها ∴ والشر منها نتنه مُستَفحَلُ
في كل يوم للرذائل خبطةٌ ∴ عشواءٌ تبعث ما يثير ويُشغِلُ

***

أين الأباة الحازمون شعارهم ∴ فعلٌ عليه من الرَّجاوَةِ مِشعَلُ
أين السُّعاةُ إلى الكرامة بندهم ∴ رأس بأضواء الإباء مكلّلُ؟
أين الأولى خاضوا الردى للعز لم ∴ يتقاعسوا في سعيهم أو يكسَلوا

***

ذكَّرتُ قومي والحياةُ مليئةٌ ∴ من كل ما يُشقي النفوس ويُشكِلُ
رُجعَى إلى الحق المبين لربما ∴ عند التحفز يشرق المستقبلُ
فإذا أردنا العز كان بجنبنا القـ ∴ ـــدر العظيم لنُجحنا يتكفلُ
فلنسر للغاياتِ في ضوء الهدى ∴ واللهُ للسعي النبيل يُكمِّلُ

***

وإلى رسول الله خيرُ تحيةٍ ∴ يشدو بها طير الرُّبَا والعَندَلُ
والعطرُ من صلواتنا لصحابِهِ ∴ والآلِ من أرواحنا يتسلسلُ

***

- **قصيدته السادسة:**

الأشواق
في ذكرى الإسراء

يا للحياة تفجرت أشواقها ∴ في الكون واستوحى الهوى عشاقها
من عالم الأنوار هزت نشوة ∴ روحَ الحياة فكُسِّرت أرباقُها
الموكب الأعلى أطلَّ على الورى ∴ متبسما والأرض ريع شقاقها
والأسدو الآرام في المرعى لها ∴ - بعد المخاوف والعداء - وفاقها
يرنو الضعيف بأعين مكحولة ∴ نحو القوى، وللدنا إشراقها
غرقت ثغور الآمنين ببسمة ∴ عذراء عطر حسنها أخلاقها
والنور في الأرواح لألأ فوق ما ∴ عرف الأنام، فَرُوِّقَتْ أذواقها

***

يا للجمال الروحُ هبَّ حُماتها ∴ وهوى هُوِيًا في الحضيض جُفاتها
وتقشعت سحب الضلال ومزقت ∴ أستارُها، وتحطَّمت قواتُها
سكر الزمان بخمرة قدسية ∴ لما تأهب، للحياة أساتُها
المجد يهتف والحقائق في الورى ∴ تنساب عطراً، والأباةُ رُعاتها
أنس الحياة تألقت أنواره ∴ بالمصطفى والروح شعشع ذاتها
لعس الوجود بليلة سهرانة ∴ وتكشفت عن سحرها ظلماتها
وتهلل السر العظيم مجسماً ∴ بمحمد والأرض خاب طغاتها

***

خضع الحجا للحق، واتصل الورى ∴ بالله، واستبقوا إلى أعلا الذرا
قامت على الضعف المقهقر ثورةٌ ∴ بين النفوس وزمجرت أسدُ الشرى
هبت لحريَّاتها من لُوثة الأغـ ∴ ـلال، والقيد الوخيم تكسرا
وأديرت الأقداح من ينبوعها ∴ ولها شذى بين المشاعر قد سرى
ربّى رعابيبَ النفوس ورشّها ∴ بالدفء لما أن سقاها الكوثرا

فتحت نواظرها على نور الهدى ∴ وتلألأت مسحورة بعد الكرى
وثبت فكان عبيرها متصاعدا ∴ وتأهبت لترى النبي الأكبرا

***

قم يا محمد ذا طريقك مشرق ∴ حفت به الأنوار وهي تألّق
هذا هو البيت العتيق وهذه ∴ الدنيا ترافب نورَهُ وتحملق
للمسجد الأقصى المبارك حوله ∴ أقبل أمامك ما يُحَبُّ ويُعشَقُ
هذا هو الحرم الكريم ومن هنا ∴ نبعت ينابيع الهدى تتدفق
الشوق بجذبه إليك مُصَرَّمًا ∴ ناراً تشب على رباه وتبرق
أشجاه كبت الدهر، في أرجائه ∴ عاث الذئاب، وجرحه يتفهق
مسراك يا مختار من أعراسه ∴ يوم به حلم الحياة يُحقَّقُ

***

تَحَّجت يا نور الهدى أنواره ∴ وكشفت عن أسراره أستارَهُ
فأضاء تحت الشمس ينفح وردُهُ ∴ عطراً يُضَوِّعُ في الوجود بهاره
وسموت منه إلى السموات العلا ∴ وصقلت في الحوض الطهور شعاره
وبدا به نساكه بكهوفهم ∴ يتنشقون من الشذا أسراره
وترنمت آكامه وجباله ∴ والأنس غشّى داره ومزارَه
سبحت عذاراه بأسواق الضبا ∴ والطهر فيها عاقد أزرارَهُ
وتقدست نشوانة وترنَّحَت ∴ آرامه طرباً تود جِوارَهُ

***

عيسى، وموسى، والخليل تذوّقوا ∴ ـ والرسل كلّهم ـ دعاك وأحدقوا
عانقتهم والحب روق كأسه ∴ متلألئاً والأنس فيه شيِّقُ
سكر الجمال بصحوه وتفتحت ∴ دعج العيون، وللقلوب تعشق
الحب أنت جماله وصفاؤه ∴ والخُلق أنت رحيقه المتدفق
والمجد أنت سناؤه ووقاره ∴ والحق أنت كماله المتحقق
والنور أنت على الخلائق سره ∴ أبداً يعج على النفوس ويخفق
والسر أنت، وأنت أنت المصطفى ∴ والله فوقك للمكارم يُغدِقُ

***

الأمن فيك تشعشعت شرفاته .:. والجور روِّعَ من حماك حُماتُهُ
والروح فيك تجنحت أحلامه .:. وتجسدت في العالمين صلاته
والعقل فيك تحطمت أغلاله .:. وتحررت من كبتها أصواته
والشرك دُكَّ ونكِّست أصنامه .:. والكفر هُدَّ وزلزلت أبياته
وغدا النفاق مذبذباً متمرغاً .:. في النتن واشتعلت لظى داراته
والقلب فيك تلاحمت أجزاؤه .:. بين الضلوع وغردت كلماته
والنفس تلك تطهرت من رجسها .:. وهوى الرجيم وكسِّرت جاماته

***

الوحي ألقى في حجاك نفيسه .:. والعلم حبّر في النفوس دروسه
تستلهم الحق العظيم جماله .:. وتفيضه صوراً تضيء شموسُهُ
وثب الزمان بعبقريتك التي .:. تهب الزمان من الولاء رسيسه
وملائك التوحيد فيك ترنَّمت .:. وشدت من اللحن الطليق أنيسهُ
أذهلت عُبَّادَ الرذائل واختزتى .:. الشيطان يركل حزبه ومجوسه
وسرت بأرواح العباقر نشوة .:. هتكت عن الأمل العظيم عبوسه

***

المجد يا للمجد انت مجيـــــــره .:. والحب يا للحب أنت عبيـــــــره
والأرض يا للأرض أنت إمامها .:. والحق يا للحق أنت بخــــــوره
قدست ربك فاصطفاك لخلقه .:. تهدي وأنت بشيره ونذيـــــرُهُ
طوبى لمن فقه الحياة وما ونى .:. عن فهمها بين الورى تفكيره
ولقد صدقت بما رأيت وإننـــــي .:. بك مؤمن والنور أنت مثيره
بأبي وأمي يا محمد هذه .:. روحي فداك وفي الفؤاد سروره

***

أمحمد والطهر أنت معينهُ .:. اسمع فقد أشجى الفؤاد أنينهُ
أنظر فذا الحرم الذبيح يدوسه .:. كرب تفاقم شره وجنونــــــه
صبت عليه من الخطوب أشدها .:. شراً، وجمر البغي ثار دفينه
جاست ظلال النور أشباح الردى .:. فيه ورأرأ بالشقاءِ خؤونــــــه

أواه يا للموت من أبنائـــــه .:. موت الأذل ضعيفهُ وسمينـــــه
الهُون عاتٍ والردى متحضر .:. مخسوفة آذانه وعيونـــــه

***

ما للحقارة تستفز شرارها .:. في عصرنا هذا وتوقد نارَهــــا
نسى الورى أرواحهم وتمرغوا .:. في حمأة قطعوا بها أوضارَها
وأذاق بعضهم المصائب جهرة .:. بعضاً وحقدهم يهيج أوارهَا
الفقر والجهل الفظيع سميرهم .:. والسقم في الأجسام حط وزارها
كم من شعوب في الدنا مخنوقة .:. شد القوى قيودها وإسارَها
ما بين مخنوق يُرَوْن وخانق .:. وكلاهما يحبو الحياة دمارَها
الله أكبر أين من أرواحهم .:. نور ينير بذي الدنا أغوارها

***

يا رحمة الذكرى أتيتك منشدا .:. في ليلة المعراج أستوحى الهدى
عطّرتِ بالأنس الحنون مشاعري .:. وأفضتِ شعري بالحبيب مغرداً
ووقفتُ بين المسلمين أثيرهــــم .:. بحماسة تشتد في حلك الـــردى
قلت: اسمعوا هذي (الكويت) فإنها .:. عرق تحرك نابضاً متجـــدداً
فحماتها وشيوخها وشبابها .:. في دوحة الإسلام كلٌّ وَحَّـــدَا
هي من بلاد المسلمين كريمةٌ .:. عذراءُ في صرح العلا لن تُجحَدَا
تسمو بإسلامية الروح التـــي .:. يهفو حجاها إن ذكرت محمدا

***

يا رحمة الذكرى ارفعي أوراحنا .:. هبي علينا، عطّري أفكارنـــا
لنرى النبي المصطفى بقلوبنا .:. نوراً يثير غُدُوَّنـــا ورواحَنـــا
لنرى كتاب الله في أعمالنا .:. مجداً يشعشع في الدجى مصباحنا
لنرى السلام على الربوع مخيماً .:. لنرى الفضائل لا تفارق ساحنا
لنرى المحبة بيننا بِصلاتنا .:. أنساً يؤرخ في الحياة كفاحنا
لنرى الجمال يفيض في أقوالنا .:. متدفقاً يزجي لنا أرباحنا
لنرى الهداة الراشدين وكلهم .:. يسعى يروم نجاحنا وفلاحنا

***

يا رب رحمتك التي تتنزل ∴ أنزل علينا رحمة تتهطل
أفرغ علينا الصبر يا رب الورى ∴ واكتب لنا مالا يُذِلُّ ويُخجل
يا رب قد أمسى عبادك جلهم ∴ نحو الشرور تقدموا واسترذلوا
عبدوا من الشهوات في هيجانها ∴ أرباب بغى في النفوس تنكل

***

يا رب صل على حبيبك واحينا ∴ بجمال دينك ما يعم ويشمل
أدرك إلهي المسجد الأقصى وخذ ∴ بيد الأولى قد جاهدوا وتوكلوا

***

والطف بعبدك يا إلهي إنه ∴ في ليلة المسرى أتى يتذلل

***

- **قصيدته السابعة:**

الهجرة الخالدة

عانق الحقَّ روحَهُ فاستجابا .:. وتخطى إلى السمو الشعابـــا
وتهادى الينبوع من (غار ثور) .:. كوثرياً يحبو الحياة الشبابـــا
يا ليالي الجمال والنور هذي .:. ليلة في سنائها الأنسُ ذابـــا
ليلة تصطفى الفضائل لما .:. حثّ فيها صوت النبي الركابـــا
يترنّى (الصدِّيق) والأفق ساجٍ .:. مطمئناً يروم فيه الطلابـــا
فتجلت (ذات النطاقين) تشدو .:. لحنها الحلو شيِّقاً لن يُرابـــا
وبدت شعلة من النور تحكي .:. في سراها طيفَ الهوى أو شهابا

***

قصةٌ في (سُرَاقَةٍ) نسجتها .:. أنملُ كالحرير تصبى الصوابا
يستجيش الجمالُ فيها ويسمو .:. مستثيراً إلهامه المستطابـــا
جاء فيها وعد النبي عظيماً .:. حين أضحى (الإيوانُ) يحوى الصِّحَابا
قال: يا (سعد) هات وعداً أراني .:. (ليلة الغار) في الحياة المثابـــا
قال: هذا (سوار كسرى) إليك .:. الوعد حراً أراك للغيب بابـــا
رحت في الخالدين تستقبل النورَ .:. بهيجاً ولا تبالي الصعابـــا

***

يا مثير الحياة يا زورق العلم .:. تلق الجمال يغشى الهضابا
موكبُ الفجر زاخرٌ بالأهازيجِ .:. يغني فيك الأماني العِذابا
بسمت (يثربُ) بهجرتِك البيضاءِ .:. والنورُ في الصدور تصابى
طرب الساكنون للناقة القصـــ .:. ـــواء يعلو سنامها من أهابـــا
أنت سر الحياة يستلهم (الأبـــ .:. ـــصار) منك الآمال شوقاً مجابا
تتصفى بك النفوس وتسمو .:. لا ترى بعد ذلة واكتئابـــا
فيلق الحق زاحف بك للحق .:. يشق الفضاء ثم السحابـــا

جنحته روحية المجد فجرا ∴ وتسامى يهوى الخلود مآبـــا
وغدا الكفر في الجزيرة شلوا ∴ يجذب البوم نحوه والغرابـــا
ثورة زلزلت عروشاً ودكت ∴ صولجان الأصنام والشركُ خابا
واستشاطت حضارة الروح لما ∴ كافحت كل من طغى أو تغابى

***

إيه ذكرى تجددي كلَّ يوم ∴ واذكري في جموعنا ذا المصابا
مدنياتنا بذا العصر أمســـت ∴ لجنود الشيطان كهفا وغابـــا
أينما سرت قد ترى وثنـــيا ∴ يعبد المال والدمى والترابـــا
أين منا الإسلام ينفح حباً ∴ سامياً ينعش الحجا والصوابـــا
أين منا الإيمان يشرق في الأنـــ ∴ ـــفس نوراً معطراً مستطابـــا
أين منا الإحسان يبعث بالإحـــ ∴ ـــسان ينساب في النفوس انسيابا

***

كل عام نقيم حفلاً لذكرى ∴ في مداها نشتف سما وصابـــا
لا نراعي غير التقاليد تترى ∴ خبط عشواء إذ تركنا اللبابـــا
يا حبيب الحياة والحق أمست ∴ بعد فرقانك الحياة عذابـــا
هذه حمأة الرذائل تغلـــــى ∴ تملأ الأرض بحرها والرحابـــا
يتعالى لهيبها وينـــــــادى ∴ بالنفوس الخراب هيا الخرابـــا
أين من جنة العرائس لحن ∴ عبقري يفتق الألبابــــــــــا

***

إن فردوسنا المحجب أضحى ∴ بعد عصف الدهور قفراً يبابـــا
قد تركنا فضائل الدين تنهار ∴ انهياراً ولا نقيـــــم حسابـــا
أين حرية الحجا ويح قلبي ∴ إن هفا ظل يستدر السرابـــا
أين روح الإسلام تصرخ فينا ∴ تعلن الثورة التي لا تُحابـــى
غمرتنا الشؤون حتى كأنا ∴ قد وضعنا على السماء حجابـــا
حجب من غياهب النفس أمست ∴ كظلال الجحيم تغشى الجنابا

***

يا لقومي ذي هوة الفدح إن لم ∴ نتدبر لدى الظلام الكتابـــا
يا لقومي أهجرة تبعث الروح ∴ منيـــراً وتستهـــل الصوابـــا
يا لقومي أيقظة بعد نـــوم ∴ تستثير الحمى وتعلي الرقابـــا
إن من بات عن حماه نؤومـــا ∴ أطلق الدهر في حماه الذئابـــا

***

أسمعينا حرية الروح صوتـــا ∴ فيه نلقى من الحياة الجوابا
وأرينا يا فكرة المجد للإســـلام ∴ نوراً يُري الشعوب المتابـــا
فكرة تسحق الجهالات سحقاً ∴ وتدك الضلال نابا فنابـــا
فكرة تنصب الموازين حتـــى ∴ لا نلاقي بذي الحياة اضطرابا
ذاك شعري وفي حجاي كلام ∴ غير أني آثرته الاقتضابـــا

***

هي ذكرى وفيك سيد الخلق ∴ تفنـي الأجيال شعراً مهابـــا
وعليك الإله صلّى - حبيب - ∴ غير أني آثرته الاقتضابـــا

***



الفصل السابع

الشاعر / عبدالله النوري

- ترجمته:

الشيخ عبد الله محمد النوري رحمه الله هو أحد أبرز علماء الكويت، له آثار واسعة في العديد من مناحي الحياة الدينية والاجتماعية في بلده الكويت كما يظهر من ترجمته، وهذه الترجمة كتبها المؤرخ الكاتب فرحان عبد الله الفرحان، وقد ألحقت بكتاب الشيخ عبد الله النوري (خالدون في تاريخ الكويت) والذي لم ير النور مطبوعاً إلاَّ بعد وفاته، ولأنه أحد الشخصيات المهمة في تاريخ الكويت ضُم إلى كوكبة الخالدين في التاريخ الكويتي، يقول الكاتب فرحان عبد الله الفرحان:

المعروف أن أسرة الشيخ محمد نوري والد الشيخ عبد الله أنها قدمت من الموصل حيث كانت تسكن في باديتها في أول الأمر واتجهت إلى البصرة، إلاَّ أن المقام لم يطب لها فارتحل إلى الزبير القريبة منها ـ والحقيقة أن النفس المتعودة على حياة البداوة والخشونة لا يطيب لها البقاء في المدن ـ وهكذا استقر في الزبير؛ حيث عمل فيها مدرساً وذلك في عام (1902م) وفي هذه المدينة أحبه الناس وأحب الإقامة فيها بينهم فطابت نفسه في الاستقرار، وفي سنة (1321هـ ـ 1903م) قرر الزواج من هذه المدينة فصاهر أسرة نجدية الأصل، والمعروف أن كثيراً من أهل نجد رحل إلى العراق حيث حل بعضهم في الزبير والبعض الآخر

في سوق الشيوخ قرب الناصرية ومن هذه الأسرة أنجبت الشيخ عبد الله وشقيقه عبدالرحمن وعبدالملك وكان الشيخ عبد الله هو البكر لأولاد الشيخ محمد نوري؛ حيث ولد في سنة (1323هـ - 1905م) في الزبير وتعلم القراءة والكتابة على يد والده محمد نوري وبعد أن كبر وأنس الاعتماد على نفسه دخل إحدى المدارس التي يشرف عليها الإنجليز وذلك إبان احتلالهم للعراق، وواصل تعليمه في هذه المدرسة حتى أنهى المرحلة الابتدائية.

في سنة (1341هـ - 1922م) غادر أسرته إلى بغداد؛ حيث التحق بدار المعلمين وبعدها كر راجعاً إلى عائلته بعد أن ترك الدرْاسة هناك بناء على رغبة والده في ترك الزبير والاتجاه إلى الكويت في سنة (1341هـ - 1912م) وصلت الأٍسرة إلى الكويت وصاحبنا يعمل في عدة جبهات، فاشتغل أولاً في التدريس والتعليم ثم انتقل إلى التجارة وسافر في إثرها إلى سيلان والهند أسوة بما يفعله الكويتيون، ثم سافر إلى العراق والبحرين لكن كل هذه السفرات لم تشغف الشيخ عبد الله ولم تجعله ينجح في العمل التجاري لأن عقله ميال إلى العلم والدين والتدريس فكانت محاولاته في العمل بالتجارة غير مجدية.

وهكذا رجع إلى الكويت بخفي حنين وعاد إلى التدريس وأخذ يقرأ كتب الفقه الحنبلي على يدي والده والشيخ عبد الله الخلف. في سنة (1355هـ - 1936م) عين كاتباً في المحكمة للقضاء ثم أخذ يتدرج في هذه الوظيفة إلى أن أصبح رئيساً للكتاب ثم سكرتيراً خاصاً لرئيس المحكمة ثم سكرتيراً عاماً وهي وظيفة تعادل وظيفة وكيل وزارة اليوم.

قام الشيخ عبد الله بالإضافة إلى عمله هذا بإلقاء المحاضرات في المعهد الديني في أول نشأته، وكذلك في المدرسة التجارية الليلية وذلك لمدة ثلاث سنين، وبعد ذلك عين مفتشاً للأوقاف وموجهاً دينياً للأئمة مدة أكثر من سنة ثم عين مديراً للإذاعة الكويتية في أول نشأتها مدة.

في سنة (1375هـ - 1955م) استقال من عمله في المحاكم وأخذ يعمل في أعماله الخاصة، وكان أهم ما فيها المحاماة وكان قد كوّن في ذلك خبرة إبان عمله في المحاكم.

عمل الشيخ إماماً لمسجد منطقة القادسية فكان يخطب فيه لصلاة الجمعة كل أسبوع.

- **الكتب التي ألفها أو حققها:**

1) المنبر، مجموعة خطب تحتوي على ما يزيد عن مائة خطبة.
2) الرشد، مجموعة مواعظ تحتوي على خمسين مجلساً.
3) شهر في الحجاز،مذكرات كتبها في سفرته الثانية للحج.
4) البهائية سراب، رسالة بحث فيها المذهب البهائي.
5) قصة التعليم في الكويت، تاريخ التعليم في الكويت منذ سنة 1300-1360.
6) قطف الأزاهر، تحقيق كتاب منظومة البتوشي المسماة حديقة السرائر في نظر الكبائر.
7) المحمديات، مقالات وخطب، ألقاها في مناسبات كالمولد النبوي والإسراء والمعراج.

8) في الكويت، مجموعة من القصائد ألقيت في مناسبات.
9) الأمثال الدراجة في اللهجة الكويتية، وما يطابقها في اللغة العربية.
10) العروة الوثقى، علاقة القرآن الكريم بالحياة.
11) يوميات زائر للشرق الأقصى، رحلة قام بها إلى شرق آسيا.
12) المرأة المسلمة، واجباتها تجاه المجتمع.
13) المعجزة الخالدة، حول الإسراء والمعراج.
14) الشيخ أحمد الجابر، مذكرات عن حياة الشيخ أحمد الجابر.
15) حكايات من الكويت، مجموعة حكايات عن الكويتيين في الزمن السابق.
16) سألوني، هي أهم الأسئلة والأجوبة التي وجهت إلى الشيخ عبد الله، بالتلفزيون عبر الحديث الديني.
17) خالدون في تاريخ الكويت.

هذه هي أبرز مؤلفات الشيخ عبدالله، لكن عبد الله الشاعر والذي ترك الشعر قبل وفاته بعشرين سنة هو الذي كان يرثي أستاذه عبد الله الخلف فيقول:

دعيني ـأسطر في المراثي القوافيا ∴ على من فقدنا اليوم فيه المغاليا
وقفت بُعيد العصر وقفة خاشع ∴ على قبر عبد الله من كان هاديا
وقفت على قبر يكلله السنا ∴ أناجي عليما كان في القبر ثاويا
وقفت على قبر به الزهد والتقى ∴ حوى العلم في طياته والمعاليا
أنادي بصوتي لا أعي من يجيبني ∴ فأبقى على نار من الحزن جاثيا
وأرجع حيرانا وقلبي هائم ∴ ببيداء حزن حيث خابت أمانيا

إذن هذا هو عبد الله النوري الذي عاش من سنة (1905 حتى

1981) وقد كان كله شعلة من النشاط في مجالات عدة.

وقد انتقل رحمه الله تعالى إلى جوار ربه يوم السبت الموافق 17 يناير من عام 1981، بعد أن عاش حياة حافلة كلها تقوى وإيمان وجهاد بالكلمة الصادقة وذكر عاطر بين جميع الناس[1].

- **شعر الشيخ عبدالله النوري وديوانه:**

الشاعر عبد الله النوري، نعم الشاعر فقليل ممن سمعه وعرفه يعلم أنه شاعر له ديوان شعر وقبل ذلك هو حافظ من حفاظ الشعر العربي، فمن محفوظاته حماسه أبي تمام كما ذكر ذلك والده، وهذا الاهتمام الأدبي للشيخ عبد الله النوري يؤكد على تلازم الحركتين الحركة الأدبية والفكرية بالحركة الدينية في نشأة التطور الأدبي في الكويت، والذي يظهر في جهود الشيخ عبد العزيز الرشيد وصولاً إلى الشيخ عبد الله النوري.

فالشيخ عبد الله النوري له إسهامات واضحة في الأدب، فهو خطيب موهوب إذ أن من تراثه الديني الأدبي مجموعة من الخطب في مجلدين، بالإضافة إلى كتابه المحمديات وهو عبارة عن مجموعة من الكلمات قالها في مناسبات إسلامية كالمولد النبوي والإسراء والمعراج والهجرة النبوية، وهذه الخطب والكلمات ثرية بالمواجيد والأساليب الأدبية التي خرجت عن الأساليب الخطابية المسموعة التقليدية في زمنه والتي كان له عليها انتقادات جريئة، خصوصاً أنه قد جرب طريقة الخطابة التقليدية في بداية قيامه بالخطابة يقول: ثم تركت ما جمد عليه الخطباء في الكويت من ترنيم للخطبة أو تسجيع، وكثيراً ما جعلت

(1) خالدون في تاريخ الكويت، عبد الله النوري، ص 117.

خطبة النعت متممة للخطبة الأولى أو نصيحة طارئة مرتجلة[1].

بالإضافة إلى قيامه بالخطابة ومحاولاته في التجديد للخطاب الديني من خلال فن الخطابة، فإن الشيخ عبد الله النوري كان قاصاً كتب في فن القصة وكتابه حكايات من الكويت يعد من أشهر كتب الفن القصصي الكويتية، وذلك لأنه قد استوحاها من بيئته الكويتية وقيمها وتقاليدها وتاريخها ومن هذه القصص ما رواها بنفسه ومنها ما رواها عن أسلافه، فهي حكايات وقصص حقيقية إلا أنه صاغها صياغة أدبية مراعياً فيها أسلوب القص الأدبي.

وفي كتابه الشهير (من غريب ما سألوه) نفحه من أدبه وأسلوبه القصصي، والذي يبدو أنه أثر في فتاواه الشرعية فلعلاقاته الواسعة واحتكاكه الدائم بالناس في مختلف طبقاتهم وسماعه للكثير من قصصهم واستفتاءاتهم، قد توافرت لديه العديد من القصص والمواقف من حياة الناس وتجاربهم والتي ربما كانت رافداً لتجربته القصصية، أما شعره وشاعريته فتكاد تكون كافية في الإلهام لهذا الكتاب وذلك لأنه قد استوعب الثقافة الإسلامية وفقه أسرار الإسلام ومقاصده وتفاعل مع السيرة النبوية الشريفة من خلال عطائه الأدبي وظهر ذلك في مجموعة من إنتاجه الأدبي تجديداً في الشعر كما سيظهر.

أما تاريخه في الشعر فقد بدأ ـ رحمه الله ـ ينظم الشعر وهو فتى يافع، وروى شقيقه عبد الملك أن أول قصيدة سمعت له هي تلك التي ألقاها في حفل تأبين المغفور له الشيخ علي السالم الصباح الذي وقع شهيداً في معركة الرقعي في شهر فبراير سنة 1928 للميلاد، وكان

---

(1) المنبر، عبد الله النوري، ص 23

عمر الشاعر عبد الله النوري آنذاك اثنين وعشرين عاماً.

وكانت الكويت في ذلك الوقت قد دخلت عصر نهضة أدبية وأخذ شبابها يتطلعون إلى الأدب والشعر، وبرز من شعرائها المرحوم مساعد الرشيد، أما الأدباء فكانوا كثيرين، وكانت لهم ندوات خاصة ومجالس أدب وشعر عامة وخاصة، حضرها المرحوم الشيخ عبد الله النوري وسمع فيها وأسمع.

لم يتخذ المرحوم الشيخ عبد الله النوري الشعر مهنة ولا وسيلة كسب، بل ولم يداوم على نظمه، إنما هي نفحات كانت تتأجج فيها شاعريته حيناً ثم تخبو حيناً آخر.

وعلى الرغم من كثرة ما نظم الشيخ من شعر، حيث نظم ما يزيد عن عشرة آلاف بيت، شملت كافة أنواعه، من شعر ديني ووطني واجتماعي، إلى الرثاء والحكمة والعتاب.. إلى شعر في العلم.. حتى أنه نظم الشعر في الشعر نفسه.. على الرغم من ذلك فلم يترك الشيخ إلا ديواناً مطبوعاً واحداً هو ديوان «من الكويت» وقد طبع مرتين، الأولى بالكويت عام 1962، والثانية بالقاهرة عام1965.

ويرجع السبب في عدم طبعه لمعظم أشعاره، انصرافه عن الشعر مع تقدم عمره، ومع زيادة اهتمامه بتبسيط ونشر الفقه الإسلامي لعامة المسلمين.

له ديوان من الشعر بعنوان «من الكويت» طبع مرتين أولاهما في الكويت وكانت سنة 1962م، أما الثانية فكانت في القاهرة سنة 1965 وكانت طبعة مزيدة ومنقحة.

وهذا ما عبّر عنه رحمه الله بقوله: «... وكنت أنظم الشعر

وكان لدي منه أكثر من عشرة آلاف بيت، إخترت منها ما هو في الديوان وأتلفت الباقي. وقد نضب معين الشعر عندي منذ سنة 1955م. ولم تعد لي رغبة في نظمه...».

ومن الطريف أن نجد بين قصائد ديوانه قصيدة عنوانها «الشعر» تعكس وجهة نظره في هذا الفن، وتكشف عن مدى تعلقه به، ومن أبيات هذه القصيدة:

ما الشعر إلا كلمة ∴ أدّت مع الإيجاز معنى
ترتاح عند سماعها ∴ أذن الخلي مع المعنّى
صدرت ومصدرها الضمير ∴ وأحكمت معنى ومبنى

تميز شعره بأنه يغلب عليه الطابع الديني، ولعل ذلك راجع إلى نشأته وثقافته الدينية وعقيدته الإسلامية الراسخة، فقصائده الدينية تستأثر بالحيز الأكبر من ديوانه، في حين تتوزع بقية قصائده على الموضوعات الأخرى كالنصح والإرشاد والعروبة والرثاء.. وبشكل عادل لا يطغى فيه موضوع على آخر.

ولئن أكثر في الشعر الاجتماعي الوطني، فقد تناول في شعره أيضاً الدعوة إلى العلم، وله في الغزل ثلاث قصائد لعله قالها في ريعان شبابه، وليس وجودها في ديوانه بمستغرب فالشعر يصدر عن تجربة، وقد كان، ولا ريب، صادقاً في تجربته.

له في الرثاء الشعر الكثير، ولا غرو فقد كان محباً للناس مخلصاً لهم، ولما توفى والده سنة 1927م، ولحقت به والدته بعد فترة قصيرة قال فيهما شعراً يفيض حنينا وشجناً، ومنه هذا البيت.

فيا أبويَّ إني في شجون ∴ يمزق مهجتي حرقاً أذاها

وعرف عنه أنه أحب أستاذه ومعلمه الشيخ عبد الله الخلف كل الحب وأكن له كل تقدير، ولما توفى حزن عليه حزناً عميقاً وقال فيه قصيدة مطلعها:

دعيني أسطر في المراثي القوافيا ∴ على من فقدنا اليوم فيه المعاليا

أما عن شعره الديني فأغلبه قد قيل في مناسبات دينية متعددة، كالمولد النبوي الشريف، الإسراء والمعراج، ويوم الهجرة، وله محاولات في الشعر الصوفي لكنه لم يكثر منها.

وكان إذا مدح، صدر مدحه عن عاطفة دينية أيضاً، ومما قاله في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم:

سطّر المدحَ عقوداً واهدِها ∴ لمقام المصطفى خير البشر
كل مدح لم يكن فيه فذا ∴ لأولي التقوى بمعناه نظر

وفي وقت ضيق وعسرة من سنة 1941، قام الشيخ عبد العزيز حمادة - مؤسس المعهد الديني في الكويت - بجمع تبرعات من أهل الخير وزعها على المحتاجين فكانت قضاء لحاجتهم وتفريجاً لكربتهم، فتأثر الشيخ عبد الله النوري بهذا العمل النبيل أيما تأثر ومدحه بقصيدة من أبياتها:

فلكم سعيت موفقاً ∴ وحمدت ربك في النهاية
والآن هذا الجمع يشكر ∴ إذ جمعت له الكفاية
في وقت عسر والجميع ∴ بحاجة الحاجات غاية

له في العلم قصائد تكرّس حبه له وتعلقه به، ولأنه مارس التعليم ردحاً من الزمن، فقد كان إحساسه صادقاً بما يبذله المعلم، وخاصة في ذلك الوقت، من جهد ووقت في سبيل تعليم وتربية النشء، وفي أوائل يناير سنة 1952 ألقى محاضرة في المدرسة المباركية بعنوان «تاريخ التعليم في الكويت في نصف قرن»، ختمها بقصيدة جاء فيها:

يا وارث الرسل الكرام ∴ ومرشداً من ضلّ سيره
يا ماحياً بالعلم ليل ∴ الجهل أن أطلعت فجره
الفضل أنت غرسته ∴ ووضعت للناشئين بذره
وجناه من طلب العلا ∴ ومن الراع سقاه حبره

كان شعره في السياسة نادراً، بل كان أميل إلى الوطنية والانتماء العربي والإسلامي منه إلى السياسة.

أخيراً، وباختصار كان شعره عذباً رقيقاً صادراً من القلب إلى القلب، كانت بواكير شعره تنم عن ملكته الشعرية منذ نشأته[1]

- **محمديات الشاعر عبدالله النوري:**

أما قصائده في المدائح النبوية، فهي تنم عن ثقافة إسلامية واسعة ومعرفة دقيقة بالسيرة النبوية ومقاصدها الشريفة، كما أنها تدل على تفاعل واضح مع المناسبات الإسلامية المتعلقة بها كالمولد النبوي والإسراء والمعراج والهجرة الشريفة، وهذا التفاعل الإبداعي لم يقتصر على الشعر وإنما تعداه إلى النثر من خلال كلماته وخطبه والتي كان يستدر البيان ليسفعه في هذه المقامات السنية فهو يقول مثلاً في كتابه محمديات في إحدى مناسبات ذكرى المولد الشريف:

في مثل هذا الوقت يعجز البليغ مهما أوتي من فصاحة لسان، وقوة جنان أن يستقصي ما يتطلب موقفه في تفصيل معاني، وسحر ألفاظ، وسمو إبداع، في وصف من لم يستطع الواصفون وصفه، ولا المادحون مدحه، وأن ما يحضرني الآن قول الزهاوي في قصيدة ألقاها في حفلة مولد سنة 1347هـ:

قالوا امتدح خير البرية أحمدا ∴ بقصيدة تشدو برفعة شأنه
فأجبتهم: ماذا أقوال بمدح من ∴ أثنى عليه الله في قرآنه

(1) الشيخ عبد الله النوري حياته ومؤلفاته، ص 41

وعلى كل فمن عدد موج البحر عد طويلا [1]

ومن خطبه الرائعة التي قالها بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف هذه الخطبة التي ألقاها في عام 1378هـ، والتي تفصح عن علمه ووعيه بمغازي السيرة العطرة ووعيه كذلك لمقاصد إحياء ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الخطبة:

الحمد لله عظيم الكرم، واهب النعم، موقظ الأمم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ينتقم للمظلوم ممن ظلم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الأمم. اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى كافة آله وصحبه. عباد الله اتقوا الله فإن تقوى الله خير زاد لمن تزوّد، وإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

أيها المسلمون: تطالعنا في هذا اليوم ذكرى عظيمة في قلوبنا، حبيبة إلى نفوسنا، عزيزة علينا. تلك هي ذكرى مولد الهادي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والعالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه يقيم لها في هذه الأيام حفلات تذكارية تقال فيها الكلمات والخطب، وتنشد فيها القصائد وتوزع فيها العطايا والهبات. وإنها بدعة أوجدها المسلمون لما ضعف شأنهم وذهب سلطانهم، في عصورهم الأخيرة، لعلها بما فيها من عظة وذكرى توقظهم وتستنهضهم لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

فمنذ أربعة عشر قرناً وصلت الأمور في جزيرة العرب وما حواليها إلى حال لا يستقرّ لها قرار ولا يطمئن لها ضمير. العالم متداعي، ترف وجفوة وإسراف وطمع وفقر، خمر وقمار ومتعة، ظلم وقسوة، تسخير الأقوياء للضعفاء، شعب قبائله متجاورة لكنها متنافرة متناحرة، ألسنتهم ناطقة، وشجاعتهم نادرة ولكن عقولهم قاصرة، تهب

---

(1) المحمديات، عبدالله النوري، ص 34

ريح الشر بينهم لأتفه الأسباب فتقتل الأبرار وتيتم الأطفال وترمل النساء ويتحكم العداء. تدانت عقولهم حتى عبدوا الحجارة وسجدوا لأصنام قطعوا حجارتها بمعاولهم وصوروها بآلاتهم ونصبوها بأيديهم، ثم قالوا إنها تدفع عنهم الشر وتجلب لهم الخير.

وقد اشتدت حاجة العالم إلى مصلح عظيم، واثق بربه مؤمن بدعوته، قائد ثقة يعيد إلى الإنسانية ثقتها بنفسها، واطمئنانها إلى مستقبلها، وقد أذن الله بإجلاء هذه الظلمة وكشف هذه الغمة لهداية هذه الأمة، ففي خير أمة من الأمم، وفي أفضل قبيلة من قبائلها، وفي أشرف بيت من بيوتها، وفي خير بقعة من بقاع الأرض، وفي أسعد يوم من الأيام، ومن أطهر الآباء والأمهات: ولد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون نوراً للعالمين يبدد عن البشر تلك الظلمات فيخرجهم منها إلى النور وليكون خاتماً لرسالات السماء، ومتمماً لمكارم الأخلاق.

ففي مثل هذا اليوم ولد عليه الصلاة والسلام، وعاش بعد مولده أربعين عاماً كان فيها مثال الخلق الكامل العظيم، والأمانة والصدق والعفة، والوفاء بالعهد، وبعد الأربعين أرسله الله تعالى للعالمين رحمة وسلاماً، وداعياً إلى توحيد الله وإلى مكارم الأخلاق. تجلى خلقه الكريم وصبره على الشدائد فيما احتمله صلى الله عليه وسلم منها في سبيل دعوته إلى الله، وبالإحسان الذي قابل به أهلها بعد نصره.

قام يدعو الناس إلى الله وإلى توحيده في عبادته، قام يدعو الناس إلى الله في مكة مجمع الأصنام وحصن الوثنية ومحج عبادها، يدعو إلى توحيد الله ونبذ ما سواه ويسفه عقول من اتخذوا الأنصاب والأصنام آلهة من دون الله، قام في دعوته وهو وحيد قد خذله حتى الأقربون إليه، قام في دعوته وهو فقير لا يملك إلا إيمانه بدعوته وإيمانه بتأييد ربه، قام بها وهو فرد ليس له غير ربه ظهير، قام وهو معدم لا مال ولا ثروة ولا عتاد ولا عدة إلا صبره وثقته بأن الحق معه.

قام بدعوته هذه في مكة يدعو قوماً أشداء أغنياء قد أخذتهم العزة بالإثم، ألفوا ما وجدوا عليه آباءهم واعتزوا بمالهم وسلطانهم وشجاعتهم ومكانتهم بين العرب في عموم جزيرتهم. استهانوا به أولاً، ولكنهم رأوا فيه عزيمة لا يتطرق إليها فتور، وقلباً لا يتسرب إليه يأس ولا خور. وإيماناً لا يؤثر فيه وعد ولا وعيد، وضعوا العقبات في طريقه، وسدوا السبل في وجه دعوته، وآذوه بكل أنواع الأذى، وتفننوا في تعذيب المستضعفين من أتباعه. كل ذلك وهو لا يزداد إلا ثباتاً على إيمانه وتمسكا بدعوته، حتى غلب حقه باطلهم، وعلت كلمته على كلمتهم، وأبدل الله وحدته أمة تعد بالملايين، وفقره ذكراً سيبقى في الآخرين، ويُتْمَه أسماً باقياً أبد الآبدين.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى{6} وَوَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى{7} وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى{8}﴾ (الضحى: 6 - 8)

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ{1} وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ{2} الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ{3} وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ{4}﴾ (الشرح: 1 - 4)

أقام الله به أمة عادلة رحيمة، أخرجت الناس من الضلالة إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفوضى إلى النظام، ومن الظلم إلى العدل، ومن العبودية إلى الحرية، ومن التظالم إلى الآخوة، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن التفاضل إلى المساواة.

جعل من الأعراب الجفاة رعاه الشاه والإبل: رجالا طهر الإيمان قلوبهم وصحح العلم عقولهم، فكانوا في الحروب قادة وكانوا في السلم سادة، وكانوا أمة خير، وأمة هداية، يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

عباد الله: بَحت أصوات الخطباء والمرشدين، فأين السامعون؟ وكلت ألسنة الوعاظ والناصحين، فأين العاملون؟

ومرت سنون تلو سنين ونحن نحتفل بمولد سيد المرسلين، فماذا أفادتنا الخطب والاحتفالات غير كلمات ذهبت أصداؤها في الهواء وكلمات وصلت إلى المسامع ولم تصل إلى القلوب.

أيها المسلمون: ما لهذا خُلقنا، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدنا أن نكون أمة أعمال لا أمة أقوال، يريدنا أن نعمل قبل أن نقول، وإذا قلنا فعلنا. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

أيها المؤمنون: أطيعوا الله ورسوله في اتباع سبيله الذي عبده لكم، واجعلوا كتاب الله سراجاً تسيرون على ضوئه في الطريق الذي فتحه لكم، فإنه والله لا حياة لكم إلا إذا سلكتم سبيل نبيكم، ولا حرية لكم إلا عن طريق دينكم ونبيكم، ولا سعادة لكم إلا بنصرة دينكم ونبيكم، ولا نجاه لكم إلا بتمسككم بكتابكم وسنة نبيكم، ولا عزة لكم إلا بالرجوع إلى ما جاء به نبيكم.

إن نبيكم محمداً صلى الله عليه وسلم جاءكم بالنور الوهاج، نور فتح به أعيناً عميا وآذاناً صماً، وخلص به قلوباً غلفا. ذلك النور هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فتحنا يوم عملنا به طريق المجد والهدى، والرخاء والغنى، والحرية والعلا.

الآية: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً{174} فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً{175} ﴾ (النساء: 174 - 175)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. (1)

(1) المحمديات، عبدالله النوري.

هذه الخطبة من خطب وكلمات كثيرة قالها الشيخ عبد الله النوري رحمه الله بمناسبة المولد الشريف، تنضم إليها خطب وكلمات أخرى قالها كذلك بمناسبات ذات صلة بالسيرة النبوية العطرة مثل الإسراء والمعراج والهجرة الشريفة، وقد استشعر فيها مسؤوليته الدعوية بوضوح، له فيها عينان عين على سيرة عطرة وتاريخ مشرف وتراث مجيد، وعين على واقع أسيف وتخلف وجهل يجتاحان العالم الإسلامي، يستدعي من الأولى ما يستنهض الواقع ويعزز القيم الإسلامية في مجتمعه وأمته.

أما شعره فقد حضرت فيه السيرة النبوية بقوة في أكثر من خمس قصائد من ديوانه «من الكويت»، والتي تتراوح في موضوعاتها بين ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وإسرائه ومعراجه وهجرته الشريفة.

• القصيدة الأولى:

في ذكرى الهجرة النبوية

بمناسبة يوم الهجرة افتتاح سنة 1362 هجرية قلت هذه القصيدة وقد ألقاها أحد تلامذة المعهد الديني:

فرح عم أهالي يثرب هل ثم داع
وبدأ البشر على أهل قبا أشرف قاع
وسرور شاع في أهل وهاد وتلاع
وهناك الأنس والأفراح كانت كالمشاع
والجواري ضربت بالدف من غير انقطاع
كن ينشدن نشيداً مطرباً عذب السماع
طلع البدر علينا من ثنياب الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
أبشري يثرب تهناك التهاني لن تراعي

***

ولك النعمى أتاك الحظ بالخير الجماع
وضح الحق وقد بان الهدى للإتباع
ها هو المختار قد أقبل من خير البقاع
وبأمر الله يدعو مرشداً للانتفاع
وحد الناس لدين نوره ساني الشعاع
ودعاهم لأتلاف ونهاهم عن نزاع
آمراً بالخير كل الناس مرعي وراعي
ناهياً عن كل ما يجلب من ضر شناع
قائلا كونوا عباد الله إخوان اتباع

ومروا بالخير تنجوا من هوان وضياع
لا تكونوا شيعاً تمسوا طعاماً للسباع
إنما العلم حياة مانعى العالم ناعي
بينما الجاهل يشقى وهو من سقط المتاع
دافعوا فالعز للأمة يجنى بالدفاع
يا بني قومي إلى المجد إلى المجد سراع
مجدكم دينكم هيا احفظوه من ضياع
عاضدوا حفاظه لا تهملوهم للتداعي
وفق اللهم قومي لسبيل الاجتماع

***

القصيدة الثانية:

ذكرى المولد النبوي

ألقيت هذه القصيدة في مسجد المديرس. وكان الناس في ضائقة شديدة من الحاجة وسوء المعيشة. فلا رز ولا تمر ولا بر. وقد كان أكل الناس خبز الشعير.

" ذكر المولد النبوي سنة 1362هجرية "

يا ليلة أبصرت لم تمح آيتها .:. من نورها أبصرتْ أمَّ القُرى بُصْرى
وكل عام وللإسلام محتفل .:. فيها يعيدون للهادي به الذكرى
وصبحها العيد تلقى الأوجه ابتسمت .:. أنساً وعمتهم من نورهم بشرى
في مثلها ولد المختار من مضر .:. من أنقذ الناس من عسرى إلى يسرى
ضاءت بوجه أنار الكون طلعتُهُ .:. وجه البشير فقل للعرب يا بشرى
أعظم به منقذاً للناس من هلك .:. أكبر به مصلحاً أشرق به بدرا
فمولد المصطفى عيد لأمته .:. تحيي به ذكره أعظم به ذكرى
لأن مولده نور ومنشؤه .:. رشد ومبعثه للفوز بالأخرى
بمبعث المصطفى إنقاذ أمته .:. من فرقة شتتت آراؤهم دهرا
فوحد الدين إذ كانوا به نحلاً .:. يدعون لا مالكاً نفعاً ولا ضرا
ذا عابد شجراً هذا دعا حجراً .:. ذا ربه صنم هذا دعا بدرا
أتى فأرشدهم لله وحدهم .:. بالدين أنقذهم فيه من الضرا
وقال لا تشركوا بالله واتحدوا .:. ولا تعادوا تذلوا للعدا قهرا
دعا إلى العلم كي يعلوا به فعلوا .:. به ونالوا مقامات به كبرى
فصير العرب منهم أمة حكمت .:. شرقاً وغرباً وسادت أهلها دهرا
فالعلم يرفع بيتاً لا عماد له .:. والعلم يعلو بشعب صانه قـــــدرا
والعلم يهدي إلى الحق الصراح ولا .:. يرضى لأهليه قط السوء والشرا
لذاك أول ما جاء النبي به .:. إقرأ وأيدها من بعد بالإسرى
أملى عليهم دروس الاجتماع لكي .:. يعيش كلٌ سعيداً كامل السرا
حث الجميع على نفع يعمهم .:. لكي تعمهم من خيره البشرى
بث السلام بهم حث الجميع على .:. وفق يقيهم شرور الفرقة العسرا

والمسلمون بها كالجسم يسقمه .:. عضو يشاك فيشكو كله الضرا
والمسلمون كبنيان وقوتـــــه .:. في كل أجزاءه الكبرى مع الصغرى
والمسلمون كفرد واحد فلذـــا .:. لا فرق بين فقير والذي أثرى
وأكمل الناس أيماناً وأفضلهم .:. أعلاهمو خلقاً أوفاهمو بِـــرا

***

تسعون عاماً بها دانت لأمرتهم .:. ممالك الأرض وانقادت لهم ذعرا
إن يدع داعي دمشق للصلاة يجب .:. من كان في الهند أو في فاس أو مصرا
أو يصدر الأمر فيها ذو إمارتها .:. أطاعه القوط حتى صينها الصفرا
يقول هل سحاب الغيث أين تشا .:. فالملك لي وسأجبي منك لي العُشرا
فالمسلمون علوا وأمتد ملكهموا .:. لما أطاعوا لهذا المصطفى أمرا
بالعدل سادوا وبالأخلاق أحسنها .:. بالصدق قد رفعوا للأمة القدرا
لو أن أمتهم مارت على سنن .:. قد سنه لهم لم يشتكوا فقرا
لكنهم نهجوا في غير منهجه .:. ضلوا فلم يبصروا شمساً ولا بدرا
أودى بهم طمع أزرى بهم جشع .:. أصابهم هلع أو داهموا قبـــرا
هذا الفقير فهل قاموا بحاجته .:. هل أشبعوه لكي يسديهم شكرا
هذا الضعيف يناديهم بمسكنة .:. هل أفسحوا نحوه من جودهم صدرا
هذا اليتيم فهل واسوه كي يصلوا .:. إلى مقام الصفا في الجنة الخضرا
هذا الضرير وهذا الشيخ من لهما .:. كلاهما كاد من أثوابه يعرى
كلاهما يشتكي جوعاً وليس له .:. ما يملأ البطن أو ما يستر العورا
هذا الغني أأصغى نحو جارتـــــه .:. فمدها بنوال أم رأت جـــــورا
هذي عجوز أصاب الدهر مهجتها .:. بفقد واحدها ترجوهم بـــــرا
أنا لها نائل من كف ذي ســـــعة .:. أم أنها نكصت تشكو الأذى المــــرا
هذي الأرامل أشقاهن فقد فتى .:. يعيلهن قوياً صادقاً حـــــرا
هل نلن من صادق الإيمان نائلة .:. أم عدن يملكن لا نفعاً ولا ضرا

***

أهل اليسار أليس الله فضلكم .:. على الكثير بأن أسدى لكم وفرا
أهل اليسار أهل ترضونها دعة .:. لكم وللبؤساء الجوع والشرا
أهل اليسار وإن الناس معظمهم .:. يشكون في العيش ضيقاً حالة عسرا

جودوا عليهم أليس الله قال لكم .:. إن تقرضوني أضاعفه لكم أجرا
جودوا ولا تبخلوا فالبخل آخره .:. ضر وتنتج عقباه لكم خسرا
إصغوا لأصواتهم في سد حاجتهم .:. يرضى إله الورى عن كل من برا
وعنه يرضى رسول الله وهو له .:. يكون في الحشر من أهواله سترا
بالليل مولد خير الخلق عدت لنا .:. بالأنس باليسر بالخيرات بالبشرى
رباه نشكو إليك الحال مبدعنا .:. يا عالم السر والنجوى بنا أدرى
فابدل العسر يسراً والضنى دعة .:. وضيقنا سعة ضراءنا سُــــــرا

***

• القصيدة الثالثة:

ألقيت في احتفال المعارف بالمولد النبوي الشريف في المدرسة المباركة سنة 1365هـ

"جمعت خصال المجد"

وما كنت ممن يرفع الشعر ذكره ∴ ولكنما في مدحك الشعر ينشر
عليك إله العرش أثنى بقوله ∴ ثناء مدى الأجيال في الذكر يذكر
جمعت خصال المجد ناش ويافعاً ∴ وكهلاً ومبعوثاً رسولاً تبشر
خلقت لإرشاد الأولى ضل سعيهم ∴ وكنت إلى ما يسعد الناس تظهر
فأنت رسول الحق للحق ناصر ∴ وأنت نبي الصدق بالصدق تأمر
ولما علمت الجهل للشر جامعاً ∴ أتيت بنور للعقول يبصـــــر
أتيت بدستور به النفع واضح ∴ به واجب المجموع والفرد يذكر
أمرت بتوحيد وجئت بوحدة ∴ تلم شتاتاً ناره تتسعـــــر
وقلت لنا كونوا جميعاً لتسعدوا ∴ وإن تتعادوا قد تذلوا وتقهروا
ونبهتنا أن النفاق كجذوة ∴ فلا تغفلوا عنه ولو كان يصغر
وجئت بما ساوى فلا فضل للغنى ∴ بل الفضل للإخلاص فهو المقدر
على البر والتقوى أمرت تعاونوا ∴ وهذا لنفع الكل لاشك عنصر
به رفعة الإنسان فرداً وأمة ∴ به عزة الأوطان فيه التحضر
به ما لو أنا اليوم حقاً بما به ∴ عملنا لكنا اليوم في الناس نأمر
ولكننا واسوء تاه لحالنـــــا ∴ نقل لدى الأفعال بالقول نكثر
كبار إذا ما عد يوماً كبارنا ∴ ولكننا عند العظائم نصغر
وأوطاننا في الشرق والغرب أشغلت ∴ ثلاثاً من القارات فيهن تعمر
ولكنها ضاقت علينا برحبهـــا ∴ وهل تسع الأوطان من لا يسيطر
لنا ثروة أن عد أهل ثرائنـــا ∴ ولكن إلى ما يسعد الشعب نفقر

كأنا سوام في البراري رعاتنا ∴ تصرف فينا كيف شاء المسيطر
مرضنا بداء الجهل والجهل قاتل ∴ وللجهل داء للسعادة يقبــــــــر
عواقبه ذل شقاء وفرقــــــــة ∴ بها الشعب أعمى في الهوان مخدر
فهل من نطاسي يلم بدائنــــــا ∴ فيسعفنا في طبه ويطهــــــــر

***

- **القصيدة الرابعة:**

بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف لسنة 1371 هجرية، أنشدت هذه القصيدة في احتفال دائرة الأوقاف العامة به في جامع السوق الكبير.

"من ذكريات المولد"

ترنم وغن غناء الشجي ∴ ودع ذكر عزة والموصلي
وأخبار عبلة مع عنتر ∴ وأشجان ليلى مع العامري
ولا تذكرن لي كؤوس الطلا ∴ وخل نسيب الفتى القرشي
وأنشد لمطلع فجر الهدى ∴ ومشرق شمس العلا اليعربي
ومولد خير الورى أحمد ∴ رسول هدانا السبيل السوي
وغن بمن هام فيها بنوها ∴ سوى القريب لها والقصي
بصدر رحيب وخد جميل ∴ ووجه كمرأي الأحبا سنى
ولعت بحبي بلاداً سماها ∴ سموي وليس لها من سمي
لها كل قلبي فدع عنك عتبي ∴ وإعلان حبي لها والخفي
رباها غرامي نقاها هيامي ∴ وفتنة كل ولي تقــــي
فداها قواي ومنها شفاي ∴ وفيها شقاي لذيذ شهي
ثراها ثرائي صفاها صفائي ∴ هواها هواي الأنيق البهي
بلاد العروبة يا ما أحيــــلا ∴ مقام العروبة هذا الزكي
بلاد فدتها نفوس كــــرام ∴ لتدفع عنها عداء الشقي
وبل ثراها دماء الأبـــاة ∴ ودافع كل أبر كمــــي
فعزوا بها وهي عزت بهم ∴ وقطف الدفاع لذيذ جنى

***

ترنم بمدح دعاة الصلاح ∴ بنظم رقيق طليق الروي
بمدح الأباة الكرام الكماة ∴ حماة الديار من الأجنبي
وخل بلابل روض العقول ∴ ترنم فيه بصوت شجي

فتبعث في اشتياقاً إلى ∴ مكان حرام وبيت علي
وذكر فذكراك تحي القلوب ∴ وتصلح كل جهول غوي
ومل بي قليلاً شمالاً إلى ∴ مدينة يثرب دار النبي
ومتع بمنظر سكانها ∴ سواد عيوني وقلبي الشجي
ترنم على لابتيها بذكر ∴ عتيق وذكر الفتى العدوي
وغن على حرَّتيها بذكر ∴ الفتى عامر وبسعد الأبي
وذكرى لعيدين صارا بها ∴ لنصر بيرموك والقادسي
ومجِّد زماناً بها قد مضى ∴ يضيء بنبراسه الأخوي
وواصل بسيرك لي مقدساً ∴ فشوقي إلى القدس غير خفي
لعلي إذا جئت ساحاتها ∴ تذكرت تاريخ قومي العلي
تذكرت صلحاً على أرضها ∴ يمضيه فاروق والناصري
وعرج على الشام وأنزل على ∴ دمشق وغن الغناء الشهي
بذكري زمان مضى لكرام ∴ بنوا ثم عرشاً لهم أموي
وكم مهرجان بها قد أقيم ∴ لموسى وفتح له مغربي
ونصر لطارق في سبتة ∴ وفتح له لنشهد ثم أندلسي
وغرب بنا نحو وادي الحياة ∴ لمصر لنشهد ثم فتح الكمي
أبي العاص عمرو وإنقاذه ∴ بني القبط من ظلم باغ دني
وعرج بنا نحو فسطاطه ∴ على شاطئ النيل بعد العشي
تجد فيه عمراً أخاً مخلصاً ∴ أميراً مطاعاً فتى عسكري
ولا تنس بغداد دار الرشيد ∴ وصرحاً علياً بها قد بُنى
بنى آلُ عباس صرح الفخار ∴ هناك بعصر لهم عسجدي
أبو جعفر واضع أســــه ∴ وهارون شيده عالمـــــي
ومأمون زخرفه بالعلـــوم ∴ وكل فتى كامل ألمعـــي

***

أباة لهم ذل كل العتاة ∴ فلا بغي ثم على عربي
ولا عز إلا لداعي الصلاح ∴ ولا فضل إلا لكل كمي
ولا رأي إلا لأهل الكمال ∴ وعقل رجيح وقلب نقي

***

تطلع إلى شاشة الذكريات ∴ ترى رسم مجدك فيها جلي
وسفر الزمان بآثارهـــــم ∴ ـ ومجد العروبة ـ سفر بهي
فما بال أبنا بناة صروح ∴ الفخار إعتراهم وبال وبي
أيرضى الخُنوع سليل العزيز ∴ أيرضى المذلة نجل الأبي
أيخشى النعامة شبل الأسود ∴ أيخنع للذلة ابن الكمي
أثمة داء دهاهم وبيل ∴ أما ثم آس لهذا الدوي
أما ثم من يوقظ الراقدين ∴ فقد بان صبح الحياة الوضي
أما ثم من يرشد التائهين ∴ فهذا سبيل الرشاد جلي
أما ثم من ينقذ الهالكين ∴ فشاطي السلامة طعم وري

***

دعاة الصلاح لكم دعوتي ∴ أقيموا لكم صرح فخر علي
فروح الجدود يناديكم ∴ ألا انهض لمجدك يا عربي
وكافح فأن الحياة كفاح ∴ ولا فوز فيها لغير القوي
وقوة جندك بالاتحـــــاد ∴ وآمن بأنك شعب قـــــوي

***

بلادك تشكو السقام الأليم ∴ وأنت بدفع بلاها حري
أصمت مسامع أبناءها ∴ تقول إلي أنهضوا أي بني
إلي سراعاً فقد مسني ∴ بلاء أتاني به الأجنبي
فماذا دهاكم أصماً أنادي ∴ أبكماً أكلم أم ثم عي
وما لي أراها كنوزاً تبذر ∴ في غير صالحي الموطني
وما لي أراها عروش ملوك ∴ بصرفها رأي غير خفي

***

لقد أصبح الناس فالتنهضوا ∴ فما النوم يصلح للعربي
وإن الرقاد شعار العبيد ∴ وإن المذلة شأن الدني
وديك الصباح بعذب الصداح ∴ يصيح إلى العز يا ابن الأبي
ألا انهض وغنى الغناء الشهي ∴ وجدد لمجدك صرحاً علي

***

- **القصيدة الخامسة:**

إن الحياة بذلة عيش الردى

يا شهر إسراء النبي محمد ∴ فاخر بهذا العام شهر المولد
عيدان: عيد للنبي ووحـــــدة ∴ يسعى لها البطلان سعي مجدد
غرس الأوائل غرسها بجهادهم ∴ ونضالهم، وبعزمة لم تبرد
مصر وسوريا كيان واحـــــد ∴ بكفاحه ودفاعه والمقصد
فاليوم لا بغضاء تفرق بيننا ∴ الشر ولى سع فساد المفسد
القاهري يقول شام موطني ∴ وحما تقول سعود طنطا مسعدي
وغداً ستنضم الشعوب جميعها ∴ ويصافح السوري مسقط باليد
فشمالنا لجنوبنا وعراقنا ∴ لمراكش بسهولها والأنجد
عربية بلسانها وبروحهاـ ∴ ودمائها وبدينها والمقصد
وجميعهم في نهضة عربية ∴ رفضوا حياة الذل للمستعبد

***

هذا العدو بمكره ودهائه ∴ دفع الشعوب إلى خصام أنكد
وإذا البلاد غنيمة وغزاتها ∴ قوم لئام الأصل خبث المولد
وإذا بهم أمم تفرق بينهم ∴ شتى الحدود، ولا سميع لمرشد
واليوم أشرق صبحها وظلامها ∴ ولى وعاف الشعب طيب المرقد
تلك الدماء بسوريا وجزائر ∴ وعلى ضفاف الرافدين بمشهد
وببورسعيد وتونس وبمغرب ∴ وبذلك البلد الشهيد الموأد[1]
سفكت لطرد الغاصبين عن الحمى ∴ ودعت لأخذ الثأر أجيال الغد
قالوا اطردوا المحتل عن أوطناكم ∴ لن تسعدوا والله إن لم يطرد
والمخلصون أولوا المواقف من رأوا ∴ أن الحياة بذلة عيش الردى

(1) البلد الشهيد الموأد: فلسطين.

***

من قائل لذيول الاستعمار في ∴ أوطاننا بوءوا بسوء المقصد
حكتم حبائلكم فمزق حوكها ∴ شمل تجمع ضد عاد معتدي
حالفتم ضد الشعوب عدوها ∴ كي تحكموها في حمى المستعبد
فهم إذا حكموا عبيد حليفهم ∴ وهم إذا نهلوا فأقبح مـــــورد
وشقيهم يشقى لخيبة سعيه ∴ الماء راق وعونه لم يصطد

***

وأبن لإسرائيل إن زوالهم ∴ آت ولن ترعاه نجدة منجد
وغداً تطهر أرضنا من رجسهم ∴ ويعود أهل الدار بعد تشرد
فعتوها قاض على أطماعها ∴ وفسادها في الأرض شر مبدد
وغداً سيدفعها إلى بحر الفنا ∴ قوم ألو بأس شديد مرعد
قوم إذا انتسبوا فأمة يعرب ∴ وهم إذا افتخروا فجند محمد

***



الفصل الثامن

الشاعر / عبدالله سنان

(1328- 1405هـ/ 1910 - 1984م)

- **حياته:**

عبد الله سنان المحمد. أديب، شاعر، إداري. ولد بالكويت، وأدخل الكتاب حتى حفظ بعض أجزاء القرآن.. ثم أنتقل إلى المدرسة الأحمدية لمدة ثلاث سنوات، عين بعدها مدرساً بمعارف الكويت.. ثم ترك التدريس ليمارس التجارة.. وأثناء الحرب العالمية الثانية كلف بالعمل في إدارة التموين... إلاَّ أنه ضاق ذرعاً بهذا العمل فتركه وسافر إلى الهند ليعمل محاسباً لدى أحد التجار من أبناء الكويت، وقد أقام هناك أربع سنوات، عاد بعدها إلى الكويت حيث أسندت إليه وظيفة إدارية بوزارة الصحة.. ثم طاف بين دوامة الوظائف حتى عام 1969م ليطلب بعد ذلك إحالته على التقاعد. وكانت آخر وظيفة اضطلع بمهامها وظيفة مدير الشؤون الإدارية بمديرية الأوقاف والشؤون الإسلامية.

افتتح مكتبة أدبية يقوم بإدارتها بنفسه. وهو أحد الأعضاء البارزين في رابطة الأدباء، وأحد أعضائها المؤسسين. وقد مثل الرابطة في عدة مؤتمرات أدبية، عربية وغير عربية. وكان يزود الصحف والمجلات بقصائده بين حين وآخر.

له: «نفحات الخليج»، ديوان شعر، وهو عنوان عام لمجموعات شعرية هي: «بواكير» ط 1983 و«الله والوطن» ط 1983 و«عمر

وسمر» مسرحية ط 1983. صدر فيه كتاب بعنوان: «عبدالله سنان ومختارات»، بقلم خالد سعود الزيد وعبد الله العتيبي[1].

- **القصائد الدينية عند عبدالله السنان:**

قال في ديوانه «الله... الوطن»: القصائد الدينية تحتل حيزاً خاصاً بها في أول الديوان... فالله سبحانه وتعالى خالق الإنسان ومانحه الحياة، والوطن يقدم للإنسان متطلبات هذه الحياة وأسبابها، هما قمة الوجود الإنساني وذروة كل شيء[2].

هذه كلمات الشاعر في مستهل ديوانه يقر بالمقام السامي الذي تحتله القصائد الدينية في إنتاجه الأدبي، ففي ديوانه أثر بارز لهذه الروح الدينية حتى لتستحيل بعض قصائده إلى تسابيح خاشعة ومناجاة مؤمنة.

يضاف إلى هذا ما يجده قارئ ديوانه من عاطفة دينية وإيمان أصيل في نقده لبعض مظاهر الإلحاد والفسق والانفلات الأخلاقي أو التعدي على حرمات الله كما في قصيدته المرائي أو رده على الملحد في قصيدته الملحد.

تأمل في هذه الومضة التي قام فيها الشاعر واعظاً بتقوى الله.

عليك بتقوى الله تستوف أجرها ∴ ففسق الفتى داء بغير علاج
فللموت كأس ليس فيها لذاذة ∴ ستشربها يوماً بغير مزاج[3]

وفي العصر الحديث ظهرت حركات فكرية ومذاهب ضالة شككت بكتاب الله تعالى فقد اطلع الشاعر على مثل هذه الدعاوى والآراء الضالة فاستنكرها وحذر منها في عدد من قصائده ومقطعاته ومنها قوله:

---

(1) معجم الشعراء، الجبوري، (ح 3 /ص 254).
(2) ديوان الله الوطن، عبد الله سنان، ص 5.
(3) ديون الله الوطن، عبد الله سنان، ص 13.

تجنب كلام الله والخوضَ حوله ∴ ومن طبعه الإلحاد بالدين والأفك
فليسوا على شيء بما قد تفوهوا ∴ وليس كتاب الله يطرقه شك[1]

وقد وجدت أن من أبرز مظاهر التوجه الديني لديه هو غيرته على دينه وتشريعاته ومقدساته، ففي عام 1979م لما اقتحمت فئة ضالة المسجد الحرام وقتلت الأبرياء، وهي حادثة معروفة ظهرت غيرة الشاعر الدينية بكل وضوح من خلال قصيدته الفتنة الموؤورة وفيها برزت ثقافة الشاعر من خلال اقتباسه من القرآن الكريم كما ظهرت ثقافته في التاريخ الإسلامي ومنها يقول:

تعالت إلى الرحمن بالدعـــوات ∴ قلوب إلى الإسلام منقطعـــات
وهبت فلول المسلمين لدينـــها ∴ زرافات تدعو الله في الصلوات
بأن يحفظ البيت العتيق من الأذى ∴ وكعبته الغراء والشرفـــات
وزمزم والركن اليماني والصفا ∴ ومروته من تلكم النـــزوات
أبى الله إلا أن يتمم نـــوره ∴ ولو كرهت مسحوقة الجبهات[2]

واقتباسه واضح من قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف: 8)

وهذا الاقتباس من القرآن الكريم يؤكد على الثقافة القرآنية التي يتمتع بها الشاعر عبد الله سنان، وللشاعر مقطعات شعرية قد بدا فيها تفاعله مع القرآن الكريم وتأثره بالجو القرآني لآيات معينة من القرآن الكريم كقوله في عظمة القرآن:

لا عجيب إن كان منا ابن سعد ∴ فالقرآن الكريم أعطى دروسا
اقــرأ الآية الكريمة فيـــها ∴ (إن قارون كان من قوم موسى)

وقوله عن فطرة الله تعالى ما ينم عن وعيه الديني وفلسفته في

---

(1) ديون الله الوطن، عبد الله سنان، ص 18.
(2) ديون الله الوطن، عبد الله سنان، ص 19.

الحياة والتي هي انعكاس لهذا الوعي:

هذه الدنيا ومـــــا ∴ تملكه في ضفتيهـــــا
فهو في الآخرة القصـــ ∴ ـــواء موجود لديها
ليس للإنسان كالتقوى ∴ بكلتا وجهتيهــــا
كل نفس لم تكـــن ∴ تملك شيئا في يديها
كلا ما يصدر منهـــا ∴ فهو مردود إليهـــا
(فطرة الله التـــي ∴ قد فطر الناس عليها)

مقتبس من قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ (الروم: 30)

وله أبيات منبثقة من صحيح الخطاب الديني، عقد فيها حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم مثل في هذه الأبيات رؤيته للعمل الصالح في ضوء الحديث الشريف، والعقد عن البلاغيين هو: أن ينظم الشاعر نثراً لغيره. كقول أبي العتاهية:

ما بال من أوله نطفة ∴ وجيفة آخره يفخـــر

عقد أبو العتاهية في هذا البيت قول علي رضي الله عنه: وما لابن آدم والفخر، وإنما أوله نطفة وآخره جيفة.

فالشاعر عبدالله سنان عقد في أبياته التالية قول النبي ﷺ في حديثه الشهير: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إسباغ الوضوء على المكارم وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) (رواه مسلم).

أخذ الشاعر هذا المعنى ليبني من خلاله تصوره عن العمل الصالح فقال:

أتدري ما الذي يمحو الخطايا ∴ وإن كانت ذنوبك كالنتوء
يد لله في الصدقات تجـــري ∴ على الفقراء تطعم في هدوء

وسعيك للمساجد كل فرض ∴ وإسباغ الوضوء على الوضوء
فهذا ما يجنبك الرزايـــا ∴ ويبعد عن حياتك كل سوء

والاتجاه الديني عند شعراء الكويت لا تكاد تخطئه عين الراصد لوفرة الدلائل عليه من شعرهم وأن تفاوتت قيمته الأدبية، فالأديب فاضل خلف وجد اتجاهاً دينياً بيناً في شعر الشاعر عبد الله سنان حيث كتب عنه يقول عن الاتجاه الديني لديه:

تتجلى الاتجاهات الدينية في شعر عبد الله سنان في قصائده التي يعبر فيها عن إيمانه العميق وثورته ضد التيارات المادية والفساد فوق الأرض. إن هذه القصائد تعد نبعاً من تيارات الأدب الإسلامي الذي تولى ريادته شعراء تركوا آثاراً إنسانية وفكرية في تاريخ الأدب الإسلامي مثل سيد قطب وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمود شوقي الأيوبي وغيرهم.

عرف شاعرنا عبد الله سنان الإله الحق، حق معرفته، وقرأ في علم البدء الذي هو بداية معرفة إيجاد الخليقة وكيفية بدياتها... وعلم أن الأشياء كلها كانت موجودة في علم الله منذ الأزل القديم الذي لا بداية له، ثم تفضلت الحضرة الإلهية عن المشيئة فخصصت الممكنات التي ستوجب من حضرة العلم الأزلي بالكيفية التي ستوجد بها من زمان ومكان، ومن صورة واضحة المعالم من حدود الهيئة، ثم تفضلت حضرة القدرة العليا فأوجدتها وأظهرتها معنوية كانت أو مادية، وعليه فكل كائن من عالم الروح أو المادة بدايته ساعة إيجاده وإبرازه إلى عالم الظهور الروحاني أو الحسي. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: 40).

أدرك عبد الله سنان كل هذا ووعاه ومن ثم جاءت مناجاته على هذا النسق:

يا من يقول إذا قضى للشيء كن ∴ فيكون قبل تحرك الأبصـــار
رحماك إن الهم أقلق راحتـــي ∴ وشربت منه مرارة الأكـــدار

وكان إذا الهم أقلقه وانقبض صدره لشدة ضيق الأسباب يردد سورة الانشراح ثم يكرر ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً ﴾ (الشرح: 6) مراراً بعدها يتجه إلى ربه داعياً ويقول:

يا بديع السماء والأرض أنزلت ∴ من الآي للهداية ذكـــــرا
فرج الهم عن فؤادي فإنـــــي ∴ بين فكيه واجعل الأمر خيـــرا

وكانت تأسره زهوة المساجد في الشهر الفضيل رمضان فيترنم منتشيا فرحا بقدومه قائلاً:

لمن المساجد فتحت أبوابها ∴ ولمن تلألأ بالضياء قبابها
لك يا حبيب الصائمين وفيك يا ∴ شهر التقى يرجو الرضا أربابها

وهو يحتفي بالمناسبات الإسلامية والشعائر الإيمانية في شعره فهو يرحب في رمضان بنشيد بهيج إذ يقول

وافى بنور ضيائـــــــه ∴ يختال في لألائـــــــه
وافى يبدد ظلمـــــــه ∴ الديجور حسن سنائـــــه

وقوله من أخرى:

رمضان يا شهر العبادة والتقى ∴ بك - إي وربك - تكثر الألاء
أنت الذي تشفى القلوبُ بقربه ∴ لك ما حييت محبة وولاء

ولـه مناجـاة لله تعـالى فـي أشـعاره يسـتغفر فيهـا ربـه ويستشـعر ضعفه ويلوذ فيها إلى حماه، صفحة مشرقة من صفحات الإيمان عند الشاعر، يمزجها بالشعر الخاشع وبأنغام اليقين الراسخ في ذاته بمعية الله الرحيم له في همومه ومصاعب يقول:

أنت يا راحماً رحيماً إذا قدرت ∴ عسراً أتبعته منك يســـــرا

• المدائح النبوية في شعره:

للشاعر عبد الله سنان عدة قصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أو في سيرته العطرة تبرز فيها:

1) ثقافة الشاعر الإسلامية وتحديداً في السيرة النبوية الشريفة فهو قارئ واع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم مدرك لمقاصدها وأسرارها.

2) يظهر في قصائده وعيه بواقع أمته وشعوره بالمسؤولية الأدبية، فهو يتفاعل مع المناسبة مستشعراً جلالها لكنه يستدعيها لإنهاض واقع أمته المريض.

اخترت من دواوينه ثلاث قصائد:

* الأولى في «مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ».
* الثانية في «الإسراء والمعراج».
* الثالثة في «الهجرة النبوية الشريفة».

- **القصيدة الأولى:**

" مولد المصطفى "

اليوم أشرق في ظلمائها نور ∴ للكون وانقشعت عنها الدياجير
نور أضاء على الدنيا فأبهجها ∴ وانهد للجهل صرح والهوى سور
وانشق إيوان كسرى واللهيب خبا ∴ وراح يستنشق الأنسام مغمـــــور
وماء ساوة قد غارت منابعه ∴ لمولد المصطفى وازدانت الحــــور
وأسفرت من قصور الشام أشرفها ∴ وحل في صفحة التاريخ تغيـــــير
وقد تنفست الدنيا بساكنها ∴ كما تنفس بعد السقم مصدور
دنيا الجهالة قد سدت نوافذها ∴ ولم يعد بعدها للحق تزويــــــر
جاء الأمين الذي سارت نبوته ∴ في الأرض وانطلقت فيها التباشير
وشاء ربك أن يعلي منائرها ∴ ويعتلي فوقها لله تذكـــــير
لقد هوى هبل فوق الثرى قطعا ∴ وحل في منصب الأوثان تدمير
في الأرض نور على الآفاق منطلق ∴ وفي السماوات تهليل وتكبـــــير
وجاء جبريل بالآيات منزلة ∴ على النبي بها هدي وتيســــير
وناوأته قريش رغم ما علمت ∴ من صدق دعوته وأزور مغـــرور
وراح يدعو إلى الإسلام منطلقا ∴ وفي يديه كتاب الله دســــتور
وعمت الأرضَ طرا رسل دعوته ∴ تبثهـــــا نخبة غر مغاويــــــر
حتى سرت في بقاع الأرض قاطبة ∴ تمحي الضلال كما تسري الأعاصير
هو النبي الذي ترجى شفاعته ∴ يوماً به للتنادي ينفخ الصور

***

• **القصيدة الثانية:**

المسلمون اليوم

بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً محشوة بالأحداث الجسام التي لا تعد ولا تحصى، منذ هجرة الرسول الأعظم رجل الدنيا وبانيها بدينه القويم، سيدنا محمد النبي الأمي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين.

قف برهة في الغابريـــــن ∴ في السابقين الأولـــــين
في الباعثين الـــــروح في ∴ الصحراء في قلب القطين
في الراسيات الشـــم في ∴ بطحاء مكة في الحجون
قف بين آثار وأبينـــــة ∴ سمت فوق الظنـــــون
قف خاشعاً فلعلـــــها ∴ تنبئك عن سر دفـــــين
سلها تحدثك (الخبيـــــرة) ∴ فالحديث له شجـــــون
سل عن رجال بارحـــــو ∴ ها في ركاب الظاعنين
سل عن رجال أظهـــــروا ∴ فجر الهدى للحائريـــــن
عن صفوة كانت نجو ∴ ماً ترشد المتوسمـــــين
أدت أمانتها بإخـــــلا ∴ ص لتهدي الآخريـــــن
تركت لنا تاريخـــــها ∴ ملئت صحائفه المئـــــين
ألـــــف وأربعمائـــــة ∴ ختمت بأحداث السنين
بدأت بطلعة سيد الكـــــو ∴ نين خير المرسلـــــين
وبهجـــــرة ميمونـــــة ∴ نسفت قلاع المشركـــــين
وبدعوة شملت بقـــــا ∴ ع الأرض تنسخ كل دين
شهـــــدت بوحدانيـــــة ∴ لله ذي العرش المتـــــين
بدأت بإيقاظ الــــذ ∴ ين على الضلال مرابطين
وأتت على تحطيم أصـــــنا ∴ م العتـــــاة الظالمـــــين
وتـــــلألأت أنـــــوار د ∴ ين الله واتضح اليقـــــين

وتقشعت سحب الظـــــلا ∴ م وأسفر الحق المبـــــين
نور أضـــــاء فأشرقـــــت ∴ منه المدائن والحصـــــون
نور يزيـــــل رواســـــباً ∴ تعشي عيونَ المفسديـــــن
يغشى النبي المصطفـــــى ∴ في حضرة (الروح الأمين)
يتلو عليه من الســـــما ∴ ء كتاب رب العالمـــــين
متفرقـــــاً ومفصـــــلاً ∴ ومبيـــــناً للعاملـــــين
فتطلعـــــت أمم وشـــــا ∴ هت أوجه المتجبريـــــن
فترصـــــدوا بسيوفهـــــم ∴ وتربـــــص المتربصـــــون
حتى إذا ما فوجئـــــوا ∴ بعلـــــي عادوا خائبـــــين
وارتد قائدهم وخـــــف ∴ حنين في يده اليمـــــين
ومشت لنشر الديـــــن زا ∴ حفة فلولُ الفاتحـــــين
وعلى خطى خير البـــــر ∴ ية والهداة الراشديـــــن
كأبي عبيدة وابن وقـــــا ∴ ص وخالدها المكـــــين
باعوا الحياة بأبخـــــس ∴ الأثمان وابتاعوا المنـــــون
وعلى خطاهم تابِعـــــون ∴ وتابِعـــــون وتابِعـــــون
ساروا يحثون المطـــــي ∴ الحمر آساد العريـــــن
«موسى» و«طارق» و«ابن نـــــا ∴ فـــــع» والكماة البارعين
أسد ضراغمة على الخيـــــل ∴ الأصائـــــل والسفـــــين
طويت لهم أرض المشـــــا ∴ رق والمغارب مدلجـــــين
أرسوا قواعد دينهـــــم ∴ وعلت جباه لا تهـــــون
وبنوا صروح المجد فـــــو ∴ ق جماجم المتطاولـــــين
لبناتها الإيمانُ بالـــــد ∴ يان لها طوب وطـــــين
وبها المساجد شيـــــدت ∴ يعلو بها صوت الأذيـــــن
الله أكبر يطلقـــــو ∴ ن عنانها في المسلمين
ومواكب الأسبان قـــــد ∴ دحرت وفاز المؤمنـــــون
فتحت لهم أبواب أنـــــد ∴ لس وحلوا آمنـــــين
وعلى المطهمة العتـــــا ∴ ق توغلوها فائزيـــــن
أرست قواعدها الأشـــــا ∴ وس رغم أنف المغرضين

وغدا يشع النـــــور في ∴ الأرجاء للمتخلفـــين
وغدا بها العربي مـــز ∴ هواً على المتكبريـــن
أدى رسالتـــه بجـــد ∴ لا يكل ولا يلـــين
وبكل إخلاص وصـــد ∴ ق شيد الحصن الحصين
وتبوأ الغرف الفسيحـــة ∴ مبدعاً شتى الفنـــون
راياتـــه خفاقـــة... ∴ والجند مرفوعو الجبين
وعلى رؤوسهم أكـــا ∴ ليل من النصر المبين
فتعاقبت من بعدهـــم ∴ أمم وقد حدثت شؤون
وترصد الأعداء وانحـــر ∴ ف الرجـــال المخلصون
بثوا الجواسيس الخبيثـــة ∴ في السهول وفي الحزون
ورقابة الرقباء تنشـــط ∴ في الممالك والعيـــون
وأتت على الإسلام قـــا ∴ صمة البعير بلا معـــين
شنت حروب تأكـــل ∴ الغث المحطم والسمـــين
ألهتهـــم شهواتهـــم ∴ عن كل نازلة تحـــين
وتمزقـــت إرباً عـــرو ∴ بتُهم وقد نضب المعـــين
وسطت على الإســـلام أو ∴ باشَ العلوج الناقمـــون
من كل ذي ظفر ونـــا ∴ ب لا يرق ولا يلـــين
من كل موتور ومدحـــور ∴ مـــن المستعمريـــن
يا سيد الرسل الكـــرا ∴ مَ ويا أمـــام المتقـــين
قم يا رســـول الله ان ∴ الشرق أصبح كالسجين
قم يا رســـول الله ان ∴ الشرق مغلوب حزيـــن
قم وانظر الدين الحنيف ∴ وكيف مرغبه البنـــون
انظر إلى العرب الـــذ ∴ ين تقاعسوا في الأسفلين
انظر إليهم كالعبيـــد ∴ عن الصفوف مؤخريـــن
وتخلفت أسد الشـــرى ∴ خلف الهجين ابن الهجين
يتشبـــث المترئســـو ∴ ن بكل غربي مهـــين
والغرب أصبح في مقـــد ∴ مة اللئام المعتديـــن
وبهيئة الأمم اللعينـــة ∴ لم نزل متعلقـــين

لم أدر هل ماتت أحـــــا ∴ سيس الرجال فلا يعـــون
أم أنهم ليست بهـــــم ∴ صفة الرجال الآدمين
والغرب يقظاناً فلـــم ∴ تغمض عن الدأب العيون
والشرق ويح الشرق فيـــه ∴ مدى الحياة رحى طحون
ذابت كرامته كـــذو ∴ ب الملح في الماء السخين
من شم (أوراس) إلـــى ∴ (أرض الخليج) إلى (جنين)
حمراء تصطفق الدمـــا ∴ ء بها كموج (الدردنين)
نُهِبَتْ فلسطين كـــما ∴ نهبت زماناً (ميسلـــون)
والقدس باتت مسرحـــاً ∴ لذوي الدعارة والمجـــون
والمسجد الأقصى يئـــن ∴ ولا سميع للأنـــين
وديار (أندلس) تقطـــع ∴ بين أيدي الغاصبـــين
والمسلمون على المنـــا ∴ بر كل يوم يخطـــبون
وتراهـــم يتحمســـو ∴ ن وتارة يتشنجـــون
وإذا انتهوا من عنتـــر ∴ يتهم مضوا يتضاحكون
وكأنهم في حفل عـــر ∴ س يرقصون ويمرحـــون
تتألـــب الدنيا عليـــنا ∴ للقضاء كمسلمـــين
حاكوا لنا الأشراك فـــا ∴ صطادوا الرعاع الأدنيين
من كل ذي هوس بـــلا ∴ قلـــب ولا عقل رزيـــن
نصبوا له شركاً ليجتـــذ ∴ بوه في قاع الكمـــين
فانســـاق خلفهم ليـــد ∴ رج في عداد الخائنـــين
ماذا يخبئ بين جنبيـــه ∴ من الحقـــد الدفيـــن
ماذا يخبئـــه ليتخـــذ ∴ العـــدو له قريـــن
يسعى لعيني (بيغـــن) ∴ بأعـــز مرغوب ثمـــين
وغدا يحقق نصف وعـــد ∴ العلج (بلفور) اللعيـــن
شذت ركائبه فـــأد ∴ لج في دروب التائهـــين
وارتد عن دين العـــرو ∴ بة واستدار لشر ديـــن
إن الضمائر أصبحـــت ∴ سلعاً تباع بلا ضمـــين
سوق الضمائـــر في روا ∴ ج والعميل لها مكـــين

متواجد لشـــــراء مـــــــا ∴ يحتاجه في كل حيـــــن
سحقاً لمعتـــــوه عليـــــــه ∴ رفيق محنته يهـــــون
وبصحبــــة الملعــــون في ∴ الدارين مناع ضنـــين
فلتجمــــع الدنيا بـــــر ∴ متها وتحرق في أتـــون
لتظــــل (جيهان) لـــــه ∴ وبظل دفع (الأمريكين)

***

- **القصيدة الثالثة:**

نور النبوة

بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج ي 27 رجب 1397 الموافق 13 يوليو 1977 ألقيت في مسجد السوق الكبير

بطحاء مكة بالوقائع تشهـــــد ∴ وربى المدينة طودها والفدفـــــد
شهدت بزوغ الشمس في غسق الدجى ∴ نوراً أضاء على الدنا يتوقـــــد
نور النبوة بالهدى متلألــــــئ ∴ وضــــــاء لليل البهيم يبـــــدد
نور الذي شق الطريق بهديه ∴ فأزال صرح الشرك وهو موطد
نزل الأمين على الأمين مبلـــــغاً ∴ في الغار ما قال الإله ويعهـــــد
فأذاع صوتَ الحق في ملأ لــــــه ∴ وإليه أعباء الرسالة تسنــــــد
طلع ابن عبد الله في مجموعــــــة ∴ يدعو إلى نبذ الهوى وينـــــدد
في صفوة قامت بكل بسالــــــة ∴ شماء تعلن دينها وتوحـــــد
فأبت قريش أن ينال غرووهـــــا ∴ فغدت على تبيانه تتمـــــرد
مكرت ومكر الله قوض مكرهـــــا ∴ والله ذو الفضل الذي لا ينفـــــد
ألقت ببدر قضها وقضيضـــــها ∴ وبشيبـــــها وشبابها تتوعـــــد
فإذا بها مهزومة ورجالـــــها ∴ ضج القليب بهم وساء المشهد
وإذا الرسول المصطفى يدعوهـــــم ∴ هلا رأيتهم ما وعدتم فاحصدوا
لم يثنه تهديدها فأتى علــــــى ∴ أصنامها بعزيمة لا تجحـــــد
وتطلع التاريخ يرقب ما جـــــرى ∴ في يوم بدر يوم فاز محمـــــد
ويسجل الأحداث في أسفـــــاره ∴ يروي وقائعها لنا ويؤكـــــد
يا أيها المبعوث فينا جئت بـــــا ∴ لقرآن تهدي للصواب وترشد
أسرى بك الله العلي إلى السمــــ ∴ ـاوات العلا ليلاً وقومك هجد
لتـــــرى جلال الله في ملكوتـــــه ∴ وتنـــــال منزلة بها تتفـــــرد
وأراك يا خير الأنـــام منـــــازل ∴ الرسل الكرام وكلهم يتعبد
للمسجد الأقصى الشريف وثالث ∴ الحرمين جاء بك البراق الأسعد

وبأنبياء الله صفـــــوة خلقــــه ∴ قدمت فيهم للصلاة وأيــــدوا
وتباشرت بك يا بن خير سلالـــة ∴ وأضاء من نور الجلال المسجد
في ليلـــة ليلاء عم سكونـــها ∴ هذا الوجود شَهِدْتَ ما لا يشهد
وبصحبة الروح الأمين بلغت مـــا ∴ لا يبلغن بها نبي أمجـــد
فرضت عليك الخمس في أوقاتها ∴ من بعد خمسين تكل وتجهـــد
وأتيت قبل الفجر تخبرهم بما ∴ شاهدته عبر السماء وتســـرد
وشرحت وصف المسجد الأقصى لهم ∴ بالرغم مما يعلمون ففنــــدوا
وأبوا وقالوا كيف يقطع ليلة ∴ للشام والأقصى الشريف المقصد
والعيس تقتطع الطرق بجهدها ∴ ستين يوماً يستحيل المـــورد
وعتوا فأنذرهم فراحت رقعــــة ∴ الإسلام تتسع اتساعاً يحمد
وسرت مسير البرق دعوة سيد ∴ الكونين في الأصقاع لا تتـــردد
فتغيرت من بعد عهدك حالُنـــا ∴ وبشرقنا نَعِبَ الغرابُ الأســـود
يا رب إن العرب فرق جمعهـــم ∴ مستعمر وأتى عليهم ملحـــد
حتى غدت أوطانهم مزقـــاً ورا ∴ ح يديرهم بمداره المستعـــبد
يا رب أن العرب فيما بينهـــم ∴ خلف فوحد بينهم يا أوحـــد
يا رب لمَّ شتاتهم وارأب تصـــدّ ∴ عهم ففضلك بابه لا يوصـــد
بالأبطحى المصطفى بصرهـــم ∴ بأمورهـــم فأمورهم تتعقـــد
والطف بلبنان الجريح فقد هوى ∴ نحو الحضيض وعيشه يتنكـــد
ست من السنوات تحت مواطـــئ إلا ∴ طماع والأيدي الخبيثة تفســـد
الشعب يقتل نفسه بسلاحـــه ∴ والأجنبـــي يمده ويمـــدد
حتى إذا فنيت جميع رجالـــه ∴ مغلوبة وضعت على يده يـــد
وربى فلسطين التي سرقت قضيتها ∴ بمجلـــس أمنهم تتجـــدد
في كل يوم روحة أو جيئـــة ∴ وزعيمـــها لما يزل يتـــردد
وبنو اللقيطة في البلاد تمكنوا ∴ في أرضها كالأخطبوط وهودوا
والمسجد الأقصى يئن وحولـــه ∴ القرصان يصرخ يا لقومي أخلدوا
فكوا أساري من حثالات الـــورى ∴ بعزيمـــة وثابة لا تنفـــد
عاشـــت به وتحكمت بمصيـــره ∴ أيد تضيق خناقه وتشـــدد
يا رب أن العرب أدبر بعضهـــم ∴ عن بعض كل يكيد ويحقد

يا رب قد عظم البلاء وهم على ∴ حـــــال مروعة تذل وتبعـــــد
فأرشدهم فالقوم في دوامــــــة ∴ وارأف بهم يا رب حتى يهتدوا

***



الفصل التاسع

الشاعر / عيسى مطر

(1910 - 1992 م)

- ترجمته:

كان والده حريصاً على أن ينشئه تنشئة بحرية خالصة كأترابه الذين تنتظرهم ضفاف الخليج. وكان مطمع الطفل أن يحفظ القرآن. وأذعن الوالد لرغبة والده فأدخله الكتاب، فحفظ ووعيي، وأعجب بنجابته صاحب الكتاب فعهد إليه بمراقبة الصبية ومراجعة ألواحهم، ومتابعة حفظهم لسور القرآن، ثم التحق بالمدرسة المباركية فتلقى علومه المتوسطة فيها، وحين تركها وكان قد أيفع رغب بدراسة النحو فدرسه على يد أحد أصدقائه وأنشأ كتاباً لتعليم الأطفال مبادئ الحساب، وحفظ القرآن. واستمر فيه زهاء تسع سنوات ثم انتدبته معارف الكويت ليكون مدرساً في المدرسة المباركية والأحمدية في نفس الوقت. وكان التدريس في مدرستين شائعاً في ذلك الحين لقلة المدرسين ثم نقل للتدريس في المدرسة الشرقية بعد افتتاحها وظل يدرس فيها حتى عام 1957م حيث ضعف بصره فأحيل على التقاعد.

عمل إماماً بأحد مساجد منطقة النقرة عدة سنوات. كما كان عضواً في جمعية المعلمين.

انتقل الشاعر إلى رحمة الله تعالى في عام 1413هـ - 1992م.

أما شعره فيكاد المطر يكون نهاية الشعراء التقليديين في الكويت وخاتمة حلقاتهم، فقد ضاع معظم شعره غير أن المحفوظ منه ينم عن روح شاعرة، ونفسية مرحة لا تعقيد فيها ولا غموض[1].

له مقالة رائعة تكشف عن حسه الأدبي تحدث فيها عن حياة أبي القاسم الشابي، وقد نشرها في مجلة الإيمان[2].

وعلى الرغم من قلة إنتاجه الشعري أو ضياع كثير منه كما في ترجمته إلاَّ أن له قطعة شعرية يشاطر فيها إخوانه من شعراء الكويت في توجههم الديني الأصيل وعودتهم إلى الله ودعائهم له وهي تحت عنوان (دعاء) يقول فيها:

يا من رفعتُ إليه بالدعاء يدي ∴ أشكو إليك ولا أشكو إلى أحدِ
أنظر إلى بعطف منك يسعدني ∴ فأنت أشفق من أم علي ولد
أزل عن العين يارب غشاوتها ∴ حتى أرى في طريق موضع الرشد
أسير في الليل من خوف على مهل ∴ كأن رجلي في قيد من الزرد
فالعين أنفس ما الإنسان يملكه ∴ فإنها أفضل الأعضاء في الجسد
ومن يعش فاقد العينين مدته ∴ فالعمر يقضيه في هم وفي نكد[3]

أما في المديح النبوي فله قصيدة واحدة نشرها في مجلة كاظمة الكويتية.

---

(1) انظر ترجمته في أدباء الكويت في قرنين، ج2، 37، معجم البابطين، مربون من بلدي، د.عبدالمحسن الخرافي، 385.
(2) مجلة الإيمان، العدد الأول، 59.
(3) أدباء الكويت في قرنين، خالد سعود الزيد، ص 38.

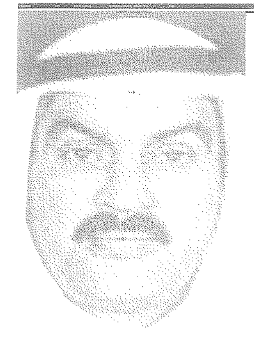
- **قصيدة الشاعر:**

" الدعوة المحمدية "

غرة المختار فاضت بضياهـــــا ∴ تغمر الكون بنور لا يضاهـــــي
إنـــــه نور بدا منبثـــــقاً ∴ في ليال حالكات فمحاهـــــا
واهتـــدى الحائر في ظلمتهـــــا ∴ بعدما ضل عن السبل وتاهـــــا
أيهـــــا المبعوث في أمتـــــه ∴ جئت بالحق فحققت مناهـــــا
دعـــــوة قمت بها صارخـــــة ∴ بلغ المغرب الشرق صداهـــــا
دعـــــوة طهرت الأنفس مـــــن ∴ درن الشرك وآتتها تقاهـــــا
دعـــــوى وحدت فيها أممـــــاً ∴ فكك التفريق ما بين عراهـــــا
دعـــــوة بدلت الوضع إلـــــى ∴ خير وضع وبه الكل تباهـــــا
دعـــــوة قد بلغت أمتـــــه ∴ ذروة المجد ولم تبلغ سواها
وأتـــــت حقاً لها شاهـــــدة ∴ بارتقاهـــــا ومعاليها عداهـــــا
وكذا التاريخ كم سجلـــــه؟ ∴ من فعال عظمت لما عزاهـــــا
في ربوع الأرض. كما قام لهـــــا؟ ∴ خافقاً بالنصر والعز لواها
ولها الجيش الذي اعتزت بـــــه ∴ فتح الدنيا وبالعدل ولاهـــــا
دوخ الأملاك في سطوتـــــه ∴ بأسود ضاريات في لقاهـــــا
أين قل لي بعد ذا سطوتهـــــا؟ ∴ أين منها عزها؟ أين إباهـــــا؟
أين منها نخوة قوميـــــة؟ ∴ يا لها من نخوة. ماذا اعتراهـــــا؟
أي شيء فت في ساعدهـــــا؟ ∴ أي شيء يا ترى مس قواها؟
إن من كان ضعيفاً خائـــــراً ∴ في ذآب أكلته أقوياهـــــا
ذي فلسطين دهتها محنـــــة ∴ من إذن ينقذها مما دهاهـــــا؟
سامها الأعداء بالخسف وقـــــد ∴ مسها الحيف وعاثوا في حماهـــــا
كم قتيل وشريد في العـــــراء؟ ∴ كم فتاة وفتى من أسراهـــــا؟
كم نرى كارثة حلت بها؟ ∴ ضاق منها الذرع واشتد أذاها
كما نرى ثكلى من الشجو بكت؟ ∴ ذات قلب الصخر من فرط بكاها
لا اجتماع لا احتجاجات نرى ∴ نفعت أمتنا من زعماهـــــا

إنمـــــا الوقت أضاعوه ولـــــم ∴ نستفد فائدة يرجى جناهـــــا
فلســـان السيف أقوى حجـــــة ∴ يُظهر الحق وينفي الاشتباه
أمة الغرب ادعت عادلـــــة ∴ كيف هذا؟ وهي بالكذب ادعاها
ملأت أشداقها عدلا كـــما ∴ تملأ الضفدع بالأصوات فاها
نزغ الشيطان فيما فمشـــى ∴ يبتغي إغواءها حتى غواها
أيـــــدت دولة إسرائيـــــل إذ ∴ لم تراعى العدل لا الله رعاها
دنست أرض فلسطين بهـــا ∴ وهي أرض طهر الله ثراهـــا
قد حداها نحو هذا طمـــع ∴ ما سوى الأطماع من شيء حداها
أيها العرب أجمعوا شملكـــم ∴ وردُوا الموت لكي تحموا حماها
ودعـــوا كل لئيم خائـــن ∴ خالف العرب لأطماع نواها
ففلسطين دعتكم دعـــوة ∴ انجدوها واستجيبوا لنداها
واقحموا الأهوال وانضوا همماً ∴ لا ينال العز إلا من نضاها
حرروهـــا من يد باغيـــة ∴ ولتكن مشلولة عنكم يداها
إنما النصر من الله لكـــم ∴ لا تهابوا لا تخافوا من لظاها

*　*　*



الفصل العاشر

الشاعر / محمد أحمد المشاري

(1936- 2000م)

• ترجمته:

محمد أحمد خالد المشاري، ولد بمدينة الكويت، أتم دراسته الابتدائية والثانوية بها، وأنهى دراسته الجامعة بحصوله على البكالوريوس في الاقتصاد البحث من كلية التجارة والاقتصاد بجامعة القاهرة.

عمل محاسباً في دائرة المطبوعات والنشر، ثم معاوناً مالياً، ثم سكرتيراً أول لسفارة دولة الكويت في اليابان، ثم مديراً للإدارة الاقتصادية في وزارة الخارجية، ثم سفيراً لدولة الكويت في كينيا، وتفرغ بعد ذلك للأعمال الحرة.

حصل على عضوية برابطة الأدباء الكويتيين، وله قصائد منشورة في الصحف والمجلات الأدبية[1].

انتقل إلى رحمة الله تعالى في عام 2000م كان قد هيأ قصائده لكي تطبع في ديوان غير أن الأجل بادره رحمه الله قبل أن يطبع، غير أن رفقاء دربه قاموا بإخراج ديوانه بعد وفاته وهو الأثر الأدبي الوحيد له قدم له الأديب عبد الله زكريا الأنصاري وراجعه د. الشاعر خليفة الوقيان.

وحول شاعريته قال الأديب عبد الله زكريا الأنصاري:

---

(1) معجم الشعراء.

المرحوم محمد أحمد المشاري شاعر رقيق المشاعر ومرهف الإحساس يمتلئ وجدانه بالشعر، ويصعب علي أن أختار شيئاً من شعره، فشعره كان مليئاً بالصور الأخيلة، وشعره كله مختار صادر عن صدق ومعاناة شاعر، وهو شاعر يحاور مع الشعر في كل مناسبة، ويأتي بالبديع من القول، والمنغم من الشعر، والمرتل من النظم، وكنا نطلق عليه في بيت الكويت (شاعر الشباب)، وهو شاعر الشباب حقاً وبلبلهم المغرد المغني[1].

وعن ميزات شعره قال أ د. عبد الله الغنيم:

لقد تميز المغفور له عن كثير من الشعراء بما ترجم من قصائد لشعراء انجليز من أمثال: (وليم هينري ديفيس) و(توماس ناس) و(لورد نيسون) وغيرهم، وصاغ ذلك في قالب عربي أصيل، كما كان- بحق- يعطي صورة جلية عن مدى ثقافته ووعيه وقدرته.

- **العاطفة الدينية في شعر**

الدين الإسلامي هو قوام تصوراته للحياة، وهو نافذته للوجود، لا تخفى هذه الحقيقة في ديوانه بل أنها تطل عليك في جل قصائده، وقد صرح أن النفس لا تسمو للكمال إلا بالدين يقول:

بالدين والعلم والأخلاق والأدب ∴ تسمو النفوس إلى العليا من الرتب
فالدين فرض علينا لا جدال به ∴ من بعد أن بلّغَ الوحيَ العظيمَ نبي

وهذه الرؤية لمقام الدين في الحياة لم تأت من فراغ وإنما جاءت من عيش في رحاب تشريعاته وأسراره ومقاصده، ففي رحلته لأداء مناسك الحج يلهج لسانه بهذا النغم الإيماني الصادق:

لك الحمد يا ربنا والنعم ∴ لك الملك والمنتهى والعظم

---

(1) ديوان الشاعر محمد أحمد المشاري، ص 13.

فأنت الرحيم وأنت الكريم ∴ وأنت الحميم ونعم الحكم
ويارب هذي جموع الحجيج ∴ تزاحم أفواجها كالخضم
بلبيك لبيك ضجت ألوف ∴ وردها كل قلب وفم
تكاد تشكارك فيها البطاح ∴ ويهتز مما يجيش الأكم

تلبية فريدة أنطقته بها لواعج الشوق للمشعر الحرام.

العقل في نظر الشاعر هو نفحة من عطايا الله تعالى، والفكر لا يكتسب حقيقته إلا بالدين، فالعلم يحدو العاقل إلى التقوى والدين يحبو العلم القداسة يقول:

ولا شك أن الفكر بالدين مبصر ∴ فما ازداد إلا زادنا نحوه دفعا
فسبحان من قد كون المرء نطفة ∴ وشق له الأبصار والنطق والسمعا
هو الخالق الباري العقول بفضله ∴ فإعمالها شكر لمن أبدع الصنعا

وهو يرى في الطبيعة عرساً بهيجاً حينما يلتئم السحاب ويومض البرق وتدق أصوات الرعود وتتوالى زخات المطر، يرى في هذا المشهد عرساً لا يملك الفكر فيه إلاَّ أن يوحد خالقه ولا اللسان إلا أن يسبح ربه، فهو آية من أعظم آيات الله في الوجود قال تعالى: ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج - 5)

قال الشاعر:

هو عرس للبرايا منشـــأ ∴ وغناء وحياه للبشــــر
آية الله وكم من آيـــة ∴ منه للفكر تجلت والبصر
رب أن شئت فقد سال الثرى ∴ وإذا شئت فقد جف النهر

ثم يرتبط الشاعر بجنس هذا الوجود في لحظة وجودية صادقة ليعتد نفسه من ذرات هذا الكون الفسيخ ليرجو من ربه العناية ويغيث روحه بالإيمان كما أغاث الأرض بالمطر الهتان.

فامنحن يا رب منا أنفساً ∴ غيث إيمان تغذيه العبر

أما في المديح النبوي فله قصيدة واحدة كتبها بمناسبة الهجرة النبوية وهي معبأة بروح دينية، وحُب صادق لرسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم -، وهي كذلك علامة بارزة على الثقافة الدينية التي تحملها شخصيته، والتي جاءت ممتزجة مع إبداعه الشعري.

***

• قصيدة:

" الهجـــرة "

شجا يعتري نفسي ودمعي له الصدى ∴ على طول عمري لا يزال مـــرددا
حنينا إلى الفجر المشع وهديه ∴ إذا أظلمت حولي الدروب تجـــددا
هنيئا لعهد فاض في الكون نوره ∴ ومـــزق أستار الظلام وبـــددا
هنيئا لأيام مدى الخلق مدها ∴ تظلم بأعمار الخلائق سرمـــدا[1]
هنيئا لأصحاب النبي ورهطـــه ∴ هنيئا لمن عاشوا يرون محمدا
حبيبي رسول الله يا سيد الـــورى ∴ ويا رحمة الباري ويا خير مُقتدى
ويا شافعا يوم الحساب مشفعا ∴ ويا هاديا للناس في العيش مرشدا
ويا من به الرحمن أحيا عباده ∴ فبشرهم بالفوز يوما وأوعدا
يمن علينا أن هدانا بفضلـــه ∴ ولا غالـــبا إلاه مهما تمـــردا

***

وما كان للإسلام إلا جماعة ∴ يحيط بهم كفار مكة رصدا
فلما أراد الله نصرا لدينـــه ∴ ألان قلوبا في المدينة بالهـــدى
فبايعت الأنصار أوس وخزرج ∴ نبي الهدى أن يمنعوه من العـــدى
فهاجر قبل المصطفى كل مؤمن ∴ وكم منهم من قد بلا وتكبـــدا
فهذا صهيب قال يا قوم أطلقوا ∴ سراحي وإن شئتم فمالي لي الفدا
وهاجر في فقر وما همه الغنى ∴ ولكنه الإيمان أغنى وأسعـــدا
يقول رسول الله خيراً مكـــرراً ∴ صهيب بهذا نال ربحاً مؤكـــداً

***

بدا لبغاة الشرك منع محمـــد ∴ وأرغى بهم شيطان كبر وأزبدا
أحاطوا به كي يقتلوه بيته ∴ فأعماهم الرحمن عنه وأقعدا
وقد مكروا والله يمحق مكرهم ∴ ويحميـــه منهم آمنا ومسددا
وفي غار ثور آية الله قد بـــدت ∴ فسبحان من يعنو له الخلق سجدا[2]
فذي عنكبوت ثم هذي حمامـــة ∴ وقد غدتا للحق جندا مؤيدا

---

(1) سرمد: أي دائماً.
(2) يعنو: يذل ويخضع.

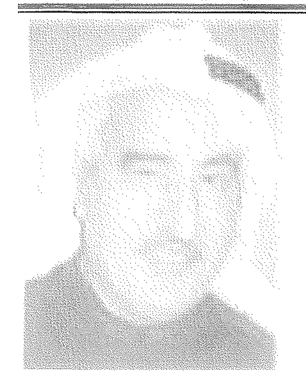
ومن ذا الذي أثنى سراقةَ بعدما ∴ مضى يطلب الركب المجد وأبعدا[1]
كبا دون أسباب ثلاثا جواده ∴ وغـــادرت به رجلاه حتى تأودا[2]
فأدرك أن لابد في الأمر سره ∴ وأن رسول الله لاشك أحمدا
فصار لهم عونا وقد جاء فاتكا ∴ وأضحى لهم بعد العداوة منجدا
تهلل كون والمدينة نـــورت ∴ بطلعة بدر من مشارفها بدا
فهذا رسول الله هذا حبيبـــه ∴ يظلله الصديق والحر أوقـــدا
وفاضت وجوه المسلمين ببشرها ∴ ترحب بالمبعوث جمعاً مزغـــردا
وأسفرت الدنيا بنور هدايـــة ∴ سرى بعدها في سائر الخلق مصعدا
وسطرت الآيات في الهجرة التي ∴ أطاحت ضلال الشرك سفرا مخلدا

***

أرى الدين في الدنيا حياة ومنهجا ∴ وليس احتفالاً ينتهي حين يبتدا
أرى الدين معنى ليس شكلا ومظهرا ∴ وزخرف أقوال ومجداً وســـؤددا
هو البر والإيمان بالله والتقـــى ∴ وألا نرى إلا رضا الله مقصـــدا[3]

***

(1) المجد: أي المسرع في مشيه.
(2) كبا: أي تعثر، تأودا: أي تموج وتثنى.
(3) ديوان محمد أحمد المشاري، ص 88.



الفصل الحادي عشر

الشاعر الأديب/ خالد سعود الزيد

(1256-1422هـ = 1937-2001م)

- ترجمته:

خالد سعود الزيد: شاعر باحث من الكويت. ولد فيها، وتعلم حتى المرحلة الثانوية، ثم دخل الحياة العملية، اختير أمين رابطة الأدباء، فأمين سرها، وشارك في تأسيس مجلتها «البيان الأدبية» وتولى رئاسة تحريرها، عضو في عدد من الهيئات الثقافية، منح عدداً من الجوائز. له «فهد الدويري شيخ القصاصين الكويتيين»، وأصدر ثلاثة دواوين «صلوات في معبد مهجور»، «كلمات من الألواح»، «بين واديك والقرى» ومن كتبه «من الأمثال العامية»، «أدباء الكويت في قرنين» 3 أجزاء، «خالد الفرج: حياته وشعره»، «مسرحيات يتيمة»، «مقالات ووثائق عن المسرح الكويتي»، «الشاعر ملا حسين: حياته وآثاره»[1].

- من صلوات خالد سعود الزيد:

في حديث الشاعر خالد سعود الزيد عن ترجمته اعتراف بما اعتراه من الشك في مقتبل حياته الفكرية، جعلته كأنه متردياً من سفح إلى حضيض الشك والتردد كان هذا في رحلته للبحث عن ذاته.

وبعد احتكاك مع مدارس فكرية وصولات وجولات في الحياة أفضت به إلى مراجعات صادقة وتأملات في صفحات الوجود انتهت به إلى عودة إلى كتاب الله تعالى، فها هو يحدثنا عن تجربته الإيمانية في البحث عن ذاته:

(1) إتمام الأعلام، د.نزار أباظة، (ج 2 / ص 57).

فلقد طوفت في آفاق المعرفة بحثاً عن ذاتي التي أنهكها الظمأ وحبست نفسي سعياً في مسارب الدروب الطويلة ناشطاً في سؤال أعماقي عن طرق الخلاص.

وذات مساء على ساحل البحر يبهرني منظر الشفق المنصهر في سماء الأفق الفسيح فوقفت مبهوت الرؤى، تتخطفني الغيوب، تلفت يميناً فإذا القمر في ليلة عرسه بدرا يختال، يتنفس الصعداء بعد ترمل طال، فانفجر ينبوع القرآن تردد أصداءه خلجات ذاتي «فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق» وأخذت بالمنظر وروعة البيان في تعبير القرآن، فتمايلت في الطريق مشيراً إلى الشفق تارة وإلى القمر البازغ تارة أخرى ترنحني نشوة وتهز أعطافي سكرة، معترفاً أني الليل فيما بينهما، سائلاً غيبي بخشوع متى تنشق سمواتي وتأذن لربها ذاتي.

وقد ألقت هذه التجربة الإيمانية بظلالها على شعره حتى أبدع قصيدته البديعة، عودة قلب والتي يقول في أخرها عن نهاية هذا الصراع النفسي.

كان لي قلب على درب الخطايا
سار منساقاً بهاتيك الزوايا
مظلم الأعماق منهوك الخلايا
فاستفاق
من عناق
ظبية تخطر كالنور
دره من عالم الحور
مرحبا بالحب، بالنور المقدس
مرحباً بالحق في صدري تنفس
وتلاشى الليل من أعماق ذاتي
هاتها يا ساقي الخمرة هات
واسقنيها خمرة من شفتيها

واليها
قدم الروح إليها

إن النور القرآني ليتجلى على مداخل دواوينه من بعيد تراه سنيا من عناوينها، ديوانه كلمات من الألواح يقول عنه الأديب الكويتي د. سليمان الشطي: لقد جاء ديوانه الثاني ـ كلمات من الألواح ـ ليقدم قفزة نوعية ولكنها من ذات تجربة الشاعر الذي انفتح على البعد الصوفي.

إن مصطلح (الألواح) يحمل معه أصداء لا تخفى مراميها الدينية والروحية ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ (البروج: 21 ـ 22)، ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (الأعراف: 45).

كما أن روح القرآن الكريم لتسري في أحرف شعره وأنغامه تأمل استلهامه لقصص القرآن.

خلقت هارون في قومي فما حفظوا ∴ بيتي ولا صان قدس البيت من أحد
واستضعفوه وشادوا من حليهم ∴ عجلا فكسرت ألواحي ولم أعد[1]

من قصة صراع موسى مع قومه قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً ﴾ (الأعراف: 148)

ويبدو أن رحلته في البحث عن ذاته التي انتهت به إلى مراجعة الكثير من أفكاره قد استمدها من تجارب نخب الفكر الإسلامي في هذا المسار، وكان من أبرزهم الإمام الغزالي فقد أفرد له قصيدة يتحدث فيها عن رحلته في البحث عن ذاته.

وعلى الليل من سراجك وهج ∴ شرب النجم من سناه وثنى

(1) ديوان كلمات من الألواح، خالد سعود الزيد، ص 79.

رب درب صعب المراس قصي ∴ لم تزل تقتفيه حتى اطمأنا

وقبل ذلك هو يقف مبهوراً معجباً بهذا التطواف الذي جاب به الغزالي آفاق الحق لارتياد مسالك الألبياء التي عرجوا عليها.

يا نديم النجوم والليل ساج ∴ وشذا المنتدى إذا الطير غنى
وحليف الخطا إلى كل واد ∴ عرج المصطفى عليه وسنا[1]

وقل مثل ذلك على بعض قصائده في دواوينه الأخرى فهو يقول في أول قصائد ديوانه (صلوات في معبد مهجور):

وقفت مبهور الرؤى حائراً ∴ كحيرة المحزون في كربه
أقلب الطرف بلا آخر ∴ أجوب هذا الشرق مع غربه
أبحث عن ذي خبرة عالم ∴ يكشف لي المكنون من غيبه
أسأله عمن أشاد السما ∴ من أوجد الكون على ما به

إلخ.... هذه التساؤلات الوجودية التي لا يوجد لها إجابة إلاَّ

فالكل يجري في مداه الذي ∴ قدره الرحمن في غيبه
تبارك الله بآلائــــــــــــه ∴ ليس له من خالق مشبه

خواطر وتساؤلات ملحة أفضت بالشاعر إلى هذه الومضة الإيمانية وهذه الترنيمة من التسبيح، وهي ذاتها التي حدثنا بها كتاب الله: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: 164).

بل إن اسم الديوان بحد ذاته يحمل هذه المسحة الصوفية والتأملات الإيمانية، ويبدو أن هذه القناعة الإيمانية الراسخة جاءت بعد أن عصفت بالشاعر رياح التمرد الهوج ولاكته الغربة فعاد إلى

(1) ديوان كلمات من الألواح، خالد سعود الزيد، ص 59.

أصالته، فهو يقول عن هذه التجربة المريرة: فلست آسفاً على ما تباهيت به من زندقة وكفر أحياناً فيما مضى لي من عمر، فكل سوء أدب يقود إلى أدب فهو أدب، في نظر أبي العباس المرسي قدس الله روحه، وهذا شأن كل أمرئ يتقلب في يد القلق ركضاً وراء حقيقة ينشدها، وإن كانت أمنيتي اليوم أن أدعو إلى ما إليه الله دعا[1].

واعترفه هذا هو ما يفسر وجود هذه القصيدة في طي هذا الديوان الوجداني، وأنها ناتجة من رصيد زاخر من التجربة الوجدانية والمراجعة الذاتية، والغربة والترحال.

وإلى هذه الغربة والترحال والقلق يشير في قصيدته (الغريب) وفي آخرها هذه المراجعة الذاتية والثواء إلى مطمئن الإيمان بعد هذا المضطرب المضني.

رب رحماك ضاقت الأرض فيه ∴ لم تسعه جبالها والسهول
لا معين على البلاء حفي ∴ لا رفيق ولا صديق خليل
قد تخلى عنه النصير فما من ∴ بيت حر يؤويه أو من ينيل

وهكذا يستمر في هذه المناجاة الصادقة إلى أن يفزع إلى السماء فإليها يفيء رجاؤه.

وسيمضي إلى الفضاء بعيدا ∴ ربما كان في الفضاء الحلول
وانفتاح لقلب كل غريب ∴ ضامه الدهر والأماني طلول
وليكن في السماء ما قد تمنى ∴ إن هذا رجاؤه المأمول[2]

---

(1) صلوات في معبد مهجور، خالد سعود الزيد، ص 13.
(2) صلوات في معبد مهجور، خالد سعود الزيد، ص 77.

- **القصيدة الأولى:**

" في المولد النبوي "

قالها بمناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام 1954م في مسرح ثانوية الشويخ يقول الشاعر عنها: هي بداية إحساسي بوجودي كشاعر يستطيع أن يؤثر قوله في الناس، وينتزع منهم التصفيق الحاد. ليس بين أيدينا من أبياتها إلا هذه الأبيات:

نور بمكة قد أضاء وأشرقا ∴ وأبان للناس الهداية والتقى
ومحا رسوم الجاهلية كلها ∴ وأقام عدلا في البرية مطلقا
لله ما أنجبت يا ابنة يعرب ∴ صلتا كريما بالسعادة مشرقا
فبيوم مولده تقاصر قيصر ∴ إذ قالت الكهان حسبك ما بقى
واهتز إيوان الأعاجم معلنا ∴ بالانتهاء، إلى اللقاء إلى اللقا
هلا ذكرتم جيش أبرهة الذي ∴ قد جاء يزخر كالعباب مصفقا
فدهته داهية وليست فيلقا ∴ لكن طير الله أمسى فيلقا[1]

***

(1) سير وتراجم خليجية، خالد سعود الزيد، ص 132.

- **القصيدة الثانية:**

" محمد ﷺ "

ما لمعناه في الحقيقة حد ∴ كل شيء من نوره مستمد
هو هذى العصور تترى تباعاً ∴ هو هذى الجموع حين تعد
فهو ما بين ظاهر يتوارى ∴ وهو ما بين باطن يستجد
قد مشى عبره الوجود سباقاً ∴ نحو غاياته التي لا تحد
صلبت في مكانها عاديات ∴ ضبحت والطريق قتل وحد
عقر الدرب حلمها وبعيد ∴ ما رماها إليه وجد ووجد
ما أرى الشمس غير جذوة شوق ∴ ساقها في مسيرة الحب عبد
والنجوم المسخرات لأمر ∴ قتلت ليلها ولم تجر بعد
غرقت في فضائه تائهات ∴ مثل قطر لو كان في البحر يبدو
سل حراء عن ليلة القدر ما من ∴ شاهد غيره هناك يعد
شهد اللحظة اليتيمة لما ∴ وقف الكون خاشعاً لا يرد
وصفوف من الملائك رتل ∴ خلف رتل من خير ما صف جند
وتوالى على البسيطة جبريل ∴ وحيداً يروح فيها ويغدو
ثم نادى في الكون ثم مناد ∴ أيها الظامئون قد حان ورد
قد تلاقى ركب السماء بركب الـ ∴ أرض في أحمد الهدى وهو فرد(1)

***

(1) صلوات من كاظمة، خالد سعود الزيد، ص 41.

- **القصيدة الثالثة:**

" صـــــورة "

مثل قد تجســـــــدا	∴	وقديـــــم تجـــــددا
وجديـــد جـــــذوره	∴	ضاربات بلا مـــــدى
أرضه أو سمـــــاؤه	∴	مثلما الصوت والصدى
ما ترى من تفـــاوت	∴	مطلقا أو مقيـــــدا
ليس شيء كمثلـــه	∴	جمع الحسن مفـــرداً
حشد الكون كلـــه	∴	فيه حشداً مجـــــدداً
واستدار الزمـــان في	∴	ذاتـــه، مثلما بـــدا
مستمداً ومعطـــــياً	∴	واحـــد إن تعــــددا
غاية ما سماها لهـــا	∴	قبلـــه من تمجـــدا
صورة لن ترى لهـــا	∴	مثـــلا قد تـــرددا
كان من قبل أحمدا	∴	وأتاها محمـــــداً[1]

***

(1) صلوات من كاظمة، خالد سعود الزيد، ص 72.



الفصل الثاني عشر

الشاعر الكاتب / عبدالله زكريا الأنصاري

(1922 ـ 2006م)

• ترجمته:

عبد الله زكريا محمد الأنصاري. ولد في الكويت. درس في مدرسة والده في المدرسة المباركية لمدة سبع سنوات. درس في مدرسة والده، ثم في مدرسة الفلاح، ثم عمل محاسباً لدى بعض التجار، ثم مدرساً بالمدرسة الشرقية، ثم محاسباً لبيت الكويت بالقاهرة، ثم مديراً لإدارة الصحافة والثقافة بوزارة الخارجية الكويتية حتى 1987 حيث تقاعد عن العمل. نشر بعض شعره في الصحف والمجلات الكويتية.

من مؤلفاته: «فهد العسكر» و«مع الكتب والمجلات» و«الشعر العربي بين العامية والفصحى» و«الساسة والسياسة» و«صقر الشبيب» و«حوار المفكرين» و«البحث عن السلام» و«مع الشعراء في جدهم وعبثهم» و«حوار في مجتمع صغير»، بالإضافة إلى عدد آخر من الكتب غير المنشورة[1].

وللكاتب عبد الله الأنصاري رحمه الله العديد من المقالات والأبحاث الأدبية ذات الصلة بالكثير من شؤون الأدب واللغة والفكر، وأكثرها قد كتبها في مقدماته لمجلة البيان منذ أعدادها الأولى.

أما شعره فالحمد لله أن قيض له الأديبة الكويتية د. سهام الفريح والتي ألحت على الأديب عبدالله الأنصاري لإخراجه إلى النور فقامت

(1) معجم الشعراء، كامل الجبوري، (ج3/ ص 251).

مشكورة بعد أن دفع إليها إنتاجه الشعري والذي ظل لسنوات عبارة عن أكوام من الورق تعلو مكتبه ومثلها دفائن الأدراج لتنشرها تحت عنايتها ومراجعتها فأخرجت ديوانه: (مرايا الذات) وبعد عدة مقابلات لها به، وتتبع حثيث لآثاره، وقراءة واعية خلصت إلى معرفة الدور الكبير الذي كان يشغله الأنصاري في الحياة الفكرية والأدبية في الكويت إن تقول عن ذلك:

كان للأنصاري نشاطه الأدبي والفكري المتميز منذ فترة الأربعينيات، ولم يقتصر نشاطه في هذه الحركة على ما قام به من رئاسة تحرير أهم مجلتين مر ذكرهما وهما «البعثة» و«البيان» وتحرير المقالات الافتتاحية فيهما، وإنما حضوره الفاعل في خضم هذه الحركة، وفي فترة التحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي مرت بها الكويت.

والأنصاري ينظم الشعر بفنونه المختلفة منذ مراحل مبكرة من حياته، تدلل عليها إشاراته وإشارات من رصد هذا النشاط الأدبي في الكويت، وإن كان الأنصاري ضنيناً بأشعاره فأبقاها حبيسة صدره ووجدانه، وبين خبايا مكتبته الخاصة بمنزله، وسوف يكون نصيبه الوافر من هذا الكتاب، بعد أن لانت عريكة الشاعر، فأفرج لنا عن ذلك النتائج الزاخر الذي لا يقل عن نتاجه النثري.

أما النتاج النثري للأنصاري فقد كان أوفر حظاً من نتاجه الشعري؛ حيث أطلق العنان لكل ما كتب أن ينطلق خارج أسوار أرففه الدفينة ليتملكها المتلقي، كيف شاء، وهي مجموعة المقالات التي نشرها في الصحف المحلية أو العربية والتي قدمها في افتتاحيات المجلتين اللتين تولى رئاسة تحريرهما، وهي متعددة في موضوعاتها، وإن كانت

تدور في ثلاثة أفلاك رئيسية هي: السياسة والمجتمع والأدب يعالج خلالها العديد من القضايا والمشكلات، ليس في حدود مجتمعه الصغير الكويت، وإنما ينطلق إلى فضاءات وطنه العربي الممتد. ولا ضير في أن بعضها تفرضه المناسبات الوطنية والقومية والدينية، إلاَّ أن مضامينها مخزونة في وجدانه الذي ينشد الإصلاح والتطوير، ونفسه التي تنزع إلى العدالة، فهو يعبر عن هموم الإنسان العربي في عصره بكل ما يصادفه في هذه الحياة، وهو في نقده لكل ما يدور لا يصل به إلى التجريح مطلقاً، الذي فرضه عليه حسه المرهف وسريرته النقية، وهو إضافة إلى طبيعته كان متأثراً بالمفكرين الطليعيين في الوطن العربي، وفي مصر بالذات، حيث استمر تواصله معهم حين تولى مسئولياته هناك.

ونجده في جميع ما كتب مفكراً أخلاقياً مؤمناً بالقواعد متمسكاً بالعقل في صميم وجدانه، فهو لا إرادياً يتبع المنهج الواقعي ذا السمة الأخلاقية، التي تتفق مع نظرية الأخلاق الكلاسيكية، حين يعبر بلهجة رومانسية تريد أن تحول المجتمع من حال إلى حال أكثر تحديثاً اجتماعياً وسياسياً وفكرياً.[1]

والعاطفة الدينية عند الشاعر لا تخفى لكل من فحص تراثه الأدبي، فهو يتمتع بثقافة إسلامية واسعة انبثقت عنها عاطفة دينية تظهر في طي العديد من كتاباته، فهو مثلاً في أثناء حديثه عن الشاعر الكويتي عبدالله النصف يستطرد في تسجيل قناعاته وتصوراته للدين الإسلامي، جاء ذلك في معرض نقده لمن يدعون التدين ويتكسبون بالدين، يقول:

---

(1) مرايا الذات، أ.د. سهام الفريح، ص 15.

وما هي المآسي والمشاكل التي يحس بها الشاعر؟ إنها مآسي شعبه التي يقوده إليها المتعصبون من الذين يدعون الدين، والدين منهم براء، ذلك أن الدين ليس بالمظاهر ولبس العمائم، والعمائم ما هي إلاّ مظاهر، بل أن العمائم كثيراً ما استغلها المستغلون لمطامعهم الشخصية، وأغراضهم الذاتية، وقد قال الشيخ الإمام محمد عبده في أصحاب العمائم قوله مشهورة، رددها الكثير من الناس، وما زالوا يرددونها، وهي:

ولست أبالي أن يقال محمد ∴ أبل أو اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه ∴ أحاذر أن تقضي عليه العمائم

أي أن الشيخ الامام رأى ما رأى من أصحاب العمائم ما يسيء فهم الدين القويم على غير حقيقته بل واتخاذه وسيلة للمآرب الشخصية، فقال هذا القول المشهور، وشاعرنا بقصيدته التائية هذه يعرض أيضاً بأصحاب العمائم الذين أساءوا فهم الدين، وبالتالي أساءوا إلى الوطن بأعمالهم المشينة وإلى الشعب بتصرفاتهم المشبوهة، فشقي الوطن بهذه التصرفات، وشقيت به العِمّات، وألمّ بالشعب الشقاق، ودبّت بين أبنائه الفرقة، وعم الخلاف، والسبب هو سوء فهم هؤلاء المدّعين، وتعصبهم الأعمى الذي أدّى بهم إلى هذا الموقف الهدّام باسم الدين، ووضع العراقيل أمام الناس، وسد الطريق أمام المفكرين الذين يستعملون عقولهم النيرة، وأفكارهم المتحررة، ويحاربون بها البدع والخرافات التي تعطل الانطلاق إلى فهم الدين الحنيف فهماً سليماً، وتحريره من القيود التي يحاول المتدينون تكبيل الناس بها، والدين الإسلامي دين خالٍ من البدع، ومن الخرافات، والقيود التي لا تستند إلى العقل والمنطق، وقد ضرب الخلفاء الراشدون أروع الأمثلة، وأتوا بأسمى الأدلة وأعظمها على حرية الدين الإسلامي، وتحرر العقل العربي، إلاّ

أن بعض الأدعياء على الدين حاولوا وما زلوا يحاولون تحريفه وتشويهه.[1]

أما في شعره فكذلك نظهر العاطفة الدينية عند الشاعر عبدالله الأنصاري واضحة في عدة قصائد، منها قصيدة له قالها بمناسبة عيد الأضحى، وكانت دعوته فيها إلى تفعيل المقاصد الربانية في هذه المناسبة، يقول فيها:

إن في العيد انشراح للصدور ∴ وتآخ بين قوم لا يخور
وائتلاف لقلوب طهرت ∴ من ظلال الجهل من كل الشرور
فلنعِّيد فيه عيداً زاهياً ∴ ولنسر النفس ولنحيي الضمير
ولنوحد فيه آراء لنا ∴ إنما الوحدة من عزم الأمور
إيه يا عيداً أعد ذكرى الجدود ∴ إيه يا عيد أعد عهد الرشيد
إيه يا عيداً أعد مجداً لنا ∴ وأعد ما قد طوى الدهر التليد
وأعد ذكر النبي المصطفى ∴ منقذ الإسلام من ظلم شديد
فلنا يا عيد فيهم أسوة ∴ ولنا إيمان صدق لا يبيد

أما لمدائح النبوية فللشاعر ثلاثة قصائد كلها في ذكرى مولد النبي ﷺ قالها في أوقات مختلفة.

* * *

(1) مجلة البيان، العدد 70، ص 6.

- **القصيدة الأولى:**

ذكرى ميلاد الرسول ﷺ

ما ذلك النور الـــــذي ∴ ملأ الصحارى والبطاح؟
هل ذاك نور محمد؟ ∴ أم كوكب في الجو لاح؟
إي والذي رفع السما ∴ ء لأنه نور الفـــــلاح
نور النبي المصطفـــــى ∴ من جاء يهدي للصلاح
يهدي الأنام الى الطريـ ∴ ـق المستقيم الى النجاح
حيث العروبة في ليا ∴ لي الجهل تنتظر الصباح
فإذا بمكة أشرقـــــت ∴ نورا ومنها المسك فاح
فتعالت الأصــــــوات أن ∴ هذا هو الحق الصـــــراح
واستبشر العرب الكـــــرا ∴ م به وعم الارتيـــــاح
فتحرروا من ظلم قوم ∴ لا يرون سوى الطـــــلاح
الدين كان لهم شعارا ∴ إنه أمضى ســــــلاح
نصروه حقا بالقـــــنا ∴ وكذلك بالبيض الصفاح
أولست تعلم أنهـــــم ∴ فتحوا به كل النواح؟

***

رحماك ربـــــي أين ذا ∴ ك المجد بل أين السماح
أين الذين إذا دعـــــا ∴ داعي البلاد إلى الكفاح
هبوا جميعا طائعيـــ ∴ ـــن كأنهم هوج الرياح

***

يا صاحب القـــــرآن قم ∴ انظر ترى دَمنا مبـــــاح
وترى جراثيماً لقـــــد ∴ علقت بأجسام صحـــــاح

***

يا قوم هبوا حيـــــث لا .:. يجدي البكاء ولا النواح
ودعوا التكاسل وانهضوا .:. جمعًا فقد عظم الجراح
ودعوا التفرق جانـــــبًا .:. واسعو فإن الوقت ضـــــاح
أفتسكتون ترون عـــــزّ .:. كم ذليلا مستباح؟ (1)

***

(1) مرايا الذات، عبدالله زكريا الانصاري رحلة الكتابة والشعر، أ.د. سهام الفريح، ص 337.

- **القصيدة الثانية:**

من وحي المولد

ردد أخي نغـــم المثانـــــي ∴ شعرا حوى درر المعانـــــي
شعرا يعـــبر عن شعـــور ∴ فاض من نبع الجنـــان
واعــــزف على قيثـــاره ∴ نغما يسير مدى الزمـــان
نغما يرف على الفـــؤاد ∴ د كأنه أحلى الأمانـــــي
واهتف بمولد من ســــما ∴ في دينه أعلى مكـــان
وغدا قصيدة مجـــده ∴ وبه تغنـــي الخافقـــان
ماذا عساني أن أقـــو ∴ ل بذكره ماذا عسانـــي
أنا كلما ناديت شعـــــ ∴ ـــري كي أصوغ به بياني
جف المداد على اليـــرا ∴ ع وصار معقودا لسانـــــي
وغدوت عيّ القول أخـــــ ∴ رسهُ وليس العيُّ شانـــــي
ماذا دهاني يا عـــــرو ∴ س قصائدي ماذا دهانـــــي
أشجاك ذكــــرٌ رن في ∴ سمع الزمان كما شجاني
أم قد رماك شجى الليـــا ∴ لي بالهموم كما رمانـــــي
أتراك نلت مــــن الأذى ∴ يا وحي شعري ما تَراني
وأنا الذي كم رنحـــت ∴ درري زهور الأقحـــوان
ولكـــم ترنم بلبـــلٌ ∴ بقصائدي الغر الحســان
ولكم سبيت به قلـــوب ∴ اللابسات من الجمـــان
الناعمـــات المتـــرفا ∴ ت الفاتنات من الغوانـــــي
الراميـــات قلوبنـــا ∴ بسهامهن بـــلا توانــــــي
الفاتكـــات المحيـــيا ∴ ت القاتلات بلا أمـــان
المائســـات الأسرات لنـــا ∴ بأجســـــــام ردان
من كل فاتنة القـــوام ∴ م وكل رائعة البنـــان
خاب الذي وصف القـــدو ∴ د مشبها بغصون بـــان
هن اللواتي في الهـــوى ∴ أسلمن قلبي للهـــوان
فصبرت والوجد المبـــرح ∴ في تأججه كوانـــــي

وغدوت من وقع الهوى ∴ أبدا أعاني ما أعاني
ما الشهد أحلى من مرا ∴ شفهن أو بنت الدنان
كلا ولا الشدو المنـ ∴ ـغم أو ترانيم المثاني
بـأرق من الفاظهـ ∴ ـن وهن من حور الجنان
يا من بمولده تغنى ∴ الكون من قاص ودان
شرفتَ أبياتي بمد ∴ حك واستنار به بياني
فغدا يرددها الزما ∴ ن قصائدا في كل آن
فلو أنني في الشعر قد ∴ فقت الأقاصي والدواني
وسكبت من ذوب الفؤا ∴ د قصائدي لك ما كفاني
لكنه شعر تردد ∴ د في الفؤاد على لساني
يا من طويت البيد تبـ ∴ ـني للعلا يا خير باني
وضربت في بطن الصحا ∴ ري ممعنا ثبت الجنان
وصدعت بالحق القويـ ∴ ـم وصنته حق الصيان
ونشرت دين الله نشـ ∴ ـر بالكتاب وبالبيان
ولممت شمل العرب لمـا ∴ بالمحبة والحنان
يا من إذا عد الخلا ∴ ئق ماله في الخلق ثاني
لبيتُ داعي الشعر يا ∴ خير البرية مذ دعاني
فظللت أهتف باسمك الـ ∴ ـميمون مرخيّ العنان
وأقول والبلوى تكا ∴ د تهد من جزع كياني
ما للرعاة أضلها ∴ آلٌ تكشّف للعيان
ران الذهول على العقو ∴ ل وقد رماها بالحران
حتى غدت في الأرض نهـ ∴ ـبا تستباح لكل جاني
وترى الرعية من شجى ∴ ترنو بألحاظ رواني
ألوى بها السغب الممض ∴ وهدها كيد الهوان
وسرى بها الظمأ اللغو ∴ ب فما لها فيه يدان
وأذلها بالجهل حتى ∴ مات فيها الأصغران
ذل الرعاة فليس تبـ ∴ ـصر غير رعديد جبان
وطغى القضاء فعاثت الأ ∴ قزام بالحر الهجان

ويح الحناجر كيف تهـــــــــ ∴ ـــتف بالشجيّ من الأغاني
تشدو بذكر محمـــــــــد ∴ رب الفصاحة والبيـــــــان
أم أنها تهذي هــــــذا ∴ ءَ مَوَلّةٍ بالمجد عانـــــــي
قد عاده الحلم الجميـــــــــ ∴ ـــل فراح يمعن بالأمانـــــي
تبا لقومك يا زمـــــــان ∴ نَ الذلِّ والشرف المهـــــان
ماتت بك الأمال واضــــــــ ∴ ـــطربت مزعزعة الكيـــان
وتخبطت بالتيه وانـــــــــ ∴ ـــحدرت إلى دنيا الهـــــوان
واجتثها اليأس المميــــــــ ∴ ـــت لها فطارت كالدخان(1)

(1) مرايا الذات، أ. د. سهام الفريح، ص 329.

- **القصيدة الثالثة:**

من وحي المولد يا عروس الخيال

أسكتت سَوْرةُ الشجون غنائـــــي ∴ فتلاشت أصداؤه في الفضـــاء
وعَروس الخيال شرَّدها الوهـــ ∴ ـم فتاهت في ظلمة ظلماء
ونَشيدي، وَأين منيّ نشيـــدي؟ ∴ ضاعَ في لجة من الأهـــواء
وتَداعت هياكُل الشعر صرْعَى ∴ فوق هذي البليةِ الهوجـــاء
فغفى الفكر والقريحة جفـــت ∴ والأماني تبعثرت في الهبـــاء
وتراءت من كوة الغيب أشبا ∴ ح تبدت بأوجه ســـوداء
تملأ الفكر ضجة تقتل الوحـ ∴ ـي وتهوي بالراحة الغـــراء
كلما رضت بالنشيد بنات الشـ ∴ ـعر عادت تشكو من الإعياء
يا عروس الخيال بالله عـــودي ∴ وأعيدي مشاعل الايحاء
يا عروس الخيال بالله عـــودي ∴ وأعيدي عزيمتي ومضانـــي
يا عروس الخيال بالله عـــودي ∴ وأملني مهجتي بنور السماء
يا عروس الخيال حسبي من الصـ ∴ ـد خولا أزال عني روائـــي
قرّبي طيفك المحبب منـــي ∴ وتهادي بساطع الأضـــواء
أسمعيني نشيدك العذب لحـــنا ∴ عبقرياً مجنح الأصـــداء
ردديه في مسمعي وأعيـــدي ∴ واسكبيه في أذني الصمـــاء
وأطلّي بوجهك السافر الضاحك ∴ كي أستمد منه بهائـــي
القوافي وأين مني القـــوافي ∴ راقصات تضوع بالأشـــذاء
تسمع الدهر أغنيات من المجـ ∴ ـد بلحن يرن في الصحراء
مهبط الوحي والنبـــوة والحـ ∴ ـق ومهد الأســـود والحكماء
ومحطّ العلا وأرض النبيـــين ∴ عليها ومنبع الشعـــراء
ما ترى القوم يوم أشرق فيـــها ∴ سيد المرسلين والأنبيـــاء
غير أسد غطارف همها العـد ∴ ـل وغاياتها بلوغ العـــلاء
تهدم البغي بالعقيدة، بالإيمـ ∴ ـان بالصبر، بالنُّهى، بالإباء

وتثل العروش في مسرح الأكــون ∴ وتبني المنى أعـــز بنـــاء
هل أتاكم حديثها يــــوم روت ∴ منبت العز من زكيّ الدمــاء
يوم لاحت رايتها خافقــات ∴ تنشد النصـر في ذرى الجوزاء
صرع الشركَ صرعةً من ذهــول ∴ رددتها مجاهــلُ البيــداء
والخرافاتُ مزَّقتها يدُ العقـــ ∴ ــل فأضحت منثورة الأشلاء
ومشت فوقها هداية طـــه ∴ تبعث النور رحمة بالأشقيـاء
يا لذكر أريجه من عبيـــر ∴ وارف الظل ساطع الأفيـاء
فاح منه عهد النبوة والعــز ∴ وعهــد المروءة الشمـاء
يا ليوم على الزمان يتيــم ∴ فيه قد أشرقت شموسُ الرجـاء
وأضاءت قلوب يعرب حتـى ∴ طهرتهـا بنورهـا اللألاء
فتسامت مشاعل الحق تهــدي ∴ بسناها معـــارجَ الغبــراء
وتجلى نور الهدايـــة في الأر ∴ ض وقد عم شاسع الأرجـاء
يا ليوم تموج فيه عظـــات ∴ تنشل الفكر من حِمــى الأرزاء
عبرة إثر عبرة والأمانـــي ∴ حالكات تنوء بالأعبــاء
يا عروس الخيال مالي أرى الكــو ∴ ن أراه في فتنة حمقــاء
يا عروس الخيال مالي أرى العــر ∴ ب يسيلون في مصب الفنــاء
اسكرتهم دنيا المطامع حتــى ∴ أغرقتهم في بؤرة الخيــلاء
فتردوا في حماة الذل والإثـــم ∴ وتاهو في مهمة الإغـــراء
والذئاب الذئاب أهوت عليهـــم ∴ بسياط الأذلـــة الجبنـــاء
أتراها تعود أيامنـــا الغــــر ∴ وتغدو مليئـــة بالبهـــاء
أتراها تعود تلك الليالـــي ∴ زاهيات تفيـــض بالنعمـــاء
حلم داعب الخيال وولـــى ∴ كالرؤى لاح طيفُها للرائــي
ذاك عهد مضى وألوى به الدهــ ∴ ــرُ وعفّى عليه أيَّ عفــاء

القاهرة 1951/12/12م[1]

***

(1) مرايا الذات، أ. د. سهام الفريح، ص 174.



الفصل الثالث عشر

الشاعر / عبدالمحسن الرشيد البدر

(1927 / 2008 م)

- ترجمته:

عبدالمحسن محمد الرشيد البدر. أديب، شاعر من رواد النهضة العلمية في الكويت.

ولد في منطقة القبلة بالكويت.

بعد أن درس بالكتاب مبادئ القراءة والكتابة، وقرأ القرآن سرداً وتلاوة، التحق بالمدرسة القبلية ثم المدرسة المباركية؛ حيث أتم التعليم فيها إلى السنة الثالثة الثانوية، وكان هذا هو آخر مرحلة من التعليم بالكويت آنذاك.

حضر عدة دورات تدريبية في الجامعة الأمريكية بلبنان، وفي مقر اليونسكو هناك، وأتم دراسته التربوية في إنجلترا؛ حيث حصل على دبلوم في التربية وعلم النفس.

تعلم اللغة الفارسية وقرأ حول الأدب الفارسي، مما هيأ له أن يلقي بعض المحاضرات عن عمر الخيام في إذاعة الكويت، كما مكنه من ترجمة بعض أشعاره إلى اللغة الفارسية، ونشرها في مجلة «المسلمون».

مارس مهنة التدريس في المدرسة الأحمدية عام 1943 م؛ حيث مكث بها ثلاث سنوات ونصف، ثم استقال للعمل بالتجارة، ثم عاد إلى التدريس بالمدرسة القبلية عام 1949 م، ثم عمل وكيلاً لها، ثم مديراً لإدارة وسائل الإيضاح وقسم السينما المدرسية إلى أن تقاعد عام 1978م.

أحد المؤسسين لنادي المعلمين 1952 م، والمحررين لمجلة الرائد، ومؤسس رابطة الأدباء وأول امين عام لها. مثل الكويت في كثير من المؤتمرات التربوية في البلاد العربية والأجنبية. له «أغاني الربيع» ديوان شعر - ط 1947 م.[1]

وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية لعام 2007 م، على مجمل عطاءاته الأدبية والثقافية. انتقل إلى رحمة الله تعالى عام 2008م.

من أروع قصائده التي تبين التوجه الديني والنزعة الأخلاقية لديه قصيدة (خاطئة)، والتي فيما يبدو يخاطب فيها فتاة حاولت إغراءه وإسقاطه في شباكها، لكنه أبى أن ينصاع لها، قال معبراً عن هذا الموقف:

لَمِّي شِبَاكَكِ عنِّي يا ابنَةَ العَارِ ∴ فليسَ فوقَ أديمِ الأرضِ تَطْيَاري
وليسَ من منهلٍ حَفَّ الذُبَابَ به ∴ لبُلبُلِ الرّوْضِ من وِرْدٍ واصدارِ
متَى أذلّتُ فؤادي كيْ أعَلّقَهُ ∴ من بالدّراهم يُشرى جسْمُها العَاري
أهْوى الجَمَالَ عفيفاً غيرَ مُبْتذلٍ ∴ كصفحَةِ البّدرِ لم تَعْلقْ بأوضارِ
أوْفى على النَاس من عَلْياءِ مطلعِهِ ∴ يَهْدي على البُعْدِ ليْلَ المدلج السَّاري
لولا الجَمَالُ عفيفاً والهَوى اجتَمَعا ∴ خَلَتْ غِراسُ العُلى من أي أثْمَارِ

وفي المدائح النبوية للشاعر قصيدة واحدة وقد نشرها في مجلة كاظمة.

* * *

(1) معجم الشعراء، كامل الجبروي، (ج3 / ص 314).

• قصيدة:

نهضة الشرق

للشاعر / عبدالمحسن الرشيد البدر

وقد ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقامه نادي المعلمين بمناسبة المولد النبوي الشريف:

الركب قد تاه وضل السبيل ∴ يخبط حيران وما من دليل
والليل قد خيم ما ينجلي ∴ فيه الضواري كل صوب تجول
ذي أمم الشرق وذي حالها ∴ ترسف من غفلتها في كبول
يستنزف «الغربي» خيراتها ∴ كالعلق العالق ما إن يزول
وتحمل الذلة في دارها ∴ لذلك الباغي عليها الدخيل
والجهل قد ضعضع بنياتها ∴ كالداء قد أوهن جسم العليل

***

فانتفضت في وجه جلادها ∴ وليس يرضى الذل إلاّ الذليل
والصبر إن كان جميلاً ففي ∴ مواطن الذلة غير الجميل
تكيل للخصم نكالاً كما ∴ كان لها من قبل ظلماً يكيل
إني لأرنو نحوه شامتا ∴ يخبط مثل الأفعوان القتيل!
من يزرع الأحقاد يِجن القلى ∴ وما له في أي أرض حليل

***

فمرحباً بالشرقي في عزه ∴ والشرق للعزة خير الحقول
ألم يك الشرق مهاد الهدى؟ ∴ كم من نبي مرشد، كم رسول
حضارة الغرب التي تجتلي ∴ قد نبتت في الشرق منها الأصول
ما يمنع «الشرق» أن يعتلي ∴ وهو لهاتيك المعالي سليل؟

***

يا أمة العرب، ويا من لها ∴ في سالف الأعصر مجد أثيل
يا من وهبت الناس نوراً الهدى ∴ والناس في ليل الضلال المهول
يا من بنيت الملك مستحكما ∴ والعدل أس والحسام الصقيل

كل شعوب الأرض هبت إلى ∴ غاياتها، وابتهجت بالوصول
مالك أحجمت ولم تنهضي ∴ والموت سيان وعيش الخمول
هبي وللمجد الرفيع اعملي ∴ لا يبلغ العلياء قط الكسول
عودي إلى الدين تعودي كما ∴ كنت وثوب العز ضافي الذيول
«محمد» أوضح طرق العلى ∴ مسالكا، والهدي هدي «الرسول»

***

يا «ابن الكويت» الحر نحو العلى ∴ سعياً، فإن الدرب صعب طويل
قد هيأ الله لنا قائـــــــــــداً ∴ ينحو بنا نحو سواء السبيل
قد عدم التاريخ أمثالـــــــــه ∴ ومن «لعبد الله» فضلاً مثيل؟!
المسلم الحق الذي حكمه ∴ «شورى جاء كما «الكتاب الجليل»

***



الفصل الرابع عشر

الشاعر الأديب / أحمد محمد السقاف

(1919م - 2010 م)

- ترجمته:

أحمد بن محمد السقاف، أديب، شاعر، ولد بجنوب الجزيرة، الكويت..

درس في العراق دراسة عربية ودينية وشارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ضمن حركة الدفاع الوطني 1941م، وعند فشلها رحل إلى الكويت عام 1943م للتخلص من تعقب السلطة.

حصل على إجازة تدريس اللغة العربية، كما درس بكلية الحقوق.

في عام 1944م عين مدرساً في أكبر مدرسة بالكويت فمديراً لها، وعند تأسيس النادي الثقافي تولى رئاسة تحرير مجلة «الإيمان» التي كان يصدرها النادي وبقي حتى عام 1956م. حيث تم اختياره نائباً لرئيس إدارة المطبوعات، وفي عام 1962م عُين وكيلاً لوزارة الإعلام، وفي عام 1965م عُين عضواً منتدباً للهيئة العامة للجنوب والخليج العربي بوزارة الخارجية، وتقاعد عام 1990م.

عضو في رابطة الأدباء، والأمين العام لها لمدة تزيد على عشر سنوات. أنشأ ندوة متنقلة تعقد مرة كل خميس في ديوانية أحد الفضلاء، وفي عام 1948م أصدر مجلة «كاظمة» وفي عام 1952م تولى رئاسة مجلة «الإيمان». رأس وفد رابطة الأدباء إلى اجتماعات مؤتمرات الأدباء ومهرجانات الشعر في كثير من الأقطار العربية.

له: «شعر أحمد السقاف» 1986م، و«صوت الغضب» شعر - خ.

له عدة مؤلفات منها: «المقتضب في معرفة لغة العرب« و«أنا عائد من جنوب الجزيرة العربية»، و«الأوراق في شعراء الديارات»، و«حكايات من الوطن العربي الكبير»، و«تطور الوعي القومي في الكويت، و«في العروبة والقومية». كتب عنه: يوسف عز الدين، ومحمد حسن عبدالله، وأحمد مطلوب، ومحمد مصطفى هدارة، وخليفة الوقيان.[1]

انتقل إلى رحمة الله تعالى في عام 2010 م عن عمر يناهز 91 عاماً.

- **النزعة الدينية في شعر السقاف:**

النزعة الدينية في شعر السقاف هي جذور تراث وأصالة بيئة عربية تقلب فيها، ودار إيمان استقر بها، ثم صارت فسيفساء تتكون منها شخصيته وديوانه وقصيدته، فإحدى أهم مكونات شخصية السقاف كما يظهر في شعره الهوية الدينية، ففي قصيدته «دمشق» يستنكر على من جحد الدين وخان تعاليمه، بقوله:

وقد جحدوا الدين واستنكروه ∴ وخانوا تعاليمه والشعائر[2]

ثم إن النزعة الدينية لديه تشع في محيا القصيدة إذا كان موضوعها عن فلسطين أو عن بعض مآسي أمته العربية، فتراه يوجه تحية إكبار ومؤازرة للصامدين المقاومين في فلسطين الأبية، بقوله:

تحية إكبار إلى كل ثائــــر ∴ يؤجج باستبساله خير مقتحم
لكل كمي مؤمن بتراثــــه ∴ فجاهد باسم الله والحق واعتصم
لكل شهيد جاد بالنفس راضياً ∴ فكان عظيماً في العطاء وفي الكرم

فهو يرى أن هذا الباسل الشهيد لم يذل يوماً ما لطاغية مستبد أو محتل غاصب، وإنما ذله وخضوعه لربه فما ركع إلاَّ له، يقول:

---

(1) معجم الشعراء، كامل الجبوري، (ج1 / ص 196).
(2) شعر أحمد السقاف، ص 190.

فما ذل في يوم ولا خر راكعاً ولا هاب إلاّ الله ذا الفضل والنعم[1]

وفي رثائه لام زوجته تسخو قريحته بقصيدة ملؤها الحنان والرحمة، تزجيها عاطفة دينية مشبوبة، رافدها السلوك الديني والحياة الروحية التي كانت تنم بها هذه المرأة، والتي كانت محل إعجاب الشاعر، ومثار إبداعه، يقول:

نعم رحلت بنت عبداللطيف
كما النجم لاح سريعاً وغاب
كما الطير حان لديه الإياب
وعافت سروراً وعرساً وبهجة
ولبت نداء الإله
فقد عاشت العمر تبغي رضاه
وتسلك نهجه

إلى أن قال.. وهنا تظهر قناعاته الإيمانية الراسخة:

لئن شاقها منزل الصالحين
ومثوى النبيين والأولياء
فأن لها مسكناً في الحنايا
وذكراً سيبقى طويلاً
نثمن فيه الكفاح النبيلا
ونبكي السجايا
ونمسح رغم البكاء الدموع
فمن ذا الذي لا يعود إليه
وما الكون إلاّ هباء لديه
وحسب الفقيدة أم الكتاب
ففيها الدعاء وفيها الخشوع
وفيها الثواب[2]

للشاعر أحمد السقاف مجموعة قصائد تدخل في اطار المدائح النبوية وقد نشرها في عدة مجلات وصحف منها البعثة والبيان

(1) شعر أحمد السقاف، ص 245.
(2) شعر أحمد السقاف، ص 40.

وكاظمة، وقد اخترت من هذه القصائد هاتين القصيدتين، وكلتاهما قيلتا بمناسبة مولد الرسول ﷺ.

* * *

القصيدة الأولى:

عن إلهـــام النبي ﷺ [1]

بين فتكِ الظُّبى وخوضِ الملاحمْ ∴ ظَهَرَ المجدُ وهو جذْلانُ باســـم
بارك الله في الجهاد ولا عا ∴ شت نفوسٌ تعيشُ عيشَ البهائم
أيُّ معنى للسلمِ إن سعَّروا الحَرْ ∴ بِ، وما قيمةُ الجبانِ المسالم
ذا أوان النهوض يا معشر العُـ ∴ ـربِ، فلا عُذر بعد ذاك لنائم
سعَّروها وروعوا حرم القد ∴ س بحكم بادي التحُيِّز غاشم
سعَّروها فَهُزتِ الأرض إنكـــا ∴ را، ومادت في عُربها والأعاجم
فتعالت «الله أكبر»، من مصـ ∴ ـر إلى الهند من مصلٍّ وصائم

***

سعَّروها ليأخذوا ثَأرَ حِطيـ ∴ ـنَ، ولكنهم أجادوا المزاعم
واستفزوا حُثالةَ الأرضِ للدعـ ∴ ـوى، وما لامهم على الغَدْرِ لائم
حُلُمٌ بينه وبين فلسطيـ ∴ ـنَ جُسُومٌ تطيرُ عنها الجماجم
فاشبعي يا وحوشُ إنْ مسَّكِ الجـ ∴ ـوعُ وفَرِّي لحومَهم يا قشاعم
كتب اللهُ للعروبةِ تمحيـــ ∴ ـصاً، وقد شاءَ أنْ يُبيدَ المخاصم

***

يا حُماةَ السَّلامِ مني سلامٌ ∴ مُحْرِقٌ كالشواظِ غضبانُ ناقمْ
ليس عدلاً أن يُشنقَ العدلُ في القد ∴ س، وأن تُستباحَ منه المحارم
ليس عدلا أن تُتجزوا حلم صهيو ∴ ن، وصهيون فاقد الرشد واهم
ليس عدلا أن تملأوا الأرضَ بالرُّعْـ ∴ ـبِ، وأن تقلبوا الحياةَ ملآتم
جَلَّ ما تطلبون يا أيها القو ∴ م، وهيهات أن تَضام الأكارم
أقسم العُرْبُ أن تُصانَ فلسطيـ ∴ ـنُ، وألا يروعَها أيُّ قاسم
وتنزَّتْ مما ارتكبتم ملاييـ ∴ ـنُ، وخَفَّتْ إلى الجهادِ عوالم
فالعِقالُ الأبيُّ شُدَّ على العَزْ ∴ مِ، وليثت على الثَّباتِ العمائم

***

أين تلك الوعودُ بالأملِ الحلـ ∴ ـوِ لقد أضحتِ الوعودُ طلاسم

---

(1) 1947م ألقاها الشاعر في حفل أقيم في المدرسة المباركية بمناسبة ذكرى مولد الرسول الأعظم وقد صدر قرار تقسيم فلسطين عن هيئة الأمم المتحدة بضغط من الولايات المتحدة الأمريكية وإنجلترا والإتحاد السوفيتي.

لم نكدْ نطلبُ الحقيقةَ حتّى ∴ روعتْنا من الخيالِ أداهم
سيد المرسلين الهمتني الشعـ ∴ ـر، فأسْكَتُّ صادحات الحمائم
وتغنيتُ إذ تغنيتُ بالمجـ ∴ ـد، وبالعرب والحمى والصوارم
ومسحتُ الجراح في وحي ذكرا ∴ ك، وذكراك للجروح مراهم
لم تَزَلْ عالماً يفيضُ من الخيـ ∴ ـرِ ودنيا تَضُمُّ شتَّى المراحم
جهلوها فسلّطَ الجهلُ فيهم ∴ كلَّ باغٍ على البلادِ وهادم
رقصتْ في قدومِكَ البيدُ نَشْوى ∴ وتهادتْ على سناك التَّهائم
والوجودُ الوجودُ يرفُلُ في ثو ∴ بٍ من البِشْرِ طرَّزتْهُ العظائم
تتنادى الفتوح فيه وتشتا ∴ ق إلى ملتقى الليالي القوادم
انجبتْ خالداً وسعداً وأمسى ∴ مِلءَ ساحتها الكماةُ الضراغم
وثبةٌ حطّمتْ صروحَ الطواغيـ ∴ ـتِ وهدَّتْ عروشهم والعواصم

***

أيها الدهر بعض صدك واذكر ∴ حِقَبا زانها الجدود بَوَاسمْ
نحن كالشمس لم يشنها إذا ما ∴ حُجَبت ساعة وراء الغمائمْ[1]

* * *

(1) شعر أحمد السقاف، ص 396.

• القصيدة الثانية:

في ركب محمد ﷺ[1]

لمن الحفل؟ والقريضُ المعطَّرْ؟
ولمنْ هذه الجماهيرُ تزخَرْ؟
أزعيمٌ يهيمُ في حُبِّهِ الشعبُ؟
تَبَدَّى من بعد بَيْنٍ وأسفَرْ؟
أم كَمِيٌّ يُدِلُّ في ساحةِ المجدِ
بجيشٍ على العُداةِ مظفَّر؟
عاد للموطنِ الحبيبِ فهبُّوا
نحو تكريمِهِ بكلِّ مُيَسَّر؟
أم مليكٌ بعدلِهِ قد أشادوا
وأقاموا هذا الثَّناءَ المُصَوَّر؟
لا وربي هذا أجَلُّ من القَصدِ
وأسمى مما ذكرتُ وأخطر!
إنما الحفلُ للذي هَزَمَ الشِّرْكَ
وأعلى في الكونِ «اللهُ أكبر»!
إنما الحفلُ للذي سَحَقَ البغْيَ
وألوى بالظّالمينَ وبَعْثَر!
عُرِفَ الحقُّ يومَ ميلادِهِ الميمونِ
والحقُّ قبلَ ذلك يُهْدَر!
سائِلِ البيدَ عن وقائعِهِ الحُمْرِ
وعن نصرِهِ الفريدِ المُؤَزَّر
جَمَعَ العُرْبَ بالفصاحةِ والسيفِ
وبالمُنْزَلِ الذي يُتَدَبَّر
راعه أن رأى العروبةَ تُبْلَى

(1) 1952 ألقاها الشاعر في احتفال ضخم بذكرى مولد الرسول العربي محمد ﷺ.

وحِمَى العُربِ بالمُغيرينَ يُشْطَرْ[1]
ليستِ العُربُ امةً تقبلُ الذلَّ
فتُغْزَى بأسْودٍ أو بأصْفَـــــرْ[2]
كَذَبَ الدهرُ ـ رُغْمَ أحداثِهِ الكُثْرِ ـ
فما زالتِ الضَّياغِمُ تَـــزْأر
نفخةٌ من محمدٍ فإذا هُـــمْ،
رحمةٌ حقَّةٌ وموتٌ مُقَـــدَّر!!
قصَّروا قيصراً ففرَّ من الرُّعبِ
إلى دارِهِ وكسرى تَكَسَّـــرْ!!
جَهِلَ العِلْجُ واستخفَّ بذي قارٍ
وأضحى من العروبةِ يَسْخَـــرْ
شُعلَةُ الهَدْيِ لا يُضيءُ بها القلبُ
إذا كانَ من «زرادشتَ» يُغْمَرْ

***

إنما العُرْبُ أمةُ اللهِ في الأرضِ
وعنها مصادرُ الخيرِ تُنْشَـــرْ
خصَّه الله بالرسالةِ والمجـــدِ
وبالمُصلحِ الذي قَدْ تَخَيَّـــر
مَلَكَتْ عالماً فما ساد قمبيـــزُ
على بعضِهِ ولا حازَ هتلـــر
وطّدتْهُ عدالةٌ أينَ منهـــا
بَغْيُ من باتَ بالمدامِعِ يسكر
عايةُ الفتحِ عندهُ سلبُ مسكينٍ
ودنيا من الفجورِ المُسَعَّـــر
يتراءى الفَسَادُ في ناظريـــهِ

---

(1) بين الفرس والروم.
(2) يشير إلى غزو الأحباش لليمن واحتلال الفرس والرومان لأقطار كثيرة من الوطن العربي، قبل ظهور الإسلام.

فمن الرجسِ والضلالِ تَحَذَّر

***

إيه شعري قد ذابَ جسميَ للخَطْبِ
وقلبي لهولِهِ قد تَفَطَّر!
ما عهدنا العرينَ يحتلُّهُ قردٌ
وعنهُ يُزاحُ شبْلٌ وقَسْوَر!
لا رَعَى اللهُ كلَّ من باتَ يلهو
حولَهُ قينةٌ وكأسٌ ومِزْهَرْ
أين ذاك الإباءُ؟ كيفَ استنامَ القومُ
عن حقِّهِمْ؟ متى العُرْبُ تَثأرْ؟
لهفَ نفسي على المُخَدَّرةِ العذْراءِ
في أسرِ أنذالِ الخلقِ أحقَر!!
تَلْطِمُ الخّدَّ للمهانةِ والعارِ
وتبكي على العفافِ المُطَهَّر!!

***

يا بلادي تفديكِ نفسيَ إنـــي
حائرُ الفكرِ في الوجودِ المُــزَوَّر
إنْ نظرنا إلى الثراءِ فإنــا
في مجالِ الثّراءِ أقوى وأقْــدَرْ
أو نظرنا إلى الجُموعِ فلسنــا
بأقلِّ الشعوبِ بل نحنُ أكثــر
أو نظرنا إلى العلومِ فمنــا
هُذِبَ الذوقُ والدماغُ تَنَــوَّر
فلماذا غَزَتْكِ هذي الحُثَــالاتُ
وفي أرضِكِ العَدُوُّ تَنَمَّــر؟
جلجلي يا صواعقَ الموتِ حتّــى
يُنْسَفَ الكونُ فالنهايةُ أجْــدَرْ
يَجْرَحُ العين أن ترى فينا

يَقادة بُدِّلُوا وجيلاً تغيَّـــــر
همُّهمْ في الحياةِ أن يجمعوا المالَ
وأن تُبْتَنى قصورٌ وتُعمَـــــرْ!

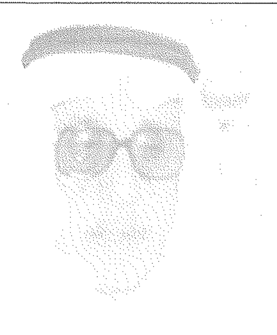
***

يا بلادي أنتِ السَّناءُ من الكونِ
وأنتِ الجمالُ يَسْبي ويَسْحَر
جاش شعري عليكِ حينَ أضاعوكِ
ومن قلبيَ الرَّقيقِ تفجَّر!!

إن شكت تونس تنزت فلسطين ∴ وما رزؤها بسر ليســـــتر
فأقبلي الشعر أنةَ من جريح ∴ ودماً سال من شهيد معفر[1]

*   *   *

(1) شعر أحمد السقاف، ص 356.



الفصل الخامس عشر

الشاعر / عبدالرزاق محمد العدساني

- ترجمته:
  - عبدالرزاق محمد صالح العدساني.
  - مواليد مدينة الكويت عام 1936م.
  - درس بالمدرسة القبلية ومن ثم المدرسة المباركية.
  - عمل في وزارة الأشغال دائرة الأشغال سابقاً سنة 1953م، ثم في وزارة التربية.
  - حفظ الكثير من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، وبدأ كتابة الشعر الفصيح والشعبي عام 1953م.
  - هو أول من جمع الصحف والمجلات الكويتية منذ صدورها حتى سنة 1973م.
  - هو أول من رفع صورة شعراء وأدباء ورجال بحر في الكيانات العامة.
  - درس علم النحو وكذلك علم العروض كما درس الموسيقى.
  - باحث وأديب وشاعر وملحن.
  - له أكثر من أربعين لحناً غنائياً إضافةً إلى أغاني وطنية.
  - عمل عدة أوبريتات وطنية منها (حكاية شعب ـ كويت الماضي والحاضر ـ الربيع).
  - شارك في العديد من المهرجانات الشعرية في الكويت والوطن العربي.
  - تم تكريمه من قبل رابطة الأدباء في محاضرة (ذكريات أديب)

في نوفمبر 2013م.

- **الأعمال الأدبية:**
    - ديوان العدساني - الجزء الأول صدر سنة 1988م.
    - الجديد في علم العروض صدر سنة 1992م.
    - شاعر الأطلال محمد بن حمد بن لعبون سنة 1997م.
    - شاعر البحر صوت يجبي رميح 1998م.
    - دراسات جديدة العروض بالشعر الشعبي الكويتي سنة 2000م.
    - ملحمة الأمير سنة 2001م.
    - تاج اللغة سنة 2001م.
    - ديوان العدساني «لشعر الزهيري».
    - قصة طويلة (غدير وسراب) سنة 2004م.
    - ديوان العدساني يجمع الجزء الأول والثاني والثالث 2001م. [1]

- **النزعة الدينية عند الشاعر العدساني من خلال ديوانه:**

في مستهل هذا الديوان الكويتي تناولت موضوع التوجه الديني في الشعر الكويتي الفصيح فكان مما أشرتُ إليه في هذا الخصوص قصيدة الشاعر عبدالرزاق العدساني في أسماء الله الحُسنى والتي أحصى فيها أسماءه تعالى في قالب شعري بديع قال في مطلعها:

أسائل طيراً بالفضاء يطير ∴ أللناس من دون الإله نصير
هو الله رب العرش مبدع خلقه ∴ على كل شيء بالوجود قدير

وقد ذكرت أن من أبرز مؤشرات النزعة الدينية لدى الشاعر، أنه جعل هذه القصيدة أول قصائد ديوانه، ويبدو أنه قصد التبرك في ذلك.

(1) معجم تراجم أعضاء رابطة الأدباء الكويتيين، مجموعة مؤلفين، ص 126.

وفي أخرى من ديوانه يبدي عاطفته الدينية تجاه أمته الإسلامية، وذلك بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي الخامس، وفيها يحشد عدداً من الوصايا منتزعة من ثقافته الإسلامية وعاطفته الدينية:

يا أمةً شهدتْ أن لا إله لها ∴ إلاّ العلي العظيم العادل الحكم
أوفوا الأمانة إن العهد سائله ∴ ربٌّ كريم بما تسعون فالتزموا
من يتق الله في أمر يراوده ∴ يجعل له مخرجاً من كل ما رسموا

وفي الأخير اقتباس من قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق - 2].

وله مقطوعة يناجي فيها الله تعالى بعنوان (يا إلهي) ملؤها الدعاء والاستغفار والتوبة؛ يقول فيها:

إلهي وهل لي غيرُ عَفوِكَ أرتجَي ∴ وإني بما قد شِئتَ لي لَصَبُورُ
فأنْ يكُ هذا منكَ عفواً فإنني ∴ أرى كُلَّ أمرٍ دُونَ ذاك يَسِيرُ
رجوتُكَ عَفواً يا إلهي وَطَامِعٌ ∴ بِمَغفِرَةٍ يومَ الحِسابِ تُجِيرُ
وتعلَمُ ما نُبْدِي وما هو بَاطِنُ ∴ وما هُوَ آتٍ بالوجود خَبِيرُ
فَرُحمَاكَ ربيّ أن أكونَ مكابراً ∴ وَرُحمَاكَ مِن يوم لِقاهُ عَسِيرُ
تَقَبّلْ رَجائي يا إلهي وَتَوْبتي ∴ فَعَفوكَ يا ربَّ العِبَادِ كَبِيرُ

أما مدائحه في النبي ﷺ فله قصيدتان..

- الأولى: بعنوان (الفجر المنير) كتبها بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف في عام 1987م.
- الثانية: بعنوان (التطاول) كتبها على إثر اساءة بعض الصحف الدنماركية في نشرها رسوماً مسيئة للنبي ﷺ، فكتب قصيدته مدافعاً عنه ﷺ.

* * *

• القصيدة الأولى:

الفجر المنير

هيج القلب بُكاءُ النَّائِحاتِ ∴ واستباحَ الفكرَ دَمعُ الثاكلاتِ[1]
فغداً ما كان بالأفكارِ شذْراً ∴ كَرِياحِ هائجاتٍ ذارياتِ[2]
بِطَلولٍ صابَحَتْهَا راحِلاتٌ ∴ بِمَسِيرٍ فاقَ سيرَ العَادِيَاتِ[3]
أدمعت عَينيَّ ذِكرَى مِنْ هَوَاهَا ∴ فَمَثَارُ الشَّوْقِ هَمْسُ الذِّكْرَيَاتِ
قَلَّبتْهَا بالمآقي في حَيَاءِ ∴ وَرَمت للرمشِ بعض القطراتِ[4]
ما حَسِبتُ الوَجدَ تُجري دمعَ عَيْنٍ ∴ دَونَ أنْ تَبكِيَ بُعْدَ الرَّاحِلاتِ
يا صَبَا لولا الهوى ما فَاضَ دَمعٌ ∴ لا ولا حَارَتْ جُفُونُ البَاكِيَاتِ
يكبُرُ العِشقُ وحسبُ الحُبِّ يَقْوَى ∴ كلُّ حُبٍّ باشتياق القلب آتي
قُلْتُ دَعني إنَّ قلبي بازْدِيادِ ∴ ويحَ قلبٍ لا يُحبُّ المُكرَمَاتِ
قد عشِقتُ الحُبَّ فيها من حَبيبٍ ∴ لا يُجاريهِ حبيبٌ في حَيَاتي
نورُ هدي طَافَ بالآفاق ليلاً ∴ وبه شعَّتْ شُمُوسُ الكائناتِ
وتجلّى عن فمٍ شعَّ بريقاً ∴ وابتساماتٍ علتْ كلَّ السِّماتِ
فِبِهِ مَكّةُ ضَاءَتْ واستظلّتْ ∴ بظِلالٍ نعيمِ المُحصنَاتِ
ليتها تُبدي لذلك اليومِ وصفاً ∴ في بحارٍ وجبالٍ وفلاةِ
كيف نارُ الكُفرِ فيه قد تهاوت ∴ في قُصورٍ في نُجودِ المُقفِراتِ[5]

---

(1) الثاكلاتِ: جمع ثكلى أو ثكول، وهي الم التي فقدت إبنها أو زوجها أو أخاها أو أباها.
(2) ذارياتِ: الريح التي تَذُرُّ التراب. وفي الكويت استعمل كلمة (ذار) أي التراب الذي تجمعه الريح وفعل. ذَرَّ. يستعمل أيضاً فيقال ذر فلان الركل في عين فلان.. وللزرع كذلك فيقال ذر عليه بعض التراب أي على بذره الزرع.
(3) العَادِيَاتِ: الخيول المسرعة.
(4) المآقي: جمع مأق وموق وهو طرف العين الذي يلي الأنف.
(5) النُجودِ: جمع نجد وهو الهضبة الكبيرة المترامية الأطراف والمرتفعة ارتفاعاً ملموساً عن سطح البحر، وكما هو في نجد الجزيرة العربية بالمملكة العربية السعودية، والنجد خلاف الغور وجمعها نجادٌ وأنْجَادٌ ونُجود ونُجُدْ بضم النون والجيم.

وتَماثِيلٌ لأهلِ الشّرك خَرَّتْ .:. كصُخُورٍ من أعالي الشّاهِقاتِ
قد غشاهَا مِنْ مُحيَّاه ضِيَاءُ .:. أسفرَ الكونَ وأودَى الظّلُماتِ
مَولِدٌ فِيه لِذِي الدُّنيا مَنَارٌ .:. ويقِينٌ للنفوسِ الحَائِراتِ
بَشَّرَ النَّاس بِهِ بالقُدسِ عيسى .:. بعلاماتٍ نَبِيٍّ المُعجِزاتِ
قال بعدِي هَادِيٌ بالحقِّ آتٍ .:. بالهُدَى والنُّورِ مَحمُودِ الصِّفاتِ
خيرُ هادٍ وبشيرٍ ونذيرٍ .:. شاكرٌ يسعى بنور الصلواتِ
اسمه أحمدُ للدنيا رسُولٌ .:. لا يُضاهَا في خُلُودِ المُحكماتِ
هو من باهت به الأرضُ سَمَاءً .:. ونُجوماً سائراتٍ بارِقَاتِ
قد حفَى مولدُهُ الأفقَ رُقِيًّا .:. لم يكن ذو الكونِ عنهُ في سُباتِ
فهو في شوقٍ لرؤيا النُّورِ يدعُو .:. كُلَّ يومٍ بالعشِيِّ والغدَاةِ
ولآيٍ عندها الأفواه بُكمٌ .:. يُسكِتُ الشعرَ وعَذْبُ الكلماتِ
إنهُ الفرقانُ وحيٌ اللهِ حقٌّ .:. معجزاتٌ في بَدِيعِ المفردَاتِ
جَمَعَ التَّوراةَ والإنجيلَ فيه .:. وهدَى الرُّسْلَ وأسمَى البيِّناتِ
قال لِلأرضِ هَنِيئاً بِوَلِيدٍ .:. خَاتِمُ الرَّسْلِ وَوَحْيُ المرسَلاتِ
خيرُ نورٍ حازهُ آدمُ مِنهُ .:. ولِحواءَ أريجُ العطِرَاتِ
هو من نادت بِهِ بالفخرِ تدعو .:. كل شيءٍ من عُلاهَا السَّمَوَاتِ
وبه الغبراءُ قامتْ في عُلُوٍّ .:. بانتظارِ الآيَ والسَّعْدِ المؤَاتي
وحراءُ راح يزهُو بافتخارٍ .:. وجلالٍ هزَّ أركانَ الطّغَاةِ
أوكلتهُ الأرضُ فيما تبتغيهِ .:. مُلتقَى الرُّوح ومأمُونِ الصَّلاة
وحمتهُ عن عُيونٍ عَنكبُوتٌ .:. وحَمَاماتٌ وأوراقُ النَّباتِ
ورَعَاهُ في حُنُوٍّ غَارَ ثَوْرٍ .:. وفلاةٌ بالنِّعَاجِ الرَّاتِعَاتِ
إنهُمْ جُندٌ بِأمْرِ اللهِ قَامُوا .:. دُونَهمْ خَرَّتْ قُبُوضُ المُرْهَفاتِ
وجَهُولٌ غَرَّهُ بالجهلِ كِبْرٌ .:. وغُرُورُ النَفس بالكِبرِ المماتِ
كُلّهَا قَالَتْ نَبِيَّ اللهِ نَفدِي .:. وذَوِي الأرحامِ أسْرَى الغَادرَاتِ
ليتني معهُمْ لأبلَيت بَلاءً .:. عِندَ كَعبَيْهِ أرُدُّ الجَانِحَاتِ
يا حبيب الله يا خير البرايا .:. يا نَزِيلَ العَرشِ يا أسمىَ الهِبَاتِ
أنتَ رَوضُ الرُّسْلِ فيما قد أفَاؤا .:. وأقاموا من عَظِيمِ الحسناتِ
أدركُوا كل النَّبُوَّات وأنهوا .:. لك كلَّ النّورِ ريَّانِ النَّجَاةِ

ما نظمتُ الشعرَ قولاً في مَديح ∴ بل رَجَاءً من رِيَاحِ عاتيّاتِ
فرَّقت شملاً وسادت في عُتُوٍّ ∴ أمـةَ الإسلامِ في بُعدِ الصِّلاَتِ
قد بعُدنا عن مسَارِ أنتَ فيه ∴ فغدَونا كالظَباء التَّائِهاتِ
عَجَبِي قومٌ لهُم بالدِّين سيفٌ ∴ وارتضوا بالغَمدِ عنهُ والعصَاةِ
من يريدُ المجدَ يَرعَى الله فِيه ∴ إنَّ لِلإنسَانِ نصراً بالثَّباتِ [1]

* * *

---

(1) ديوان العدساني، ص 175.

● في ذكرى المولد النبوي الشريف نشرت بجريدة القبس 1987/11/3م، بمجلة مرآة الأمة 1987/11/4م - 12 ربيع الأول سنة 1408 هـ.

القصيدة الثانية:

التطـــاول

أو بعلو بعد النبي علاءُ ... من أقامتْ مِنْ خَلفِهِ الأنبياءُ
قد عَلاهم عند الولِي علواً ... بنداءٍ لم يستبقْهُ نِداءُ
فَنَبيٌّ الهدى رَسولُ سلامٍ ... عَرَفَتْهُ بذي الحياةِ سماءُ
خاتم الأنبياءِ للحقِ نصرٌ ... ونذيرٌ للعالمينِ سَوَاءُ
ما رقى مِثله السَّماءُ نَبِيٌّ ... أو حظاه عند العلِيِّ لقاءُ
نال مَا لَم ينلهُ بالحق خَلقٌ ... بارتقاءٍ لم يَعتلِيهِ ارتقاءَ
مُخرجُ الناس من متاهات بُعدٍ ... وشروقٍ يحار منه الضِياءُ
قال فيه العليمُ قولاً كريماً ... وَقَفَ المدحُ دُونهُ والثِناءُ
أو يأتي من بعد هذا فسوقٌ ... بمقالٍ الكل منه بَراَءُ
غُضَّ طرفاً فما وَصُلت احتِقاراً ... نَبذَته واستحقرتهُ نداءُ
ما تَهزُّ الجبالَ نفخة طِفلٍ ... أو نباح بَهُزها أو عواءُ
إنما الجهلُ للحقيقَةِ صدٌّ ... ليس بالنارِ مِنَّةٌ وعطاءُ
كل من يرتضي الحماقةَ درباً ... ما له غير ما يرى أو يَشاءُ
أغريبٌ من باغي الكفرِ فسقٌ ... أمْ عجيبٌ من المعادي جفاءُ
فاسقٌ ظنَّ بالتطاوُلِ قدراً ... برسوم أعابها العُقلاءُ
خَدم الدينَ دُونَما هوَ يَدري ... كم شَقي منه الشّقاء صَفَاءُ
فكثيراً بمثل ما قال قّالوا ... حيثُ كلَّ بما أتى به جاؤا
فَقَدِيماً وحَاضِراً سَبَقوه ... ولكل بما أسَاءَ أساؤا
تبَّ من خَطَ بالصحائفِ رّسماً ... في بلادٍ بها السماح افتراءُ
من سفيهٍ على المَعَالي تَجَنَى ... قال قولاً منه الرضَاءُ عداءُ
خسر الباغي فاستباح التجني ... ما بآلٍ بذي البسيطة ماء

رب داء به الجروح تداوت ∴ واستشف الدواء منه الشفاء. [1]

* * *

(1) كتبها في عام 2006م، ونشرها في ديوانه ؛ ديوان العدساني، الجزء الرابع، ص 119.



ترجمة مؤلف الكتاب

(الكاتب / طلال مساعد عبدالله العامر النجدي)

- من مواليد عام 1972م.
- حاصل على دبلوم تغذية من كلية العلوم الصحية.
- حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الشريعة في جامعة الكويت.
- اجتاز عدداً من الدورات في فنون مختلفة.
- له مشاركات إعلامية متعددة في الإذاعة الكويتية؛ حيث أعد وقدم العديد من البرامج المسجلة في إذاعة القرآن الكريم وإذاعة البرنامج الثاني، والتي منها:
  - محاورات شعرية، أدب الدعوة، سوق عكاظ، لغتنا المقدسة، ونيس المجالس، خواطري، رمضان بلون آخر، أدب الحياة.
  - ضيف في العديد من البرامج التلفازية والإذاعية، كما أعد وقدم عدة برامج تلفازية منها برنامج (بيت الحكمة)، وبرنامج (في المرآة).

- خطيب في مسجد «حبيبة البناي»، كما أنه خطيب معتمد في تلفزيون دولة الكويت.
- قام بإلقاء العديد من المحاضرات والندوات الثقافية والأدبية بدولة الكويت.
- مؤسس المكتبة العامرية للطباعة والنشر.
- شارك في العديد من الملتقيات الثقافية داخل دولة الكويت وخارجها..

- **أعماله الأدبية:**

- عمالقة الشعر الإسلامي الحديث.
- قبل ارتقاء المنابر.
- كناشة الأشعار.
- ديوان الدفاع عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.
- محمد ﷺ ملهم الشعراء.
- سوف يدري.. رحلة الطلاسم من الشك إلى اليقين.
- إما اعتدلت وإما اعتزلت.
- أسباب الاختلاف المشروع بين الفقهاء في الفروع.

* * *

الخاتمة

في ختام هذا الديوان الكويتي في المدائح النبوية أؤكد على أنه قد انتهي الكتاب، غير أن في الجعبة الكثير مما لم يكتب، بل وفي تاريخ الأدب الكويتي ما هو أكثر.

لكن على سبيل الختام اود أن أذكر أنني في طريقي إلى هذا الديوان قد وقفت على عدة أمور، ووصلت إلى عدد من النتائج أهمها ما يلي:

- أن المدائح النبوية ذات أثر كبير في تشكيل المشهد الأدبي وخصوصاً في العصر الحديث، فقد وجدت أن الأدب الحديث قد تفاعل معها بشكل واضح، بل إنها كانت ملهمة للعديد من الأعمال الإبداعية الأدبية.

- أن الأدب بمجموع فنونه في الخليج العربي كان له حظه من هذا التفاعل، وإن كان متفاوتاً في القلة والكثرة يرجع ذلك إلى نصيب الأدب العربي في الخليج من استجابته للتطوير والتحديث في الأدب وفنونه، بالإضافة إلى أنه يتفاوت أيضاً في مدى الجدة والتقليد بناءً على ذلك أيضاً، لكن تظل هنالك أسماء لشعراء من معظم دول الخليج العربي قد حفرت إسمها في لوحة الإبداع الأدبي في هذا الاتجاه.

- إن المدائح النبوية في الشعر الكويتي تنزع إلى رصيد زاخر من:

  - أولاً: التوجه الديني الأصيل عند المجتمع الكويتي والثقافة الإسلامية الراسخة في الشخصية الكويتية، والتي كانت محل إعجاب عند من زار الكويت من العلماء ولأدباء والمفكرين، يمتد هذا التوجه من عيش دائم

في رحاب شعائر الاسلام وعباداته من صلاة ومساجد وصيام وحج... إلخ.

- ثانياً: المولد النبوي وما له من أثر راشخ في الهوية الكويتية، والذي كان مجمع العلماء والأئمة، وفيه تنشد الأشعار وتلقى الخطب والكلمات.

- ثالثاً: الأدب الكويتي ومدى ارتباطه بالقيمة الدينية، والذي ظهر لي من خلال اللهجة الكويتية، وأثر القرآن الكريم والثقافة الإسلامية فيها، وكذلك من خلال اهتمامهم في الخطبة وتحديداً خطبة الجمعة، والتي كانت مهوى أفئدتهم وملتقى خاصتهم وعامتهم، وقد انتجت الكويت لوناً فريداً في فن الخطابة من خلال خطباء مميزين في هذا الفن، وكذلك من خلال أمثالهم الدارجة التي ظهرت فيها الصبغة الدينية بوضوح، ثم في الشعر العربي الفصيح والذي حمل عبر أوزانه العديد من صور النزعة الدينية والهوية الإسلامية.

- هذا كله أدى بطبيعة الحال إلى هذا الحُب الغامر الذي يحمله أهل الكويت للنبي ﷺ وتفاعل قوي مع مناسبات السيرة النبوية وذكرياتها العطرة كمولد النبي ﷺ، والإسراء والمعراج، والهجرة الشريفة.

- انعكس هذا الحُب الذي يحمله المجتمع الكويتي للنبي ﷺ، والذي يشاطرون به المسلمين جميعاً في مختلف بلدانهم - على الشعر الكويتي - فحمل شعراء الكويت مسئولية التعبير عن ذلك في أشعارهم ودواوينهم.